

هكذا غنى

ماغور

**

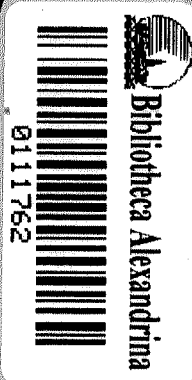


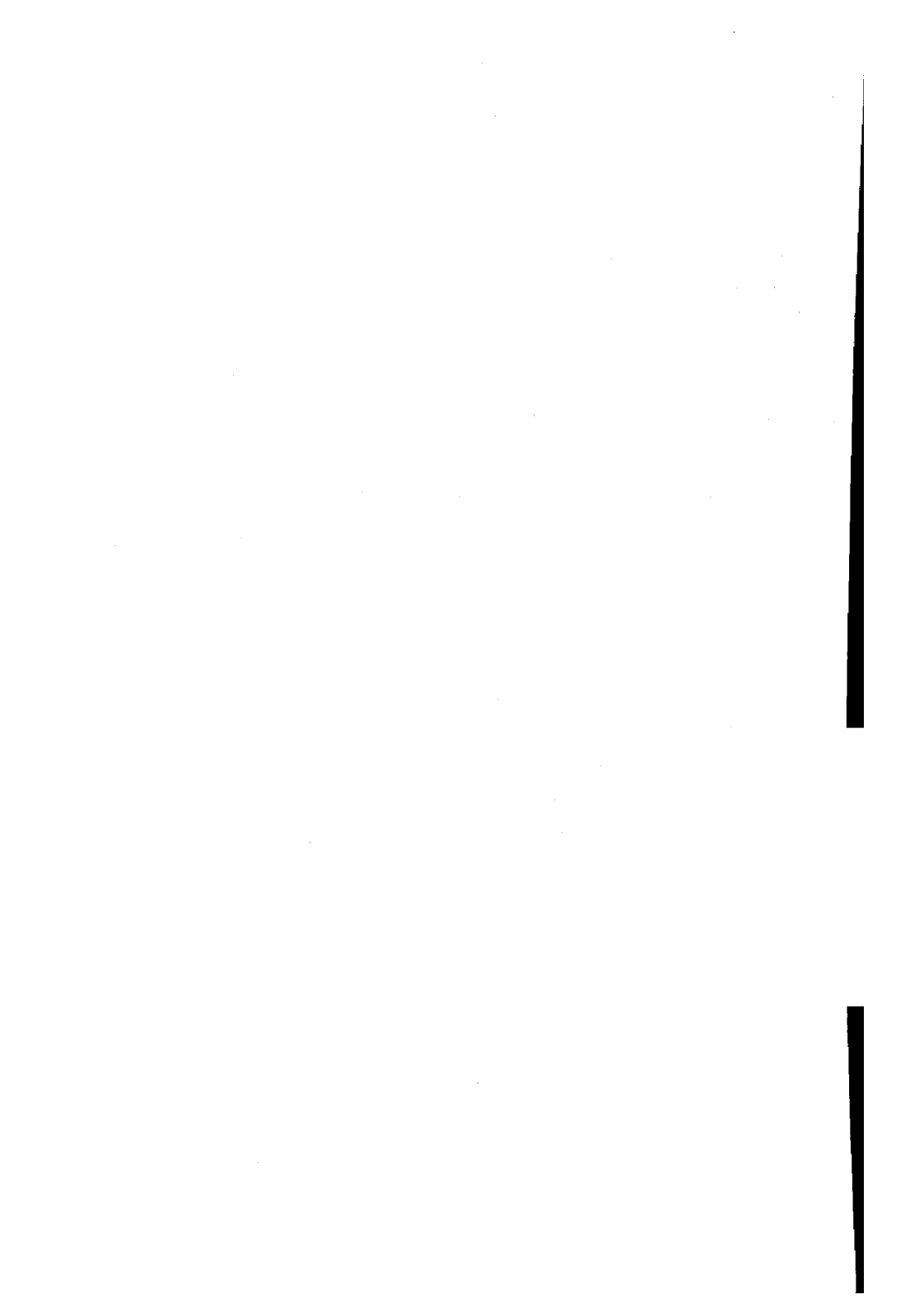
ترجمة

خليفة محمد التليسي

المؤسسة الوطنية للكتاب
الجزائر

الدار العربية للكتاب
ليبيا - تونس



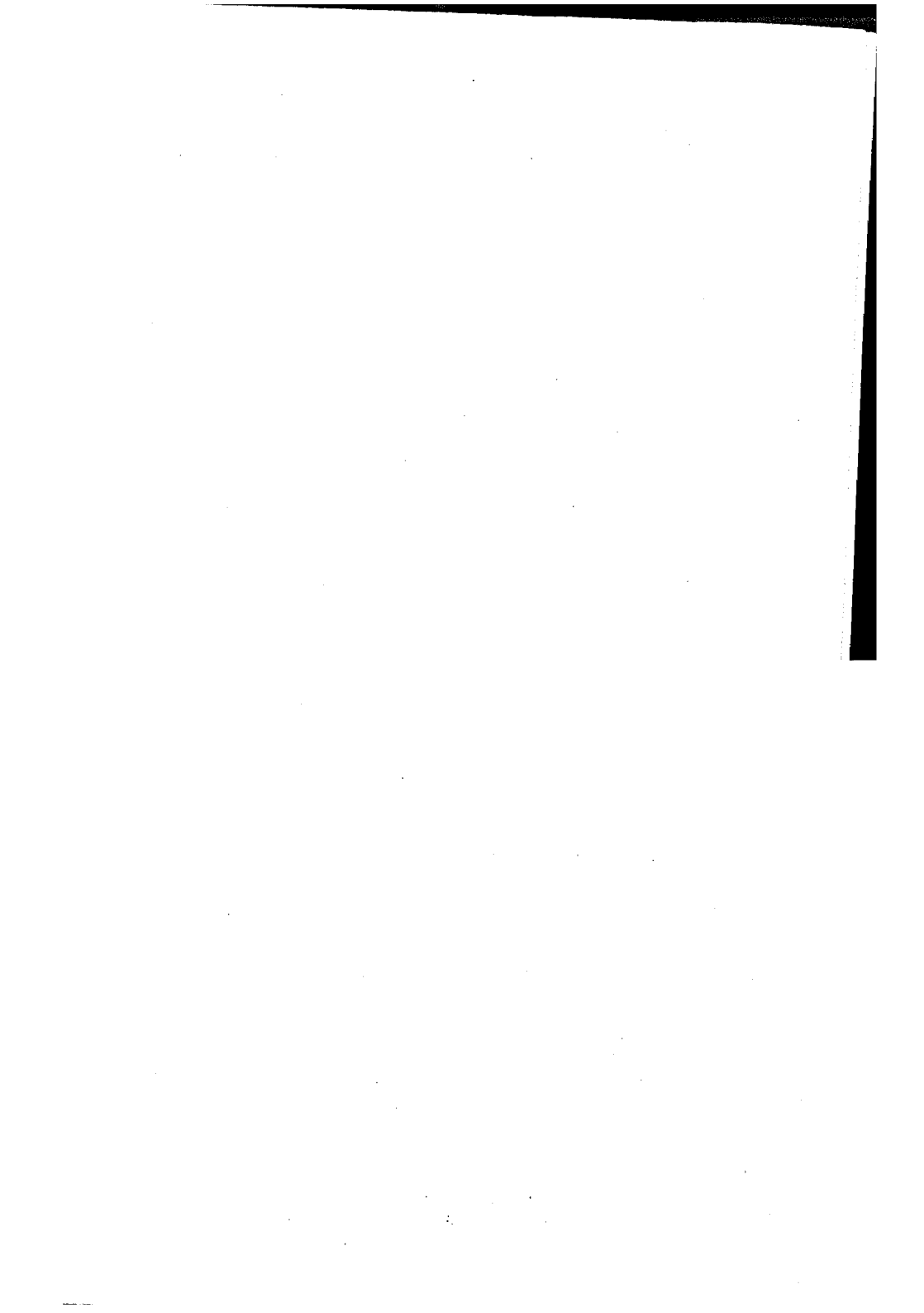


۸۹۱۰۰۰۰

۴
۵
۶

[۷.۳]

هكذا غني طائفور



١٧٥٨٥

٨٩١٠٧١٩

هكذا غنى طاعن

**

ترجمة

خليفة محمد التليسي

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية	
رقم التصنيف	٨٩١٠٧١٩ ٥٠٩٦
رقم التسجيل	٤٤٠٦٨

المؤسسة الوطنية للكتاب
الجزائر



الجمهورية العربية للكتاب
تونس

رقم الايداع بدار الكتب الوطنية

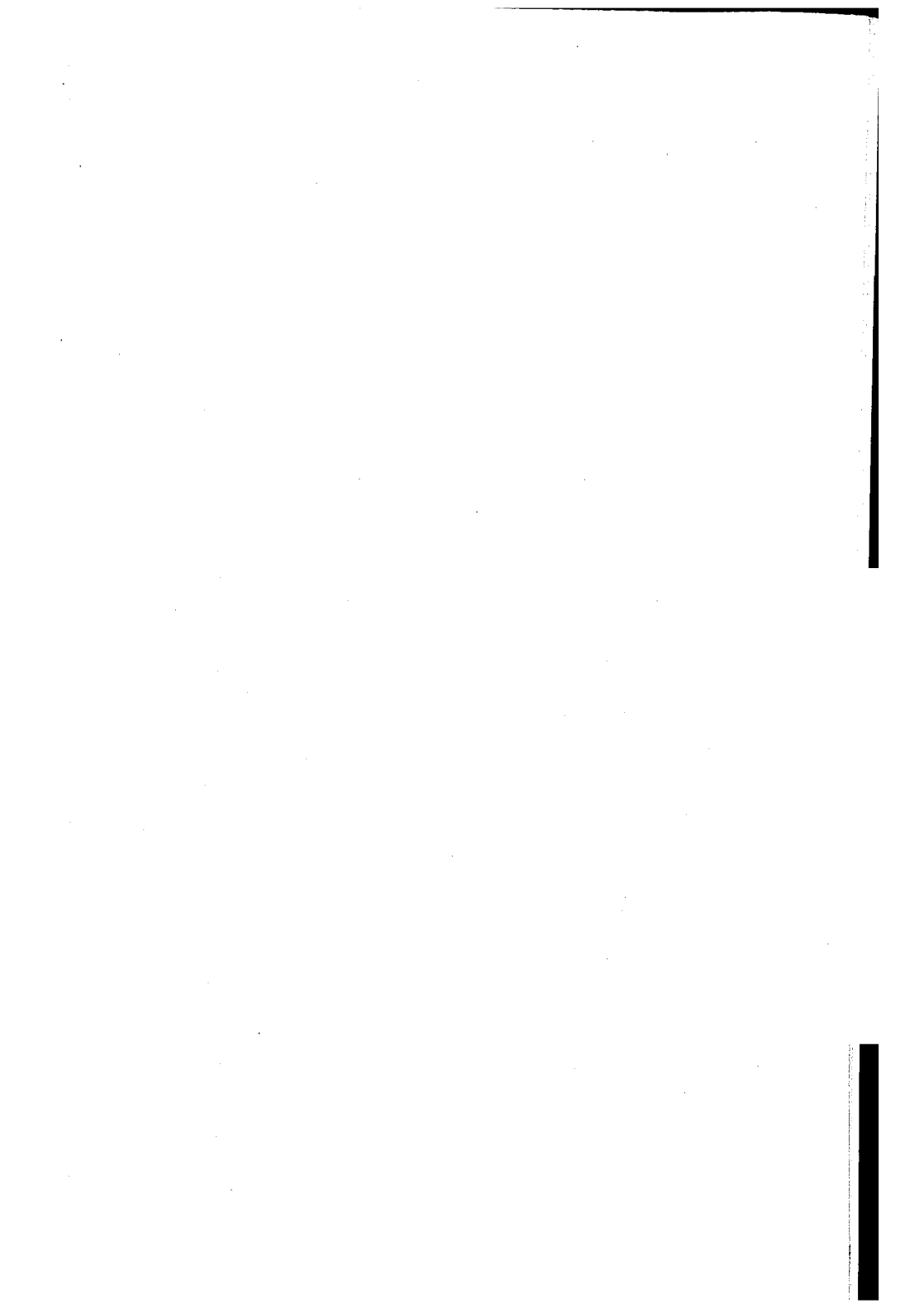
89/673

الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

جميع الحقوق محفوظة - دار النشر العربية للكتاب

1989





تواريخ هامة في حياة طاغور

1861 في يوم 6 مايو من هذا العام ولد الشاعر بمدينة كلكتا في أسرة معروفة بالعراقه والوجاهة والمكانة العلمية الأدبية . فقد كانت لوالده مكانة دينية واجتماعية بارزة في إقليم البنغال ، كما تميز إخوته وأخواته بالنموغ الأدبي والفني والموسيقى ، مما هيا له الفرصة لأن يتعرع في بيئة غنية بالثقافة متفتحة على مختلف التيارات والاتجاهات الأدبية والفلسفية الهندية والشرقية والغربية .

1875 وفاة والدته . وكان حينذاك في الخامسة عشرة من عمره . نشر بواكيره الشعرية الأولى في احدى المجلات الأدبية التي كانت تصدر بكلكتا .

وحين قارب العشرين من عمره نشر أولى مجاميعه الشعرية بعنوان (أغاني الصباح) ثم أتبعها (بأغاني المساء) فكان بذلك ي دشن عهدا جديدا في مسار الشعر البنغالي الحديث .

1877 أرسله والده إلى انجلترا لدراسة القانون . فلم يوفق إلى التخرج فيما أراد له والده من اختصاص ولم يلبث أن عاد إلى بلاده دون شهادة . ولكنه عاد بحصيلة وافرة من المعلومات والتجارب التي غذت اهتماماته في مجالات الأدب

* انظر المقدمة في الجزء الأول من المجموعة .

والموسيقى . وبعد إقامة استمرت أربعة عشر شهرا عاد إلى بلاده مواصلا نظم الشعر وكتابة الدراسات الأدبية .

1883 وفي 9 ديسمبر من هذا العام تزوج مريتا ليني ديبي .

1890 قام برحلة ثانية إلى أوروبا زار فيها إنجلترا مارا بفرنسا وإيطاليا . وذكر الرحلات هنا أمر هام في حياة طاغور ، وماحقته من شهرة عالمية ، وقد اتخذ من هذه الرحلات جسرا يصله بكبار الأدباء في العالم والتعريف بأدبه ورسالته في أرجاء المعمورة .

1891 عين نائبا لرئيس أكاديمية الآداب في البنغال ومن ذلك الحين انصرف انصرافا كاملا إلى النشاط الأدبي وكرس جهوده لخدمة الحركة الأدبية والعلمية في بلاده التي أخذ يعنى بشئونها السياسية .

1901 أسس بشأني نيكثان مدرسة صارت فيما بعد الجامعة الدولية فسفاهاراني .

1902 وفاة زوجته .

1904 وفاة ابنته .

1905 وفاة والده .

1907 وفاة ابنه الأكبر .

وقد كان لهذه الأحداث المحزنة أثر عميق في نفسه ، وشعره ينعكس بشكل حاد في كثير من قصائده . وفي وفاة ابنته كتب ديوانه الطفل الذي ترجمه إلى الإنجليزية بعنوان الهلال .

1909/1912 كتب خلال هذه الفترة ديوانه جنتجالي (قربان الأغاني) ونشره باللغة البنغالية 1910 وهو العمل الذي صنع له شهرته العالمية ونال به جائزة نوبل للآداب فكان أول شاعر شرقي يظفر بها .

1912 قام بزيارته الأولى للولايات المتحدة التي فيها جملة من المحاضرات تحول إلى إنجلترا في زيارة ثانية حيث التقى بالشاعر عزرا باوند ووليام بتلر يتس وهما الشعاران اللذان نهضا بعبء تعريف الغربيين به وكان طاغور قد قام أثناء الرحلة بترجمة

بعض أشعاره إلى الإنجليزية وحين اطلع عليها الشاعر الإنجليزي يتس تحمس لها .

1912 في نوفمبر من هذا العام نشر ديوان جتنجالي بالإنجليزية بتقديم الشاعر الإيرلندي يتس .

1914 منح طاغور جائزة نوبل على هذا الديوان وقد خصص ربع الجائزة لتطوير جامعته المعروفة ومنحته جامعة كلكتا لقب الدكتوراه الفخرية .

1915 منحه الحكومة البريطانية لقب (سير) وهو اللقب الذي أعاده إلى الحكومة البريطانية عقب الأعمال القمعية التي قامت بها في سنة 1919 بإقليم البنجاب .

1916 زار اليابان .

1917 زار الولايات المتحدة مرة ثانية وألقى سلسلة من المحاضرات . كما انتخب في هذه السنة رئيسا للمؤتمر الوطني بكلكتا .

وعني في هذه الفترة بالعمل على تطوير جامعته وتوسيعها، فلم يكتب برصد ربع جائزة نوبل والحقوق العائدة فقام بجولة جديدة حول العالم استغرقت أربعة عشر شهرا لجمع التبرعات لهذه الجامعة .

1921 تمكن طاغور بعد جهد كبير من افتتاح جامعته العالمية فيسفاهاراتي وهي تسمية استوحاها طاغور من أحد الأبيات الشعرية السانسسكريتية وتعني المكان الذي يتحد فيه العالم في وكر واحد .

1922 زار فرنسا وإنجلترا والدانمرك والسويد وألمانيا .

1924 زار ماليزيا والصين واليابان .

1925 حل ضيفا على الحكومة الفاشية الإيطالية وحسبت عليه تصريحاته السياسية التي تنسم بالسداجة وطيبة النفس أكثر مما تعبر عن الموقف السياسي المتناصر .

كما عين في هذه السنة رئيسا للمؤتمر الفلسفي بالهند .

1926 قام خلال هذه الفترات بعدة رحلات حول العالم زار خلالها سويسرا ، النمسا ،
وفرنسا حيث كان ضيف الكاتب الفرنسي الشهير رومان وولاند ، ثم زار
أيضا إنجلترا والنرويج ، ويوغسلافيا ، بلغاريا ورومانيا ، وتركيا ، واليونان
ومصر حيث كان موضع حفاوة من الأوساط السياسية والأدبية واحتفى به
الشاعر أحمد شوقي في بيته كرمة بن هاني ، وزار أيضا ماليزيا والصين
واليابان وكندا والهند الصينية والذئمرك وروسيا والولايات المتحدة .

وكان خلال هذه الرحلات يقوم بالتبشير بمبادئه ويقرأ شعره ، ويجمع التبرعات
لجامعته ، ويقوم العلاقات مع أبرز الشخصيات الأدبية والفكرية والسياسية في
عصره . وعرض في أوروبا وأمريكا بعض لوحاته مقديا بذلك وجهها آخر من وجوه
مواهبه المتعددة .

1928 بدأ في ممارسة هواية الرسم .

1929 رحلات إلى كندا واليابان وسامجون .

1930 عودة إلى إنجلترا وفرنسا وألمانيا وسويسرا وروسيا .

عرض رسومه في برمنجهام ولندن وبعض العواصم الأوروبية .

1932 رحل إلى العراق وإيران بطريق الجو . وفاة حفيده الوحيد .

1933 وكان في هذه المرحلة قد جاوز السبعين من العمر فاستراح إلى الإقامة في بلاده
وكف عن التجوال سوى رحلة قصيرة قام بها إلى سيلان .

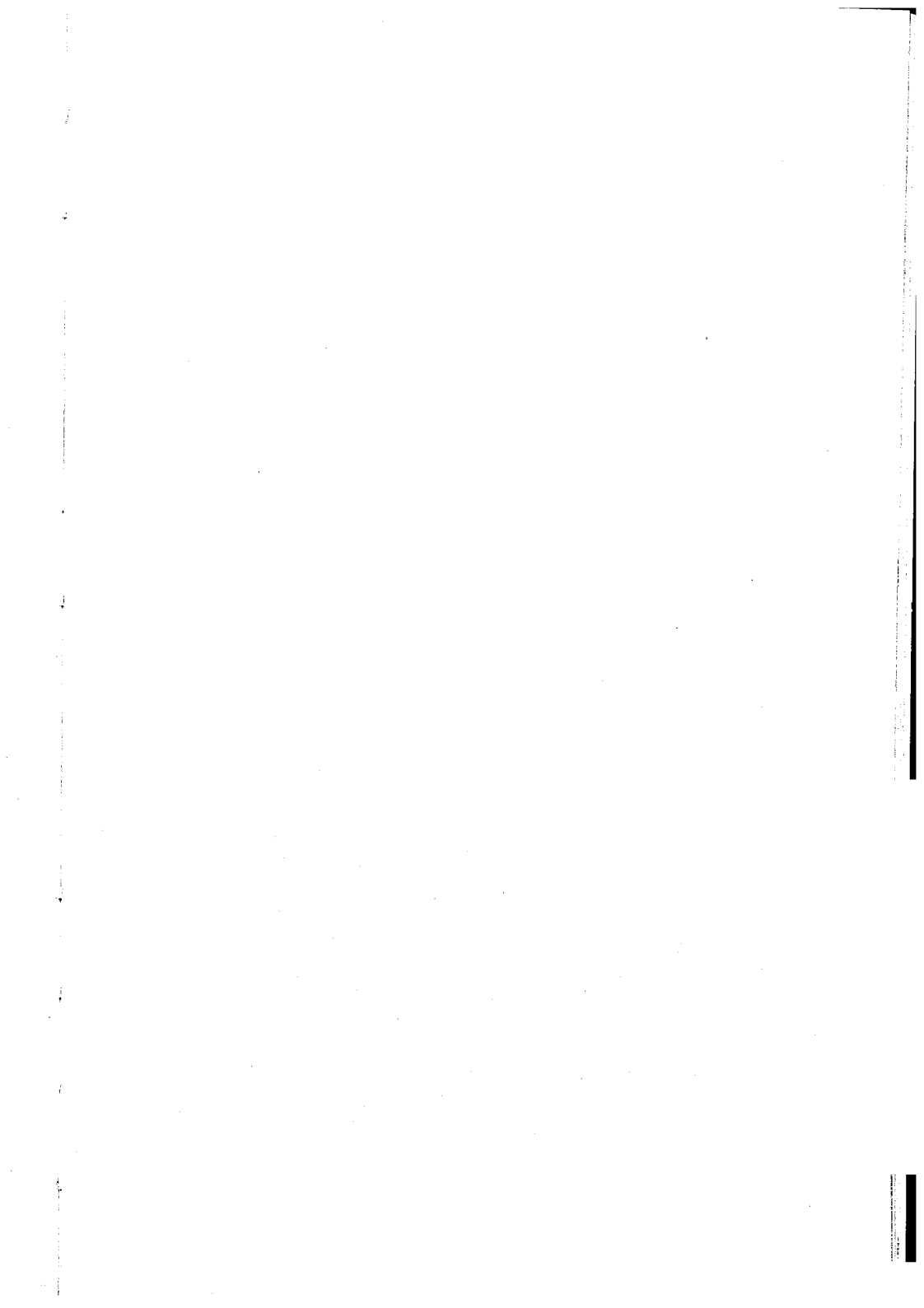
1940 آخر لقاءات طاغور مع غاندي في سانتني نكتان . جامعة اكسفورد تعقد اجتماعا
في سانتينيكتان لمنحه درجة الدكتوراه الفخرية . وهو شرف لم يحظ به غيره
من قبل ، فالمعروف أن الجامعات تمنح هذا التكريم في مقارها التاريخية .

1941 في يوم 17 اغسطس من هذا العام توفي الشاعر العظيم في الثمانين من عمره في
البيت الذي ولد فيه فبكاه العالم وفقد فيه شاعرا من شعراء الإنسانية الكبار .

1948 اغتيال غاندي .

1949 إعلان استقلال الهند .

جَنِّي الثَّمَار



عِنْدَمَا كُنْتُ شَابًا
كَانَتْ حَيَاتِي كَالزَّهْرَةِ
تُسْقِطُ قِطْعَةً أَوْ قِطْعَتَيْنِ
مِمَّا تَمْلِكُ مِنْ أَفْوَانِهَا
دُونَ أَنْ تَشْعُرَ بِفَقْدَانِهَا
حِينَ يَأْتِي الرَّبِيعُ وَيَقِفُ
مُسْتَعْطِيًا عِنْدَ بَابِهَا.

وَالآنَ

وَعِنْدَ نِهَآيَةِ الشَّبَابِ
صَارَتْ حَيَاتِي كَالثَّمَرَةِ
الَّتِي لَيْسَ لَهَا مَا تُؤْفِرُهُ

وَتَنْتَظِرُ أَنْ تَمْنَحَ نَفْسَهَا كُلَّهَا
بِكُلِّ حَلَاوَتِهَا الْخَاصَّةِ . .

4

اسْتَيْقَظْتُ

فَوَجَدْتُ رِسَالَتَهُ تَأْتِينِي مَعَ الصَّبَاحِ
لَا أَدْرِي مَا تَقُولُ الرَّسَالَةَ
لَأَنِّي لَا أَعْرِفُ الْقِرَاءَةَ
سَادَعُ الْعَالِمَ الْحَكِيمَ مُنْصَرِفًا إِلَى كُتُبِهِ
وَلَسْتُ أَرْغَبُ فِي مُضَايَقَتِهِ
مَنْ يَدْرِي إِذَا كَانَ سَيَعْرِفُ مَا تَقُولُهُ الرَّسَالَةَ
سَأَطْبَعُهَا عَلَى جَيْبِي
وَأَشُدُّهَا إِلَى صَدْرِي
وَحِينَ يَشِيعُ السُّكُونُ فِي اللَّيْلِ
وَتَسْطَعُ النُّجُومُ وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى

سَأَنْشُرَهَا فِي حِضْنِي
وَأَظْلُهُ صَامِتًا .
إِنْ حَفِيفَ الْأُورَاقِ
سَيَسْتَلُوهَا عَلَيَّ بِصَوْتِ عَالٍ .
وَالجَدُولُ حِينَ يَنْسَابُ سَيْرِدُّدُهَا فِي أُعْيِيَةِ .
وَنُجُومُ الثُّرَيَّا السَّبْعِ
سَتُغْنِيهَا لِي مِنَ السَّمَاءِ .
لَا أَعْرِفُ كَيْفَ أَعْثُرُ عَلَيَّ مَا أَبْحَثُ عَنْهُ
وَلَا أَدْرِي مَا الَّذِي يَنْبَغِي عَلَيَّ مَعْرِفَتُهُ وَتَعْلَمُهُ
وَلَكِنْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ
خَفَّفَتْ أَعْبَائِي
وَأَحَالَتْ أَفْكَارِي إِلَى أُغْنِيَاتِ .

كَانَتْ تُخْفِي عَنِّي إِشَارَتَكَ
حِينَ كُنْتُ لَا أَفْقَهُ مَعْنَاهَا .
أَمَّا الْآنَ وَقَدْ صِرْتُ أَعْقِلُ وَأَفْهَمُ
فإِنِّي أَقْرَأُهَا فِي كُلِّ مَا كَانَ يُخْفِيهَا
إِنَّهَا مَرْسُومَةٌ عَلَى أَفْوَافِ الزَّهْرِ
وَيَسْطَعُ بِهَا زَبْدُ الْأَمْوَاجِ
وَتَرْفَعُهَا الْهَضَابُ عَالِيَةً فَوْقَ الْقِمَمِ
لَقَدْ نَحَيْتُ وَجْهِي عَنْكَ
فَأَسَأْتُ قِرَاءَةَ رَسَائِلِكَ
وَلَمْ أَفْهَمْ مَعْنَاهَا .

6

حَيْثُ الدُّرُوبُ الْمَطْرُوقَةُ
أَضِلُّ طَرِيقِي
وَفِي الْبَحْرِ الْهَائِلِ

والسماء الزرقاءِ
لَا أَثْرَ لِأَيِّ طَرِيقٍ
والدُّرُوبُ تُحَجِّبُهَا أَجْنِحَةُ الطُّيُورِ
وَبَرِيقِ النُّجُومِ
وَزُهُورِ الفُصُولِ الْمُتَقَلِّبَةِ
وَأَسْأَلُ قَلْبِي
إِذَا كَانَ الدَّمُ الَّذِي يَتَدَفَّقُ فِيهِ
يَحْمِلُ حِكْمَةَ البَصْرِ
بِالطَّرِيقِ اللَّامَنْظُورَةِ . .

7

أَوَاهُ ، لَمْ أَعُدْ قَادِرًا عَلَى البَقَاءِ فِي البَيْتِ
وَالبَيْتُ لَمْ يَعُدْ بَيْتِي
بَعْدَ أَنْ أَخَذَ العَرِيبُ الأَبْلَدِيَّ
يَدْعُونِي إِلَيْهِ

وَيَتَقَدَّمُنِي فِي الطَّرِيقِ .
إِنْ صَدَى خُطَوَاتِي يَخْفُقُ فِي صَدْرِي
وَيُؤَلِّمُنِي
وَالرِّيحُ تَرْتَفِعُ
وَالْبَحْرُ يَهِيجُ
سَاءَ تَرَكْتُ جَمِيعَ شُكُوكِي وَاهْتِمَامَاتِي
لَأَتَّبِعَ هَذَا الْمَدَّ الَّذِي لَا مُسْتَقَرَّ لَهُ
ذَلِكَ أَنْ هَذَا الْغَرِيبَ
يَدْعُونِي
وَيَتَقَدَّمُنِي فِي الطَّرِيقِ . . .

8

يَا قَلْبِي
كُنْ مُتَحَفِزًا لِلْإِقْلَاعِ
وَدَعْ عَنْكَ مَنْ أَرَادَ التَّخَلُّفَ

لَقَدْ تَعَالَى النُّدَاءُ بِاسْمِكَ

فِي سَمَاءِ الْفَجْرِ

فَلَا تَتَرَقَّبُ أَحَدًا .

إِنْ تَوَقَّعَ الْبُرْعَمَ يَتَّجِهْ إِلَى اللَّيْلِ وَالنَّدى

وَلَكِنَّ الزُّهْرَةَ النَّامِيَةَ

تَتَوَقَّعُ إِلَى حُرِّيَةِ النُّورِ

فَحَطَّمْ غِلاَفَكَ

يَا قَلْبِي

وَاخْرُجْ إِلَى الْعَرَاءِ .

9

حِينَ كُنْتُ اسْتَعْرِضُ عَلَى مَهَلٍ

كُنُوزِي الَّتِي جَمَعْتُهَا

كُنْتُ أَشْعُرُ كَأَنِّي دُودَةٌ

تَتَغَدَّى مِنَ الْفَاكِهَةِ الَّتِي وُلِدَتْ فِيهَا

سَأَتْرُكُ سِجْنَ الْأَنْجِلَالِ هَذَا
وَلَنْ أَهْتَمُّ بِغُشْيَانِ أَجْوَاءِ الْهُدُوءِ الْمُتَعَفِّنِ .
وَلَأَنْنِي ذَاهِبٌ لِلْبَحْثِ
عَنِ الشَّبَابِ الْخَالِدِ
فِيَّانِي سَأَطْرَحُ كُلَّ مَا لَا يَنْسَجِمُ
مَعَ حَيَاتِي
وَمَا لَيْسَ خَفِيفًا خِفَّةَ الْإِبْتِسَامَةِ الْهَائِنَةِ
سَأَعْدُو مَعَ الزَّمَنِ
يَا قَلْبِي
فَعَلَى مَرْكَبَتِكَ
يَرْقُصُ الشَّاعِرُ الَّذِي يُغْنِي
وَهُوَ يَجُوبُ الْأَفَاقَ . .

10

أَخَذَتْ بِيَدِي

وَسَحَبْتَنِي إِلَى جَوَارِكِ
وَأَجَلَسْتَنِي أَعْلَى الْكَرَاسِيِّ أَمَامَ النَّاسِ
حَتَّى صِرْتُ خَجِلاً
غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى الْحَرَكَةِ
وَمُتَابَعَةِ طَرِيقِي .
وَيَسْتَوْلِي عَلَيَّ الشُّكُّ وَالتَّرَدُّدُ
فِي كُلِّ خُطْوَةٍ أَخْطُوهَا
حَذِيراً أَنْ أَدُوسَ سَوَاكَةَ
مِنْ أَشْوَالِكِ سَخَطِهِمْ .
وَأَخِيراً تَحَرَّرْتُ
وَجَاءَتِ الضَّرْبَةُ الْقَاضِيَّةُ
وَدَقَّ طَبْلُ الْإِهَانَةِ
وَسُجِبَ عَرْشِي فَوْقَ التُّرَابِ
وَأَمَامِي
انْفَتَحَتْ كُلُّ الدُّرُوبِ

إِن أَجْنَحْتِي عَامِرَةٌ بِالرَّعْبَةِ فِي السَّمَاءِ
سَأَذْهَبُ لِيُبْلُغَ النُّجُومِ الْمَتَسَاقِطَةَ
وَأُغْرِقُ نَفْسِي فِي الظِّلِّ الْعَمِيقِ
إِنِّي كَالسَّحَابَةِ الصَّيْفِيَّةِ
التي تَذْفَعُهَا الْعَاصِفَةُ
حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ عَنْهَا تَاجَهَا الذَّهَبِيَّ
عَلَّقَتْ حُرِّيَّتَهَا كَالسَّيْفِ
فَوْقَ سِلْسِلَةٍ مِنَ البُرُوقِ .
وفي بَهْجَةٍ يَا نِسَاءُ
أَرْكُضُ فِي دَرْبِ الإِهَانَةِ الْمُتْرَبِ
مُقْتَرِبًا مِنْ تَرْحِيكِ الأَخِيرِ .
إِن الطُّفْلَ يَجِدُ أُمَّهُ
حِينَ يُغَادِرُ حِضْنَهَا .
وَحِينَ انْفَصَلَتْ عَنْكَ
وَطَرِدَتْ مِنْ بَيْتِكَ

صِرْتُ حُرًّا فِي أَنْ أَرَى وَجْهَكَ .

11

هَذِهِ السِّلْسِلَةُ الْمُرْصَعَةُ بِالْجَوَاهِرِ

إِنَّهَا تُزَيِّنُنِي

لِتَسْخَرَنَّ مِنِّي

وَحِينَ تُطَوِّقُ عُنُقِي

تُؤَلِّمُنِي

وَتَحْنُقُنِي حِينَ أَحَاوِلُ نَزْعَهَا .

إِنَّهَا تَقْبِضُ عَلَيَّ حَلْقِي

وَتَحْنُقُ غِنَائِي

لَوْ كَانَ فِي وَسْجِي أَنْ أَهْبَهَا لَكَ

يَا مَوْلَايَ

حِينَئِذٍ فَقَطِّ سَأَكُونُ حُرًّا

فَأَنْزَعُهَا عَنِّي

وَعِوَضاً عَنْهَا شَدَّنِي إِلَيْكَ
بِأَكْلِيلٍ مِنْ أَكَالِيلِكَ
لَأَنْيَ أَشْعُرَ بِالْحَجَلِ
لَأَنَّ أَقْفَ أَمَامَ سُدَّتِكَ
بِهَذِهِ السَّلْسَلَةِ الْمُرْصَعَةَ بِالْجَوَاهِرِ
الَّتِي تُطَوِّقُ عُنُقِي .

12

فِي أَسْفَلِ الْوَادِي
كَانَ نَهْرٌ (جومنا)
يَتَدَفَّقُ مُسْرِعاً صَافِياً
وَمِنْ كُلِّ جَانِبٍ، تَنْظُرُ إِلَيْهِ الضَّفَافُ
الْمُتَّجِهَةٌ بِغَابَاتِ الْهَضَابِ الْكَثِيفَةِ
الَّتِي تَعْلُوهَا وَأَخَادِيدِ السُّيُولِ .
كَانَ الْمُعَلِّمُ الْأَكْبَرُ (جُونَدَا) جَالِساً

فَوْقَ صَخْرَةٍ يَقْرَأُ صَفْحَةً
حِينَ جَاءَهُ تَلْمِيذُهُ (رَاجُونَاتُ)
الْمُعْتَزُ بِثُرُوتِهِ الطَّائِلَةُ
وَانْحَنَى أَمَامَهُ قَائِلًا:
لَقَدْ جِئْتُ إِلَيْكَ بِهَدِيَّتِي
الْمُتَوَاضِعَةَ ، وَهِيَ أَقْلٌ مِنْ أَنْ
تَحْطَى بِالْقَبُولِ مِنْ مَقَامِكَ
وَحِينَ كَانَ يَقُولُ ذَلِكَ
أَلْقَى أَمَامَ الْمُعَلِّمِ
سِوَارَيْنِ مِنَ الذَّهَبِ الْمُرَصَّعِ بِالْجَوَاهِرِ
فَتَنَاوَلَ الْمُعَلِّمُ وَاحِدًا مِنْهَا
وَأَخَذَ يَدِيرُهُ فَوْقَ إصْبَعِهِ
فَتَلَأَتِ الْجَوَاهِرُ بِأَنْوَارِهَا الَّتِي تَحْطَفُ الْأَبْصَارَ
وَفُجَاءَهُ ، ، انزَلَقَ مِنْ يَدِهِ وَتَدَحَّرَجَ

فَوْقَ الضِّفَّةِ ثُمَّ وَقَعَ فِي الْمَاءِ
فَصَرَخَ (رَاجُونَاتٍ) مُتَحَسِّرًا (أَوَاهِ)
وَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي النَّهْرِ
وَصَوَّبَ الْمُعَلِّمَ بَصَرَهُ نَحْوَ الْكِتَابِ
وَأَخْفَى النَّهْرَ مَا كَانَ قَدْ سَرَقَهُ
وَتَابَعَ جَرِيَانَهُ
كَانَ النَّهَارُ يَشْحَبُ وَيَقْتَرِبُ
مِنَ الْأُقُولِ
حِينَ عَادَ (رَاجُونَاتٍ)
إِلَى أَسْتَاذِهِ مُتَعَبًا مَهْدُودًا يَقْطُرُ مَاءً
وَقَالَ لَهُ وَهُوَ يَلْهَثُ:
يَمْكِنُنِي الْعُنُورُ عَلَيْهِ
إِذَا بَيَّنَّتْ لِي مَكَانَ وَقُوعِهِ
فَتَنَاولَ الْأَسْتَاذَ السَّوَّارَ الثَّانِي

وَأَلْقَى بِهِ فِي الْمَاءِ

قَائِلًا:

إِنَّهُ هُنَاكَ .

13

إِن السَّيْرَ هُوَ اللَّقَاءُ بِكَ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ

يَا رَفِيقَ السَّفَرِ

وَهُوَ الْغِنَاءُ عَلَى وَقَعِ خُطْوَاتِكَ

إِنَّ مَنْ لَمْ يَمْسَسْهُ أَنْفَاسُكَ

لَا يَلُودُ بِالضُّفَافِ لِلِاحْتِمَاءِ بِهَا

وَلَكِنَّهُ يَنْشُرُ أَشْرَعَةً مُتَحَدِّيةً

وَيُشِقُّ الْعُبَابَ الْهَائِجَ

ذَلِكَ أَنْ الَّذِي يَفْتَحُ أَبْوَابَهُ

وَيَتَقَدَّمُ نَحْوَكَ يَظْفَرُ بِرِضَاكَ

إِنَّهُ لَا يَجْلِسُ لِكِي يُحْصِي أَرْبَاحَهُ

أَوْ يَمِئِي خَسَائِرَهُ
إِنْ قَلْبَهُ يَلْتَقُ طَبْلُ زَحْفِهِ
وَذَلِكَ مَعْنَى السَّيْرِ مَعَكَ
فِي كُلِّ خُطْوَةٍ
يَا رَفِيقَ السَّفَرِ

14

إِنَّ نَصِيبِي
مِنْ خَيْرِ هَذَا الْعَالَمِ
سَيِّئَاتِي مِنْ يَدَيْكَ
ذَلِكَ هُوَ وَعَدُّكَ
وَمَنْ أَجَلَ ذَلِكَ يَلْمَعُ نُورُكَ
فِي دُمُوعِي .
أَخْشَى أَنْ يَقُودَنِي الْآخَرُونَ
فَأَفُوتَكَ

وَأَنْتَ الَّذِي تَنْتَظِرُنِي
فِي زَاوِيَةِ إِحْدَى الطُّرُقِ
لِتَكُونَ مُرْشِدِي
وَأَقْطَعُ طَرِيقِي بِإِصْرَارٍ
حَتَّى يَجْذِبَكَ جُنُونِي
إِلَى أَبِي
لَأَنَّكَ وَعَدْتَنِي
بِأَنَّ نَصِييَ مِنْ خَيْرِ هَذَا الْعَالَمِ
سَيَكُونُ عَلَيَّ يَدَيْكَ.

15

بَسِيطَةٌ كَلِمَاتُكَ ، أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ
بَسَاطَةٌ لَا يَمْلِكُهَا أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَتَحَدَّثُونَ عَنْكَ
إِنِّي أَفْهَمُ صَوْتَ نُجُومِكَ
وَصَمْتِ أَشْجَارِكَ

وَأَعْرِفُ أَنْ قَلْبِي سَيَنْفَتَحُ كَالزَّهْرَةِ
وَأَنْ حَيَاتِي قَدْ أُنْعَمَ بِهَا نَبْعٌ خَفِيٌّ.
وَأَغْنِيَاتِكَ

مِثْلَ طَيْرِ قَرْيَةِ الشَّلْحِ الْمَهْجُورَةِ
تَطِيرُ

لِتَبْنِي عُشَّهَا فِي قَلْبِي
هَرَبًا مِنْ جَوِّ إِبْرِيلِ الْفَاتِرِ.

وَإِنِّي لَسَعِيدٌ
بِانْتِظَارِ الْمَوْسِمِ الْجَمِيلِ . . .

16

كَأَنْوَاعٍ يَعْرِفُونَ الطَّرِيقَ
فَجَاؤُوا لِلْبَحْثِ عَنكَ
عَبْرَ الدَّرْبِ الضَّيِّقِ
وَلَكِنِّي كُنْتُ أَجُوبُ آفَاقًا بَعِيدَةً

وأضربُ في غيَاهِبِ اللَّيْلِ
لأنِّي جَاهِلٌ
ولم أتلقَ عِلْمًا كَافِيًا
حَتَّى أَحْشَاكَ فِي الظَّلَامِ
وبِذَلِكَ بَلَغْتُ بَابَكَ
دُونَ أَنْ أُدْرِي
وَقَدْ لَأَمَنِي الحَكِيمُ وطَرَدَنِي
لأنِّي لَمْ أَسْلُكْ إِلَيْكَ الدَّرَبَ الضَّيِّقَ
وَكِدْتُ أَنْصَرِفُ
وَالشُّكُوكُ تُسَاوِرُ نَفْسِي
وَلَكِنَّكَ أَمْسَكْتَ بِي
فَكَانَ عُنْفُ احْتِجَاجَاتِهِمْ ضِدِّي
يَزْدَادُ كُلَّ يَوْمٍ

قَالَتْ لِي الْغَمَامَةُ

إِنِّي أَتَبَدَّدُ

وَقَالَ لِي اللَّيْلُ:

إِنِّي أَعُوصُ فِي أَعْمَاقِ الْفَجْرِ الْمُتَهَبِ

وَقَالَ لِي الْأَلَمُ:

إِنِّي أَظَلُّ عِنْدَ قَدَمَيْكَ فِي صَمْتِ عَوِيقِ

وَقَالَتْ لِي الْحَيَاةُ:

إِنِّي أَمُوتُ عِنْدَ مُنْتَهَى الْكَمَالِ

وَقَالَتْ لِي الْأَرْضُ:

إِن أَنْوَارِي تُقَبَّلُ أَفْكَارَكَ كُلَّ حِينٍ

وَقَالَ الْحُبُّ:

إِن الْأَيَّامَ تَمْضِي وَلَكِنِّي أَنْتَظِرُكَ

وَقَالَ الْمَوْتُ:

إني أدفعُ بزورقِ حياتكِ عبرَ البحرِ . .

18

كَلَّا . . لَيْسَ مِنْ أَجْلِكَ

يَتَفَتَّحُ الْبُرْعَمُ

هَزَّةً

اضْرِبُهُ

فَلَنْ يَكُونَ فِي وَسْعِكَ أَنْ تَجْعَلَهُ يَتَفَتَّحُ

إِنْ لَمُسْتِكَ تُشَوِّهُهُ

فِي وَسْعِكَ أَنْ تُمَزَّقَ أَفْوَافُهُ

وَتَرْمِيهَا قِطْعَةً قِطْعَةً فَوْقَ التُّرَابِ

وَلَكِنَّ الْأَلْوَانَ لَنْ تَظْهَرَ

وَلَنْ يَضُوعَ الْأَرِيحُ

آه ، لَيْسَ مِنْ أَجْلِكَ يَتَفَتَّحُ الْبُرْعَمُ

فَيَصِيرُ زَهْرَةً

إِن الَّذِي يُفْتَحُ الْبُرْعَمَ
يَفْعَلُ ذَلِكَ يُسْرٍ وَبَسَاطَةٍ
إِنَّهُ يُلْقِي عَلَيْهِ نَظْرَةً
فَيَجْرِي لَهَا نَسْغُ الْحَيَاةِ فِي عُرْوَقِهِ
وَعَلَى أَنْفَاسِهِ
تَبْسُطُ الزُّهْرَةَ أَجْنِحَتَهَا
وَتَتَمَائِلُ مَعَ الرِّيحِ
وَتَتَبَيَّقُ الْأَلْوَانَ عَفْوًا
مِثْلَ الرَّغَبَاتِ الْحَيَّةِ
وَالشُّدَى يَشِي بِسِرِّهِ الْجَمِيلِ
إِن الْقُدْرَةَ الَّتِي تَفْتَحُ الْبُرْعَمَ
تَفْعَلُ ذَلِكَ بِبَسَاطَةٍ وَيُسْرٍ.

19

حِينَ قَطَفَ الْبُسْتَانِي (سوداس)

مِنْ حَوْضِهِ
آخِرَ أَزْهَارِ اللُّوتِسِ الْبَاقِيَةِ
مِنْ اجْتِيَاكِ الشِّتَاءِ
وَتَوَجَّهَ إِلَى الْقَصْرِ الْمَلَكِيِّ
لِيَبْعَهَا لِلْمَلِكِ
قَابِلَ فِي طَرِيقَةِ مُسَافِرٍ قَالَ لَهُ :
حَدِّدْ سِعْرَكَ لِأَخِيرِ زَهْرَاتِ اللُّوتِسِ
إِنِّي أُرِيدُ تَقْدِيمَهَا
إِلَى الْإِلَهِ بُوذَا
فَقَالَ سُودَاسُ .
إِذَا نَقَدْتَنِي (مَا شَأْنُ) ذَهَبِيَّةً
فَإِنَّهَا سَتَكُونُ لَكَ
وَدَفَعَ الْمُسَافِرُ الثَّمَنَ
وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ خَرَجَ الْمَلِكُ
وَأَبْدَى الرَّغْبَةَ فِي شِرَاءِ الزُّهْرَةِ

إِذْ كَانَ مُتَوَجِّهًا هُوَ الْآخِرُ لِزِيَارَةِ بُودَا
وَقَدْ قَدَّرَ أَنَّهُ سَيَكُونُ جَمِيلًا
أَنْ يَضَعَ عِنْدَ قَدَمِي بُودَا
هَذِهِ الزُّهْرَةُ النَّادِرَةُ الَّتِي نُوِّرَتْ فِي الشِّتَاءِ
وَعِنْدَمَا قَالَ لَهُ الْبُسْتَانِيُّ إِنَّهُ عَرَضَ
مَا شَأْنُ ذَهَبِيَّةٍ ، عَرَضَ الْمَلِكُ
عَشْرَ مَاشَاتٍ ، وَلَكِنْ الْمُسَافِرُ
ضَاعَفَ الثَّمَنَ
وَحِينَئِذٍ فَكَّرَ الْبُسْتَانِيُّ الْجَشِيعُ
فِي أَنَّهُ سَيَنَالُ رِبْحًا أَوْفَرَ
مِنْ ذَلِكَ الرَّبِّ الَّذِي تَنَافَسَا
عَلَى إِهْدَائِهِ الزُّهْرَةَ
فَأَنحَنَى الْبُسْتَانِيُّ وَقَالَ :
لَا أَسْتَطِيعُ بَيْعَ زَهْرَةِ اللَّوْتَسِ .
وَفِي الظِّلِّ الصَّامِتِ لِعَابَةِ الْمَائِجَا

الوَاقِعَةَ خَلْفَ أَسْوَارِ الْمَدِينَةِ
كَانَ سُودَاسٌ وَاقِفًا أَمَامَ بُودَا
الَّذِي كَانَ يَجُثُّ فَوْقَ شَفْتَيْهِ

صَمَّتُ الْحُبُّ

وَفِي عَيْنَيْهِ كَانَ يُشِعُّ السَّلَامُ
مِثْلَ نَجْمَةِ الصَّبَاحِ الْوَضِيئَةِ
فِي الْخَرِيفِ الَّذِي بَلَّلَهُ النَّدى
وَحَلَّقَ سُودَاسٌ فِي وَجْهِ بُودَا
وَوَضَعَ زَهْرَةَ اللُّوتْسِ عِنْدَ قَدَمَيْهِ

وَسَجَدَ فَوْقَ التُّرَابِ

فَابْتَسَمَ بُودَا وَسَأَلَهُ

مَا هِيَ أُمِّيَّتُكَ يَا بُنِي؟

فَهَتَّفَ سُودَاسٌ قَائِلًا:

أَخِرَ لِمَسَّةٍ مِنْ قَدَمَيْكَ

أَيُّهَا اللَّيْلُ
 أَيُّهَا اللَّيْلُ الْمُحَجَّبُ
 إِجْعَلْنِي شَاعِرَكَ
 لَقَدْ لَبِثَ أَنْاسٌ أَحْقَابًا طَوِيلَةً
 مُعْتَصِمِينَ بِالصَّمْتِ تَحْتَ ظِلَالِكَ
 فَدَعْنِي أَعْنِي أَعْنِيَاتِهِمْ
 وَلتُرَكِّبْنِي عَرَبَتِكَ الْخَالِيَةَ مِنَ الْعَجَلَاتِ
 تِلْكَ الَّتِي تَقْطَعُ هَذِهِ الْعَوَالِمَ دُونَ صَوْتِ
 أَيُّهَا اللَّيْلُ
 أَيُّهَا الْمَلِكُ عَلَى قَصْرِ الزَّمَنِ
 أَيُّهَا الْعُمُوضُ الْجَوِيلُ
 كَثِيرَةٌ هِيَ الْعُقُولُ الْمُتَطَلِّعَةُ
 الَّتِي تَسَلَّتْ خِلْسَةً إِلَى رِحَابِكَ

وَجَابَتْ أَرْكَانَ بَيْتِكَ الْمُظْلِمِ
بَحْثًا عَنْ جَوَابِ
وَكثيرةٌ هي القلوبُ التي أصابَتْهَا
أَيْدِي المَجْهُولِ
بِسِهَامِ الفَرْحَةِ
فَتَفَجَّرَتْ بالأغْنِيَاتِ البَهِيجَةِ
وَهَزَّتْ أَرْكَانَ الظَّلَامِ
إِنَّهَا تِلْكَ الأرواحُ المُوَرِّقَةُ التي تُحَلِّقُ
فِي نُورِ النُّجُومِ
مُنْبَهَرَةً
بِالْكُنُوزِ التي عَثَرَتْ عَلَيْهَا فَجَاءَتْ
إِجْعَلْنِي شَاعِرَكَ أَيُّهَا اللَّيْلُ
شَاعِرَ صَمْتِكَ العَمِيقِ . .

سَأَلْتَنِي (بِالْحَيَاةِ) فِي أَعْمَاقِي
بِالْبَهْجَةِ الَّتِي تَخْتْفِي فِي حَيَاتِي
وَرَعَمَ أَنْ الْأَيَّامَ
تُعْرِقُ خُطَايَ
بِغُبَارِهَا الْخَامِلِ
فَقَدْ عَرَفْتُهَا فِي رُؤْيِ خَاطِفَةٍ
وَنَفْسُهَا الْمُتَقَطِّعُ نَزَلَ عَلَيَّ
جَاعِلًا أَفْكَارِي لِبُرْهَةٍ قَصِيرَةٍ
مُعْطَرَةً .

سَأَلْتَنِي فِي يَوْمٍ مِنْ الْأَيَّامِ
بِالْبَهْجَةِ الَّتِي تَسْكُنُ لُونِ صُحْبَتِي
خَلْفَ حِجَابِ النُّورِ
وَسَوْفَ أَظَلُّ فِي وَحْدَتِي الْفَيَّاضَةِ
حَيْثُ تُرَى كُلَّ الْأَشْيَاءِ
كَمَا يَرَاهَا الْخَالِقُ نَفْسُهُ .

اللَّيْلُ حَالِكٌ
 وَنَوْمُكَ عَمِيقٌ
 فِي صَمْتٍ وَجُودِي
 اسْتَيْقِظْ
 يَا عَذَابَ الْحُبِّ
 لِأَنِّي لَا أَعْرِفُ كَيْفَ أَفْتَحُ الْبَابَ
 وَأَقِفُ خَارِجَهُ
 إِنْ السَّاعَاتُ لَمُنْتَظِرَةٌ
 وَالنُّجُومُ سَاهِرَةٌ
 وَالرِّيْحُ سَاكِنَةٌ
 وَالصَّمْتُ ثَقِيلٌ عَلَى قَلْبِي
 فَاسْتَيْقِظْ
 يَا عَذَابَ الْحُبِّ

وَأَمْلَأُ كَأْسِي الْفَارِغَةَ
وَدَعْدِغِ اللَّيْلِ
بِنَسَمَاتِ أُغْنِيَةِ .
عُصْفُورِ الصَّبَاحِ يُغْنِي
فَمِنْ أَيْنَ جَاءَتْهُ أَنْبَاءُ الصَّبَاحِ
قَبْلَ بُزُوعِهِ ، حِينَ مَا يَزَالُ مَارِدُ اللَّيْلِ
يُلْفُ السَّمَاءِ فِي أَرْدِيَّتِهِ
الْبَارِدَةِ السُّودَاءِ ؟
خَبَّرْنِي يَا عُصْفُورَ الصَّبَاحِ
كَيْفَ يَسْتَطِيعُ رَسُولُ الشَّرْقِ
أَنْ يَتَغَلَّغَلَ فِي أَحْلَامِكَ
عَبْرَ لَيْلَيْنِ مُضَاعَفَيْنِ
لَيْلِ السَّمَاءِ وَلَيْلِ الْأُورَاقِ

25

إِنَّ الْكَوْنَ لَا يُصَدِّقُكَ حِينَ تُغْنِي

إِنَّ الشَّمْسَ تَرْحَفُ وَاللَّيْلُ يُؤَلِّي
فَاسْتَيْقِظْ أَيُّهَا النَّائِمُ
وَإَكْشِفْ جِهَتَكَ
انْتَظِرْ أَلِقُبَلَةَ الثُّورِ الْأُولَى
وَلْتُغَنَّ مَعَ عُصْفُورِ الصَّبَاحِ
فِي أَمَلٍ بَهِيجٍ .

(26)

الْمُتَسَوِّلُ الَّذِي فِي أَعْمَاقِي
رَفَعَ يَدَيْهِ الْمُتَوَاضِعَتَيْنِ
إِلَى السَّمَاءِ الْخَالِيَةِ مِنَ النُّجُومِ
وَصَرَخَ فِي أُذُنِ اللَّيْلِ
بِصَوْتِهِ الْوَاهِنِ الضَّعِيفِ
مُتَوَجِّهًا بِصَلَوَاتِهِ
إِلَى الظُّلْمَةِ الْعَمِيَاءِ الَّتِي تَمْتَدُّ

مِثْلَ إِلَهٍ سَقَطَ فِي سَمَاءِ مُوحِشَةٍ
بِأَمَالِهَا الضَّائِعَةِ
وَأَخَذَ صَوْتُ الرُّعْبَةِ
يُحَوِّمُ حَوْلَ هَاوِيَةِ اليَاسِ
مِثْلَ طَائِرٍ مُرْتَعِشِ
يُحَلِّقُ حَوْلَ عَشِيِّ المَهْجُورِ
وَلَكِنَّ، حِينَ أَلْقَى الصَّبَاحُ مَرَّاسِيهِ
عَلَى حَاقَّةِ الشَّرْقِ
قَفَزَ المُتَسَوِّلُ الذِي فِي أَعْمَاقِي
صَارِخًا:

مَا أَسْعَدَنِي بِحَظِّي!
لَقَدْ رَفَضَنِي اللَّيْلُ الأَصَمُّ
وَتَكَشَّفَتْ خَزَائِنُهُ عَن خُوءِ .
وَصَرَخَ:
أَيَّتَهَا الحَبَابَةُ

أيها النورُ
مَا أَغْلَاكُمَا!
وَمَا أَغْلَى الْفَرْحَةَ الَّتِي عَرَفْتُهَا
فِي النَّهَائِيَةِ ! ..

27

كَانَ النَّاسِكُ سَنَاتَانِ
يَسْبَحُ عِنْدَ ضِفَّةِ نَهْرِ الْكِنَجِ
حِينَ اقْتَرَبَ مِنْهُ بَرَّهْمِيُّ رَثُ الشَّيَابِ قَائِلًا:
إِنِّي فَقِيرٌ . . سَاعِدْنِي
قَالَ سَنَاتَانِ:
كُلُّ مَا أَمْلِكُهُ هُوَ هَذَا الْوِعَاءُ الَّذِي أَجْمَعُ
فِيهِ الصَّدَقَاتِ . وَقَدْ أَعْطَيْتُ كُلَّ مَا عِنْدِي
قَالَ الْبَرَّهْمِيُّ:
لَقَدْ بَدَأَ الْإِلَهِ (شَيْفَا) فِي حُلْمِي وَنَصَحَنِي

بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْكَ
وَتَذَكُّرِ النَّاسِكِ سَنَاتَانِ فَجَاءَ
أَنَّهُ قَدْ التَّقَطَّ حَجْرًا نَفِيسًا لَا يُقَدَّرُ بِشَمَنِ
بَيْنَ صُحُورِ ضَيْقَةِ النَّهْرِ
وَأَخْفَاهُ فِي التُّرَابِ تَوْقِعًا لِحَاجَةِ
بَعْضِ النَّاسِ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ
وَأرْشَدَ الْبَرْهَمِيَّ إِلَى الْمَكَانِ
حَيْثُ حَفَرَ، وَفِي دَهْشَةٍ
عَثَرَ عَلَى الْحَجَرِ الثَّمِينِ
وَجَلَسَ الْبَرْهَمِيُّ عَلَى الْأَرْضِ
يَتَأَمَّلُ فِي صَمْتٍ وَسُكُونٍ
حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ خَلْفَ أَعْصَانِ الشَّجَرِ
وَعَادَ الرُّعَاةَ إِلَى بُيُوتِهِمْ
يُسُوقُونَ قُطْعَانَهُمْ
وَجِيئْتُمْ نَهْضًا، وَأَقْبَلَ بِهَدُوءٍ

عَلَى سَنَاتَانِ وَقَالَ لَهُ:
أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ، أَعْطِنِي قَلِيلاً مِنَ الثَّرْوَةِ
الَّتِي تَحْتَقِرُ ثُرَوَاتِ الْعَالَمِ،
قَالَ ذَلِكَ، وَأَلْقَى ذَلِكَ الْحَجَرَ
الَّذِينَ فِي الْمَاءِ.

28

مَرَّاتٍ عَدِيدَةً
وَقَفْتُ عِنْدَ بَابِكَ
مُلْتَمِساً الْمَزِيدَ، ثُمَّ الْمَزِيدَ مِنْ عَطَائِكَ
وَلَقَدْ أَعْطَيْتَنِي
وَمَنْحَتِي
أَحْيَاناً بِمُقْدَارٍ
وَأَحْيَاناً بِكَرَمٍ بَاهٍ
وَتَنَاوَلْتُ بَعْضَ مَا مَنْحَتِي

وَتَرَكْتُ الْبَعْضَ الْآخَرَ يَتَسَاقَطُ
فَبَعْضُ هَذِهِ الْعَطَايَا أَنْقَلْتُ يَدَيَّ
وَصَنَعْتُ مِنْ بَعْضِهَا الْآخَرَ
دُمِّي حَطَّمْتُهَا حِينَ بَرِمْتُ بِهَا
وَقَامَتْ مِنَ الْحُطَامِ
وَمِنْ عَطَايَاكَ الْوَافِرَةَ
أَكْوَامٌ ضَخْمَةٌ
حَجَبَتْكَ عَنِّي
وَالْإِنْتِظَارَ الْمُرْهَقُ مَزَّقَ قَلْبِي
وَتَعَالَتْ صَرَخَتِي
خُذْ عَنِّي خُذْ
وَالآنَ فَوْرًا
دَمَّرَ قَدَحَ الشَّحَاذِ الْمُتَسَوِّلِ
وَاطْفِئْ هَذَا الْمُصْبِحَ الْمِلْحَاحَ
السَّاهِرَ بِلاَ مَعْنَى

وَأَمْسِكْ بِيَدِي
وَآخِرْجُنِي مِنْ هَذَا الرُّكَّامِ الْمُتْرَايِدِ
مَنْ عَطَايَاكَ
وَأَرْفَعْنِي إِلَى اللَّائِنِهَايَةِ الْمُجَرَّدَةِ
لِحُضُورِكَ غَيْرِ الْمُتَوَجِّحِ . . .

29

لَقَدْ وَضَعْتَنِي ضِمْنَ الْمَهْزُومِينَ
وَإِنِّي لَا أَعْرِفُ أَنَّ النَّصْرَ لَيْسَ قَدْرِي
وَلَا التَّوَقُّفَ عَنِ الْمُقَامَرَةِ
سَأَلْتَنِي بِنَفْسِي فِي الْوَحْلِ
مَنْ أَجَلٍ أَنْ الْمَسَّ الْقَاعَ
وَأَرَاهِنَ عَلَى دِمَارِي
وَسَارَاهِنَ بِكُلِّ مَا أَمْلِكُ
وَحِينَ أَفْقِدُ الْفَيْلَسَ الْأَخْيَرَ
سَأُوقِنَ حِينَئِذَكَ

بَأَنِّي انْتَصَرْتُ
بِفَضْلِ هَزِيمَتِي التَّامَّةِ . .

30

ابْتِسَامَةٌ مِنَ الْبَهْجَةِ عَمَّتْ أَرْجَاءَ السَّمَاءِ
حِينَ كَسَوْتَ قَلْبِي، أَسْمَالًا بِأَلِيَّةِ
وَأَرْسَلْتَهُ لِيَسْتَجِدِّي فِي الطَّرِيقَاتِ .
لَقَدْ تَنَقَّلَ مِنْ بَابٍ إِلَى بَابٍ
وَلَكِنْ مَا يَكَادُ وَعَاوُهُ يَمْتَلِيءُ
حَتَّى يُسْرِقَ .
وَفِي نِهَآيَةِ الْيَوْمِ الطَّوِيلِ
وَصَلَ إِلَى بَابِ قَصْرِكَ

رَافِعاً وَعَاءَهُ الْحَقِيرَ
وَحِينَئِذٍ نَزَلَتْ مِنْ عَلَيَّاكَ
وَأَخَذْتَ بِيَدِهِ
ثُمَّ أَجْلَسْتَهُ عَلَى الْعَرْشِ .
حِينَ فَكَّرْتُ فِي أَنْ أَصُوغَ لَكَ
نَمُودَجاً مُقْتَبَساً مِنْ حَيَاتِي
يَعْبُدُكَ النَّاسُ فِيهِ
تَنَاوَلْتُ تُرَابِي وَرَغَبَاتِي
وَكُلَّ أَوْهَامِي وَأَحْلَامِي الزَّاهِيَةِ الْمُلوَّنةِ
وَحِينَ طَلَبْتُ إِلَيْكَ
أَنْ تَصُوغَ مِنْ حَيَاتِي نَمُودَجاً مُقْتَبَساً مِنْ قَلْبِكَ
رَأَيْتَكَ تَتَنَاوَلُ نَارَكَ وَقُوتَكَ
وَحَقِيقَتَكَ وَنِعْمَتَكَ وَسَلَامَكَ .

31

حِينَ اجْتَاكَ الْمَجَاعَةُ بِلَدَةِ شَارَفَسْتِي

سَأَلَ بُوَذَا أَتْبَاعَهُ :

مَنْ مِنْكُمْ سَيُطْعِمُ الْجَائِعِينَ؟

فَحَنَى الثَّرِيُّ (راتناكار) رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ :

إِنْ نَزَوْتِي كُلُّهَا لَا تَكْفِي لِإِطْعَامِ الْجَائِعِينَ

أَمَّا (جَاسِس) قَائِدُ جَيْشِ الْمَلِكِ فَقَالَ :

وَدِدْتُ لَوْ بَدَلْتُ دَمِي ، وَلَكِنْ لَا يَتَوَفَّرُ

طَعَامٌ كَافٍ فِي بَيْتِي .

وَتَهَدَّدَ (دارما بال) الذي يَمْلِكُ أَرْضِي شَاسِعَةً :

إِنْ شَيْطَانُ الْجَفَافِ قَدْ أَصَابَ حُقُولِي

كُلُّهَا بِالْجَفَافِ . وَلَا أَدْرِي كَيْفَ أُسَدِّدُ

الضَّرَائِبَ لِلْمَلِكِ

وَعِنْدَيْهِ نَهَضَتْ (سوبريا) ، ابْنَةُ الْمُتَسَوِّلِ

وَقَالَتْ بِلُطْفٍ . . أَنَا سَأُطْعِمُ الْجَوْعَى

وَاسْتَعْرَبَ الْجَمِيعُ قَوْلَهَا وَهْتَفُوا

بِهَا مُتَسَائِلِينَ . . كَيْفَ يُمَكِّنُكَ تَحْقِيقُ

هَذَا النَّذْرُ؟

قَالَتْ (سُؤْبَرِيَا) :

لِأَنِّي أَفْقَرُكُمْ جَمِيعًا . . . وَتِلْكَ هِيَ قُوَّتِي
أَمَّا الْمَالُ وَمَخَارِزُ الْقَمْحِ فَسَأَجِدُهَا
فِي بَيْتِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ .

(32)

لَمْ أَعْرِفْ مَلِيكِي

وَحِينَ طَلَبَ مِنِّي زَكَاتَهُ

ظَنَنْتُ أَنَّهُ يُمَكِّنُنِي الْاِخْتِيَاءُ

وَتَرَكْتُ دُيُونِي قَائِمَةً

وَاِخْتِبَاتُ وَأَمَعَنْتُ فِي الْاِخْتِيَاءِ

خَلْفَ الْعَمَلِ الْيَوْمِيِّ

وَسِرَّتْ وَرَاءَ أَحْلَامِ لَيْلِي

وَلَكِنَّ طَلَبَاتِهِ كَانَتْ تُلَاخِضُنِي

وَتَتَابِعُ كُلَّ نَفْسٍ مِنْ أَنْفَاسِي
وَهَكَذَا أَدْرَكْتُ أَنَّهُ يَعْرِفُنِي
وَأَنَّهُ لَيْسَ لِي مَكَانٌ أَدْعِيهِ
وَالآنَ فَإِنِّي أُرْغَبُ فِي أَنْ أَضَعَ
كُلَّ مَا أَمْلِكُ تَحْتَ قَدَمَيْهِ
لِيَكِيَ أَظْفَرُ بِحَقِّ الْحُصُولِ
عَلَى مَكَانٍ فِي مَمْلَكَتِهِ . .

34

أَعْلَنَ خَادِمُ الْمَلِكِ :
يَا مَوْلَايَ . . إِنْ الْقَدِيسَ (نُورًا تَامًا)
لَمْ يَتَنَازَلَ يَوْمًا لِلدُّخُولِ فِي مَعْبَدِكَ الْمَلِكِيِّ
إِنَّهُ يُرْتَلُّ صَلَوَاتِهِ الْمَرْفُوعَةَ إِلَى اللَّهِ
تَحْتَ الْأَشْجَارِ الَّتِي تَحْفُ بِطُولِ الطَّرِيقِ
وَالْمَعْبَدُ خَالٍ مِنَ الْعَابِدِينَ

وَهُمْ يَتَجَمَّعُونَ حَوْلَهُ كَمَا يَتَجَمَّعُ النَّحْلُ
 حَوْلَ زَهْرَةِ اللُّوتَسِ الْبَيْضَاءِ
 غَيْرِ عَابِي . بِجَرَّةِ الْعَسَلِ الدَّهَبِيَّةِ .
 وَأَحْسَّ الْمَلِكُ بِهِذِهِ الْمُعَارِضَةَ
 فَذَهَبَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي يَجْلِسُ فِيهِ
 نُورَاتَامَ ، فَوْقَ الْأَعْشَابِ ، وَسَأَلَهُ :
 أَيُّهَا الْأَب
 لِمَاذَا تَتَخَلَّى عَنِ مَعْبُدِي ذِي الْقُبَّةِ
 الدَّهَبِيَّةِ ، وَتَجْلِسُ هُنَا فَوْقَ التَّرَابِ
 لِتُصَلِّيَ حُبًّا لِلَّهِ ؟
 فَأَجَابَ نُورَاتَامَ :
 لِأَنَّ اللَّهَ لَا يُوجَدُ فِي مَعْبِدِكَ
 فَنَظَرَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ مُتَجَهِّمًا وَقَالَ :
 أَتَعْلَمُ أَنَّهُ كَلَّفَنِي عِشْرِينَ مِليُونِ
 قِطْعَةً ذَهَبِيَّةً بِنَاءِ ذَلِكَ الْعَمَلِ الرَّائِعِ ؟

وَأَنَّهُ قَدْ كُرِّسَ لِلَّهِ بِمَرَاسِمٍ غَالِيَةٍ .

قَالَ نُورَانَامَ :

أَجَلٌ . . . إِنِّي أَعْرِفُ ، وَأَعْرِفُ أَنَّهُ

فِي ذَلِكَ الْعَامِ كَانَ آلاَفُ مِنْ رَعَايَاكَ

الَّذِينَ حُرِّقَتْ بُيُوتُهُمْ يَطْلُبُونَ الْعَوْنَ

عَبَثًا أَمَامَ بَابِكَ

وَقَالَ اللَّهُ حِينَئِذٍ :

إِنَّ الْمَخْلُوقَ الضَّعِيفَ الَّذِي لَمْ يَسْتَطِعْ

أَنْ يُقَدِّمَ مَأْوَى لِإِخْوَانِهِ ، يُرِيدُ الْيَوْمَ

أَنْ يَبْنِي مَعْبَدِي ؟

وَأَقَامَ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ مَعَ النَّاسِ

الَّذِينَ لَا مَأْوَى لَهُمْ ، تَحْتَ الْأَشْجَارِ

الْمُمْتَدَّةِ عَلَى الطَّرِيقِ .

إِنَّ تِلْكَ الْقُبَّةَ الذَّهَبِيَّةَ مُنْتَفِحَةً

بِكِبْرِيَائِكَ الْفَارِغَةِ !

وَصَرَخَ الْمَلِكُ غَاظِيًا
أَتْرَكَ بَلَدِي
فَأَجَابَهُ الْقَدِيسُ بِهُدُوءٍ:
أَجَلٌ ، شَرَّدَنِي أَنَا الْآخِرُ
كَمَا شَرَّدْتَ إِلَهِي .

35

الْبُوقُ جَائِمٌ فَوْقَ التَّرَابِ
وَالرِّيحُ مُتَعَبَةٌ
وَالثُّورُ قَدْ مَاتَ
آه يَا لَهُ مِنْ يَوْمٍ فَطِيعٍ
تَعَالَوْا أَيُّهَا الْمُحَارِبُونَ
حَامِلِينَ أَعْلَامَكُمْ
وَتَعَالَوْا أَيُّهَا الْمُنْشِدُونَ
بِأَنَاشِيدِكُمُ الْحَرْبِيَّةِ

تَعَالَوْا يَا حُجَّاجَ الرَّحْفِ
وَعَجَّلُوا فِي خَطْوِكُمْ
فَإِنَّ الْبُوقَ الْجَائِمَ فَوْقَ الْأَرْضِ
فِي انْتِظَارِكُمْ
كُنْتُ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْمَعْبَدِ
حَامِلًا هِبَاتِي الْمَسَائِيَّةَ
بَاحِثًا عَنْ مَكَانٍ أَسْتَرِيحُ إِلَيْهِ
بَعْدَ عَنَاءِ الْعَمَلِ الْيَوْمِيِّ
أَمِلًا أَنْ تُشْفَى جِرَاحِي
وَتُغْسَلَ اللَّطَخَاتُ عَنْ ثِيَابِي
حِينَ صَادَفَنِي بُوقُكَ
الْجَائِمُ فَوْقَ التُّرَابِ
أَلَمْ تَجِنْ بَعْدَ السَّاعَةِ الَّتِي
أُرْقِدُ فِيهَا عَادَةً شَمْعَتِي الْمَسَائِيَّةَ؟
أَلَمْ يُغْنِ اللَّيْلُ بَعْدَ تَرْيِمَةِ

النَّوْمِ لِلنُّجُومِ ؟

آه ، أنتِ أيتها الوردَةُ الحمراء

مِثْلَ الدَّمِ .

إن أحلامَ نومي

قد ذُبلتِ وشحبتِ

إِتي لَعلى يَقِينِ .

بأن طوافي قد انتهى

وأن ديُوني قد سدّدتُ

حين وقعتُ صدفةً على ذلك

البوقِ الجائِمِ فوق التُّرابِ .

فهزَّ قلبي النَّاعِسَ

بِسِحْرِكَ الشَّابِ

لِتَسْتَقِظَ بِهَجَّةِ الحَيَاةِ فِي نَفْسِي

وَتَتَأَجَّجَ .

وسهامُ اليَقْظَةِ تطيرُ عبْرَ قلبِ اللَّيْلِ .

ورعشة من الرعب تُهزُّ العمى
والشلل .

لقد جئتُ لِكِي أَرْفَعُ
بُوقَكَ الْجَائِمَ فِي التُّرَابِ
فَالنُّومُ لَمْ يَعُدْ مُلَائِمًا لِي
سَأَرْحَفُ تَحْتَ سَحَابَةٍ مِنَ السَّهَامِ
بَعْضُهُمْ سَيَخْرُجُ مُسْرِعًا مِنْ بَيْتِهِ
وَيَسِيرُ إِلَى جَانِبِي

وبعضُهُمْ سَوْفَ يَبْكِي
وَبَعْضُهُمْ سَيَتَّقَلَّبُ فِي أَسْرَتِهِ
وَيَعْرِقُ فِي أَحْلَامِ رَهِيْبَةٍ
ذَلِكَ لِأَنَّهُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ
سَيُنْفَخُ فِي بُوقِكَ
لَقَدْ طَلَبْتُ إِلَيْكَ السَّلْمَ
لِكِي أَجِدَ فَقَطِ الْعَارِ

والآن أمثلُ أمامَكَ
فأعني على ارتداء الدرعِ
وأن ضرباتِ قاسيةً من الألمِ
ستُلهبُ حياتي
وأن يلقَّ قلبي في ألمِهِ
طَبَلَ النَّصْرِ
وستفرغُ يداي من كلِّ شيءٍ
من أجل أن تُمسِكَ بِبُوقِكَ

36

أيُّهَا الْجَمِيلُ
حين استولى عليهم جنونُ الفرحِ
فرَفَعُوا الوَحْلَ يَلطَّخُونَ بِهِ ثَوْبَكَ
حَزَّ ذَلِكَ فِي نَفْسِي
وَهْتَفْتُ بِكَ

خُذْ سَوْطَ عَذَابِكَ وَاقْتَصِّ مِنْهُمْ
إِنْ نُورَ الصَّبَاحِ أَعْشَى عِيُونَهُمْ
المُحْمَرَّةَ بِفُجُورِ اللَّيْلِ
وَتَعَالَتْ أَنْفُسُهُمُ الْمُحْرِقَةَ عَلَى أَرِيحِ السَّوْسَنِ
الأَبْيَضِ

وَكَانَتِ النُّجُومُ عَبْرَ عُمُقِ الظُّلْمَةِ الْمُقَدَّسَةِ
تَتَأَمَّلُ قِصْفَهُمُ الصَّاحِبِ
أَوْلِيكَ الَّذِينَ رَفَعُوا الْوَحْلَ
لِيَلْطَخُوا بِهِ تَوْبَكَ
أَيُّهَا الْجَمِيلُ

وَكَانَ عَرْشُ قِضَائِكَ يَرْتَفِعُ فِي حَدِيقَةِ الزُّهُورِ
فِي نَعَمَاتِ الْحَانِ طَيُورِ الرَّبِيعِ
وَفِي ضِيْفَانِ النَّهْرِ الظِّلِيلَةِ
حَيْثُ حَفِيفُ الشَّجَرِ يَتَجَاوَبُ
مَعَ هَلْدِيرِ الْأَمْوَاجِ

أيدٍ أيتها العشيقي
في غيِّهم نَضَبَتِ الرَّحْمَةُ .
وفي جُنْحِ الظَّلَامِ
انْتَرَعُوا حَلِيكَ لِكَيْ يُزَيِّنُوا
بِهَا تَزَوَاتِهِمْ .
وَحِينَ ضَرَبُوكَ وَالْمُوكَ
أَحْسَسْتُ بِالطَّعَنَاتِ فِي جَسَدِي
وَهَتَفْتُ بِكَ
خُذْ سَيْفَكَ يَا عَشِيقِي
وَأَقْتَصِرْ مِنْهُمْ
وَكَانَ عَدْلُكَ سَاهِرًا
لَقَدْ ذَرَفَتْ إِحْدَى الْأُمُهَاتِ دُمُوعَهَا
عَلَى وَقَاحَتِهِمْ
وَالِإِيمَانَ الْخَالِدِ لِإِحْدَى الْعَشِيقَاتِ
قَدْ أَعْمَدَ سِيَهَامَ ثَوْرَتِهِمْ فِي جِرَاحِهِمْ

نَفْسِهَا .

لَقَدْ كَانَ قَصَاصُكَ فِي الْأَلَمِ الصَّامِتِ

لِلْحُبِّ الْيَقْظَانِ

فِي حُمْرَةِ الطُّهْرِ

فِي الدَّمُوعِ اللَّيْلِيَّةِ

لِلْإِنْسَانِ الْيَائِسِ

وَفِي النُّورِ الشَّاحِبِ لِغُفْرَانِ الصَّبَّاحِ

أَيُّهَا الرَّهِيْبُ . . . إِنَّهُمْ فِي جَشَعِهِمْ

الْكِرِيهَةِ قَدْ هَجَمُوا عَلَى خَزَائِنِكَ

لِكَيْ يَنْهَبُوا مَا لَدَيْكَ

وَلَكِنْ عَبَاءَ الْغَنَائِمِ كَانَ ثَقِيلاً

أَنْقَلَ مِنْ قُدْرَتِهِمْ عَلَى حَمَلِهِ

حَيْثُ هَتَفَتْ بِكَ اغْفِرْ لَهُمْ

أَيُّهَا الرَّهِيْبُ

فَتَفَجَّرَ صَفْحُكَ فِي عَوَاصِفِ

أَلَقْتُ بِهِمْ إِلَى الْأَرْضِ
وَتَعَثَّرَتْ أَسْلَابُهُمْ فِي التَّرَابِ
لَقَدْ كَانَ عَفْرَأُكَ فِي صَخْرَةِ الرَّعْدِ
وَفِي مَطَرِ الدَّمِّ
وَفِي لَوْنِ الْغُرُوبِ الْخَضِيبِ
الْغَاضِبِ

37

كان (أوباغوبتا) تلميذُ بوذا
مُضْطَجِعاً فَوْقَ التَّرَابِ
قُرْبَ سُورِ مَدِينَةِ (ماتورا)
وَكَانَتِ الْمَصَابِيحُ كُلُّهَا مُطْفَأَةً
وَكُلُّ النُّجُومِ مُخْتَبِئَةً
فِي سَمَاءِ أَعْطَسَ الْمُظْلِمَةِ .
فَمَنْ هَذِهِ الَّتِي لَأَمَسَتْ بِخَلَايِجِهَا

صَدْرَهُ فَجَاءَهُ؟

اسْتَيْقَظَ مَدْعُورًا

وَالنُّورَ الْمُرْتَجِفُ الْمُنْبَعِثُ مِنْ مِصْبَاحِ امْرَأَةٍ

قَدْ بَهَرَ عَيْنَيْهِ الطَّافِحَتَيْنِ بِالتَّسَامُحِ

وَالغُفْرَانَ .

كَانَتِ الرَّاقِصَةَ

وَقَدْ غَطَّتْهَا الْجَوَاهِرُ وَالْحُلِيِّ

وَقَدْ التَّفَّتِ بُبْرُنْسٍ أَزْرَقَ شَاحِبِ

نَشْوَى بِخَمْرِ شَبَابِهَا الْفَيَّاضِ

وَخَفَّضَتْ مِصْبَاحَهَا

فَرَأَى مُحْيَاها الشَّابَّ وَقَدْ اِكْتَسَى

مَسْحَةً مِنْ جَمَالٍ مُتَوَاضِعِ

وَقَالَتْ لَهُ :

اعْفِرْ لِي أَيُّهَا الْفَتَى النَّاسِكُ

إِنِّي أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ أَنْ تَأْتِي إِلَيَّ بَيْتِي

فَهَذِهِ الْأَرْضُ الْجَرْدَاءُ

لَيْسَتْ فِرَاشًا لِأَيْقَانِكَ

فَأَجَابَهَا النَّاسِكُ:

أَيُّهَا الْمَرْأَةُ ، امْضِي فِي طَرِيقِكَ

وَحِينَ يَأْزِفُ الْوَقْتُ ، سَأَتِي

إِلَيْكَ .

وَفَجْأَةً

كَشَفَ اللَّيْلَ الْحَالِكُ عَنْ أُنْيَابِهِ

فِي بَرِيقِ الرَّعْدِ

وَزَمْجَرَتِ الْعَاصِفَةُ فِي أَرْجَاءِ السَّمَاءِ

وَارْتَجَفَتِ الْمَرْأَةُ رُعبًا

وَعَلَى حَافَةِ الطَّرِيقِ

كَانَتْ أَغْصَانُ الْأَشْجَارِ تَنْوُؤُ بِزُهورِهَا

وَنِغْمَاتُ جَذَلَى تَنْسَابُ مِنْ نَائِي

بَعِيدِ

في جَوْ الرَّبِيعِ الْفَاتِرِ
وَتَوَجَّهَ النَّاسُ إِلَى الْغَابَاتِ
احْتِفَالاً بِعِيدِ الزُّهُورِ الْبَهِيحِ
وَفِي كَيْدِ السَّمَاءِ، كَانَ الْبَدْرُ
يُحَلِّقُ فِي ظِلَالِ الْمَدِينَةِ الصَّامِتَةِ .
كَانَ النَّاسُ يَسِيرُ فِي الطَّرِيقِ الْمَهْجُورَةِ
وَفَوْقَ رَأْسِهِ كَانَتْ طَيُورُ الْكُوسِ
الْوَلَهَى تُرَدِّدُ شِكَايَتَهَا السَّاهِرَةَ
عَلَى أَغْصَانِ الْمَانِجَا
وَاجْتَازَ أَوْ بَاغُوبِنَا بَوَابَاتِ الْمَدِينَةِ
وَوَقَفَ عِنْدَ قَاعِدَةِ الْقَلْعَةِ .
مَنْ هِيَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ الَّتِي تَضْطَجِعُ
فِي ظِلَالِ السُّورِ، وَقَدْ أَصَابَهَا
الطَّاعُونُ الْأَسْوَدُ فِي جَسَدِهَا
الْمَكْسُورِ بِالْجِرَاحِ ، وَقَدْ عَجَّلُوا بِإِبْعَادِهَا

عن المَدِينَةِ؟

وَجَلَسَ النَّاسِكُ إِلَى جِوَارِهَا

وَاضِعاً رَأْسَهَا فَوْقَ رُكْبَتَيْهِ

مُبْتَلِئاً شِفَاهَهَا بِالْمَاءِ

وَدَهَنَ جَسَدَهَا بِالْمَرِّهِمْ .

سَأَلَتِ الْمَرْأَةُ :

مَنْ أَنْتَ . . أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ الرَّحِيمُ؟

فَأَجَابَهَا النَّاسِكُ الشَّابَّ

وَأَخِيراً أَزَفَ الْوَقْتُ

الَّذِي أَزُورُكَ فِيهِ

إِنِّي هُنَا قَرِيبٌ مِنْكَ

(38)

لَمْ يَكُنْ هَذَا مُجَرَّدَ عِبْتِ غَرَامِي بَيْنَنَا

يَا حَبِيبِي

لَقَدْ عَصَفْتُ بِي
مِثَّةَ مَرَّةٍ
الليالي الصَّارِخَةُ بِالْعَوَاصِفِ
مُطْفِئَةً وَمِصْبَاحِي
وَتَجَمَّعَتِ الشُّكُوكُ الْقَائِمَةُ
لِتَمْحُوَ جَمِيعَ النُّجُومِ مِنْ سَمَائِي .
مِثَّةَ مَرَّةٍ
حَطَمَ النَّهْرُ سُدُودَهُ
تَارِكًا لِفَيْضَانِهِ جَرَفَ مَحَاصِيلِي
فَمَزَّقَتِ الشُّكُورَى وَالْيَاسُ
أَرْجَاءَ سَمَائِي
مِنَ الْقِمَّةِ حَتَّى الْقَاعِ
وَقَدْ تَعَلَّمْتُ مِنْ ذَلِكَ :
أَنَّ الضَّرَبَاتِ الْمُؤَلِّمَةَ
قَدْ تَأْتِي مِنْ حُبِّكَ

وَلَكِنْ لَا يَأْتِي مِنْهُ
جُمُودُ الْمَوْتِ الْقَاتِلِ

39

إِنَّ الْجِدَارَ لَيَنْشَقُّ
وَيَنْدَفِعُ النُّورُ
كَأَنَّهُ الضَّحَكَةُ الْقُدْسِيَّةُ
النَّصْرُ لَكَ . . أَيُّهَا النُّورُ
إِنَّ قَلْبَ اللَّيْلِ لَمَوْجَعٌ
فَاشْطُرْ بِسَيْفِكَ اللَّامِعِ البَّتَّارِ
عُقْدَةَ الشُّكِّ، والرَّغَبَاتِ الحَائِرَةِ
النَّصْرُ لَكَ
تَعَالَ أَيُّهَا العَيْنِيدُ
فِي نَصَاعَتِكَ البَيَّضَاءِ
تَعَالَ أَيُّهَا الرَّهَيْبِ البَيَّاضُ

أَيُّهَا النُّورُ
إِنْ طَبَّلَكَ لَيَقْرَعُ مُوَاجِبًا زَحْفَ النَّارِ
وَالشُّعْلَةَ الْحَمْرَاءَ عَالِيَةً مَرْفُوعَةً
إِنْ الْمَوْتُ يَمُوتُ
فِي تَفْجُرِ الرَّوْعَةِ .

40

أَيُّهَا النَّارُ
إِنِّي أَتَغْنَى بِإِنْتِصَارِكَ
أَنْتِ صُورَةٌ مُلْتَهَبَةٌ لِلْحَرْبَةِ الْمُخِيفَةِ
إِنَّكَ تَمُدِّينَ ذُرَاعَيْكَ إِلَى السَّمَاءِ
وَتَلْمَسِينَ بِأَصَابِعِكَ الْغَائِرَةَ
أَوْتَارَ الْمِعْزَفِ
لِأَنَّهَا لَرَائِعَةٌ ، مُوسِيقَى رَقْصَتِكَ
وَحِينَ تُنْهِى أَيَّامِي
وَتُفْتَحُ الْأَبْوَابُ

فَأِنَّكَ سَتَحْرِقِينَ خُيُوطَ يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ
فَتَصِيرُ إِلَى رَمَادٍ
وَيَنْصَهَرُ جَسَدِي فِيكَ
مُؤَلَّفًا كَأَنَّنَا وَاحِدًا
وَسَتَعْصِفُ بِي فَوْرَتُكَ الْجُنُونِيَّةُ
وَتَلِكِ الْجَذْوَةُ الْمُتَّقِدَةُ الَّتِي كَانَتْ حَيَاتِي
سَتَلْتَهَبُ مُنْدَمِجَةً فِي لَهْيِكَ .

41

الْمَلَّاحُ فِي الْخَارِجِ
يَمْخُرُ الْبَحْرَ الْعَاصِفَ فِي جُنْحِ اللَّيْلِ
وَالسَّارِيَةَ تَرْتَجِفُ تَحْتَ الرِّيحِ الْعَنِيفَةِ
الَّتِي تَفْتَحُ الْأَشْرَعَةَ
وَالسَّمَاءَ وَقَدْ عَضَّتْهَا أَسْنَانُ اللَّيْلِ
تَسْقُطُ فَوْقَ الْبَحْرِ الْمُتَسَمِّمِ بِالرُّعْبِ الْأَسْوَدِ
وَذُرَى الْأَمْوَاجِ تَتَحَطَّمُ ضِدَّ الظَّلَامِ اللَّامُظُورِ

والمَلَّاحُ فِي الخَارِجِ

يَمْحُرُ البَحْرَ العَاصِفَ

المَلَّاحُ فِي الخَارِجِ

لَا أَدْرِي لَأَيِّ مَوْعِدٍ

يُوقِظُ اللَّيْلَ بِمُفَاجَأَةِ أَشْرَعَتِهِ البَيْضَاءِ

لَا أَدْرِي فِي أَيِّ شَاطِئِ سَيَّرَسُو

لِيَبْلُغَ الرِّحْبَةَ الصَّامِتَةَ بِمُصِيحِهَا المُضَاءِ

حَيْثُ يَلْقَى تِلْكَ التِّي تَقْتَعِدُ التَّرَابِ

فِي انْتِظَارِهِ

أَيَّ هَدَفٍ هَذَا الَّذِي يَجْعَلُ قَارِبَهُ

غَيْرَ عَابِئٍ بِالظُّلْمَةِ وَالْعَاصِفَةِ؟

تُرَاهُ مُتَقَلِّبًا بِالجَوَاهِرِ أَوِ اللُّأَلَى

كَلَّا، إِنْ المَلَّاحُ لَا يَحْمِلُ مَعَهُ أَيَّ كَنْزٍ

وَلَكِنَّهُ يَحْمِلُ وَرْدَةَ بَيْضَاءَ فِي يَدِهِ

وَأَعْيُنُهُ عَلَى شَمَّتِيهِ

إِنَّمَا لَهَا، لَيْتَكَ الَّتِي تَنْتَظِرُ وَحِيدَةً
فِي اللَّيْلِ بِمُصْبَاحِهَا الْمُئِيرِ
إِنَّهَا تَسْكُنُ فِي كُوخٍ
عَلَى حَافَةِ الطَّرِيقِ الْمَهْجُورَةِ
وَشَعْرُهَا الْمُبَدَّدُ يَتَطَايَرُ مَعَ الرِّيحِ
وَيَحْجُبُ عَيْنَيْهَا
وَالْعَاصِفَةُ تُزْمَجِرُ عَبْرَ أَبْوَابِهَا الْمَشْرَعَةِ
وَيَرْتَجِفُ النُّورُ فِي مُصْبَاحِ
مُلْقِيَا ظِلَالًا عَلَى الْجُدْرَانِ
وَعَبْرَ عَوِيلِ الرِّيحِ كَانَتْ تَسْمَعُ صَوْتَهُ
يَتَرَامَى إِلَيْهَا وَيَهْتَفُ بِأَسْمِهَا
هِيَ الْمَجْهُولَةُ الْاسْمِ
لَقَدْ أَقْلَعَ الْمَلَّاحُ مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ
وَيَنْبَغِي أَنْ يَمُرَّ وَقْتُ طَوِيلٍ
قَبْلَ أَنْ يَنْبَلِجَ الصَّبَاحُ

وَيَأْتِي هُوَ لِيَطْرُقَ بِأَبْهَاءِ
وَلَنْ يَعْرِفَ أَحَدٌ بِمَقْدَمِهِ
النُّورَ وَحَدَهُ هُوَ الَّذِي بِسَيْمَلِ الْبَيْتِ
وَسَيَكُونُ التَّرَابُ مُبَارَكًا وَالْقَلْبُ سَعِيدًا
وَكُلُّ شَيْءٍ سَيَبْدُدُ فِي صَمْتٍ
حِينَ يَبْلُغُ الْمَلَأْحُ الشَّاطِئِيءَ.

(42)

إِنِّي أَتَشَبَّهْتُ
بِهَذِهِ الْعَوَامَةِ الْحَيَّةِ الَّتِي هِيَ جَسَدِي
فِي الْمَجْرَى الضَّيِّقِ لِأَعْوَامِي الْأَرْضِيَّةِ
سَأَتْرُكُهَا بَعْدَ انْتِهَاءِ الْعُبُورِ
نَمْ؟

لَا أَدْرِي إِذَا كَانَ النُّورُ وَالظَّلَامُ
هُنَاكَ سَيَكُونَانِ نَفْسَ النُّورِ وَالظَّلَامِ
إِنَّ الْمَجْهُولَ هُوَ الْحُرِّيَّةُ الْخَالِدَةُ

وَحُبُّهُ بَغِيضٌ إِلَى النَّفْسِ
إِنَّهُ يُحَطِّمُ الصِّدْقَةَ لِلْحُصُولِ عَلَى اللُّؤْلُؤَةِ
السَّاكِنَةِ فِي سِجْنِ الظَّلَامِ
إِنَّكَ لَتَتَّأَمَّلُ وَتَبْكِي الْأَيَّامَ الْغَابِرَةَ
أَيُّهَا الْقَلْبُ الْمَسْكِينِ
فَلْتَفْرَحْ، إِنَّ أَيَّامًا أُخْرَى سَوْفَ تَأْتِي
لَقَدْ أَزِفَتِ السَّاعَةُ . . أَيُّهَا الْحَاجُّ
وَجَاءَتِ اللَّحْظَةُ الَّتِي تَعْبُرُ فِيهَا
مُفْتَرِّقِ الطَّرِيقِ
إِنَّ وَجْهَهُ سَيَكُونُ سَافِرًا
بِلَا حِجَابٍ
وَسَتَلْتَقِي بِهِ مَرَّةً أُخْرَى

فَوْقَ ضَرِيحِ بُودَا
شَيْدِ الْمَلِكِ بِمِيسَارِ

مِحْرَاباً مِنَ الْمَرْمَرِ الْأَبْيَضِ

تَحِيَّةً لِذِكْرَاهُ

وَفِي كُلِّ مَسَاءٍ

كَانَتْ زَوَاجَاتُ الْمَلِكِ وَبَنَاتُهُ

يَذْهَبْنَ لِيَهْنِ الزُّهُورَ وَيُوقِدْنَ الشُّمُوعَ

وَحِينَ أَصْبَحَ ابْنُهُ مَلِكاً

مَحَا بِسَفْكِ الدَّمَاءِ عَقِيدَةَ الْأَبِ

وَجَعَلَ مِنْ كُتُبِهِ الْمُقَدَّسَةِ

أَلْعَاباً نَارِيَةً .

كَانَ الْيَوْمَ الْخَرِيفِيَّ يَغِيبُ

وَقَدْ اقْتَرَبَتْ سَاعَةُ الْعِبَادَةِ الْمَسَائِيَّةِ

وَكَانَتْ شِيرَامَاتِي وَصِيفَةُ الْمَلِكَةِ

شَدِيدَةَ الْإِيمَانِ يَبُودَا

وَبَعْدَ أَنْ اعْتَسَلْتُ بِالْمَاءِ الْمُقَدَّسِ

وَزَيْتِ الْوِعَاءِ الذَّهَبِيِّ بِالزُّهُورِ وَالشُّمُوعِ

رَفَعْتُ فِي صَمْتٍ عَيْنَيْهَا السُّودَاوِينَ

نَحْوِ وَجْهِ الْمَلِكَةِ
فَارْتَجَفَتِ الْمَلِكَةُ مِنَ الْخَوْفِ وَقَالَتْ:
أَلَمْ تَعَلِّمِي أَيُّهَا الْفَتَاةُ الْغَيْبَةَ
أَنْ الْإِعْدَامَ هُوَ الْعُقُوبَةُ
الَّتِي تَنْتَظِرُ كُلَّ مَنْ يَحْمِلُ الْهَبَاتِ إِلَى هَيْكَلِ بُودَا؟
تِلْكَ هِيَ إِرَادَةُ الْمَلِكِ
فَانْحَنَتِ شِيرَامَاتِي لِلْمَلِكَةِ
وَحِينَ خَرَجَتْ مِنْ عُرْفَتِهَا وَقَفْتُ أَمَامَ أَمِينَا
عُرُوسِ الْمَلِكِ الْجَدِيدِ
وَكَانَتْ أَمِينًا قَدْ وَضَعَتْ فِي حِضْبِهَا
مِرْآتَهَا وَأَخَذَتْ تَضْفِيرَ عَدَائِرِهَا
السُّودَاءَ الطُّوبَلَةَ وَتَصْبِغُ
جَبْهَتَهَا بِسِيمَاءِ الْحَطِّ الْحَمْرَاءِ
وَمَا كَادَتْ تُبْصِرُ الْفَتَاةَ حَتَّى ارْتَجَفَتْ
رُغْبًا وَصَرَخَتْ فِيهَا:

أَيُّ هَوْلٍ سَتُحَقِّقِنِي بِهِ ، اغْرُبِي عَنِّي
وَكَاثَتَ الْأَمِيرَةِ شُوكَلَا تَجْلِسُ
إِلَى النَّافِذَةِ تَقْرَأُ كِتَابَ مُغَامَرَاتِ
عَلَى ضَوْءِ الشَّمْسِ الْغَارِبَةِ
وَقَفَزَتْ مُتَنَفِضَةً حِينَ رَأَتْ
الْفَتَاةَ أَمَامَ بَابِهَا حَامِلَةً هَبَاتِهَا
الْمُقَدَّسَةَ . وَسَقَطَ الْكِتَابُ
فِي حِضْنِهَا وَهَمَسَتْ فِي أُذُنِ شِيرَامَاتِي :
لَا تُلْقِي بِنَفْسِكَ فِي أَحْضَانِ الْمَوْتِ
أَيُّهَا الْمَرْأَةُ الْجَرِيئَةُ .
وَأَخَذَتْ شِيرَامَاتِي تَنْتَقِلُ مِنْ بَابٍ إِلَى بَابٍ
رَافِعَةً رَأْسَهَا صَارِخَةً
أَسْرِعِي يَا نِسَاءَ الْبَيْتِ الْمَالِكِ
لَقَدْ أَزَفَتْ سَاعَةَ عِبَادَةِ سَيِّدِنَا
فَأَعْلَقَ بَعْضُهُنَّ الْبَابَ فِي وَجْهِهَا

وَعَمَرَهَا الْبَعْضُ الْآخَرَ بِالشَّتَائِمِ
وَكَانَ آخِرَ أَشْيَعَةِ الشَّمْسِ
يَغْرُبُ عَنْ قُبَّةِ الْبُرْجِ الْبُرُونِزِيَّةِ
وِظِلَالُ كَيْفَةِ نَخِيمٍ عَلَى
زَوَايَا الطَّرْقِ
وَضَجِيجُ الْمَدِينَةِ يَخْفَتُ
وَطَبْلُ مَعْبِدِ (شَيْفَا) كَانَ يُعْلَنُ
سَاعَةَ صَلَاةِ الْغُرُوبِ .
وَفِي ظُلْمَةِ الْمَسَاءِ الْخَرِيفِيِّ الْعَمِيقِ
عُمُقِ الْبُحَيْرَةِ الصَّافِيَّةِ
كَانَتْ النُّجُومُ تَنَالُ بِنُورِهَا
حِينَ صَعِدَ حُرَّاسُ حَلِيقَةِ الْمَلِكِ
وَرَأَوْا بَيْنَ الْأَشْجَارِ
صَفًّا مِنَ الشُّمُوعِ الْمَوْقَدَةِ أَمَامَ هَيْكَلِ
بُودَا

فَهَرَّعُوا، شَاهِرِينَ سَيُوفَهُمْ ، صَارِحِينَ :

مَنْ هُوَ هَذَا الْمَجْتُونُ

الَّذِي لَا يَكْتَرِثُ بِالْمَوْتِ ؟

فَأَجَابَ صَوْتٌ لَطِيفٌ عَذْبٌ :

إِنِّي شِيرَامَاتِي ، خَادِمَةٌ بُوذًا .

وَبَعْدَ لَحْظَةٍ كَانَ دَمُهَا يَصْبِغُ

الرُّخَامَ الْبَارِدَ بِاللُّونِ الْأَحْمَرَ

وَفِي سَاعَةِ النُّجُومِ الْهَادِثَةِ

كَانَ نُورٌ آخِرِ الْمَصَابِيحِ الْمُنْدُورَةِ

يَنْطَفِئُ عِنْدَ أَقْدَامِ الْهَيْكَلِ .

44

إِنَّ النَّهَارَ الَّذِي يُفْصِلُ

بَيْنِي وَبَيْنَكَ

يَنْحِينِي انْحِنَاءَ وَدَاعِهِ الْأَخِيرَةِ

وَاللَّيْلِ يُسْدِلُ حِجَابَهُ عَلَى وَجْهِهِ
وَيُخْفِي الْمِصْبَاحَ الْوَحِيدَ الْمُوقَدَ
فِي عُرْفِي
وَتَأْتِي وَصِيْفَتُكَ السَّمْرَاءُ
فِي هُدُوئِي
لِتَنْفِرْ بِسَاطِ الْعُرْسِ
لِتَتَّخِذِي مَكَانَكَ فَوْقَهُ
وَحَدِّكَ مَعِي
فِي الصَّمْتِ الْخَالِي مِنَ الْكَلَامِ
حَتَّى انْقِضَاءِ اللَّيْلِ

(45)

إِنْ لَيْلِي قَدْ انْقَضَى عَلَى فِرَاشِ الْمَوْتِ
وَعَيْنِي مُتَعَبَتَانِ
وَقَلْبِي الْمُتَعَبُ

لَمْ يَسْتَعِدَّ بَعْدُ لِلِقَاءِ الصَّبَاحِ
بِأَفْرَاجِهِ الْمُحْتَشِدَةِ
فَلْتَسْحَبْ رِدَاءَ فَوْقَ نُورِكَ الْعَارِي
وَأَقْصِرْ عَنِّي هَذَا الْبَرِيقَ الْمُبْهَرِ
وَرَقِصَةَ الْحَيَاةِ
وَدَعْ وَشَاحَكَ الْمَنسُوجِ مِنْ تِلْكَ الظُّلْمَةِ النَّاعِمَةِ
يُسْرِبْ لِنِي فِي ثَنَائِهِ
وَيُعْطِي أَوْجَاعِي
لَحْظَةً تَحْجِبُنِي مِنْ عَنَاءِ الْكَوْنِ

(46)

لَقَدْ مَضَى الزَّمَنُ الَّذِي كَانَ فِي وَسْطِهِ
أَنْ أَرُدَّ إِلَيْهَا الْفَضْلَ
عَنْ كُلِّ مَا أَتَلَقَّاهُ مِنْهَا
فَلَيْلَهَا لَقِي فَجْرَهُ
وَأَنْتِ حَمَلْتَهَا إِلَيَّ بَيْنَ ذِرَاعَيْكَ

فَسَاخِمْ لِيكَ أَنْتَ
شُكْرِي وَهَيْبَاتِي الَّتِي كُنْتُ
سَاخِصَهَا بِهَا
لِإِنِّي التَّمَسُّ مَغْفِرَتَكَ
لِكُلِّ الْجِرَاحِ وَالْإِهَانَاتِ الَّتِي أَرْتَكِبْتُهَا
إِنِّي أَقْدِمُ لِيكَ زَهْرَاتِ حُبِّي
الَّتِي ظَلَّتْ مِبْرَعَةً
حِينَ كَانَتْ تَنْتَظِرُ تَفْتَحَهَا

47

لَقَدْ وَجَدْتُ بَعْضَ رَسَائِلِي الْقَدِيمَةِ
مُحَبَّاةً بِعَنَايَةِ دَقِيقَةٍ
فِي صُنْدُوقِهَا الصَّغِيرِ
تِلْكَ حَفْنَةٌ صَغِيرَةٌ مِنَ اللَّعْبِ
الَّتِي كَانَتْ تَلْهُوُ بِهَا ذَاكِرَتُهَا

وَبِقَلْبِ خَجُولٍ كَانَتْ تَسْعَى
لِكَيْ تَسْرِقَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الصَّغِيرَةَ
مِنْ سَيْلِ الزَّمَنِ الْجَارِفِ
وَتَهْتَفَ بِهِ
إِنَّهَا لِي وَحْدِي
أه ، لَمْ يَعُدْ هُنَاكَ أَحَدٌ يُطَالِبُ بِهَا
وَيَدْفَعُ ثَمَنَهَا بِعِنَايَةِ حَنُونٍ
وَمَعَ ذَلِكَ فَمَا تَزَالُ فِي مَكَانِهَا .
يَقِينًا أَنَّهُ مَا يَزَالُ هُنَاكَ حُبٌّ
فِي هَذَا الْكَوْنِ يُنْقِذُهَا مِنَ التَّلَفِ التَّامِ
تَمَامًا مِثْلَ حُبِّهَا
الَّذِي أَنْقَذَ هَذِهِ الرَّسَائِلَ بِعَشْقٍ حَنُونٍ

إجلبني الجمال والنظام لحياتي
كما كنت تجلبينهما إليها وأنتِ على قيد الحياة
أكنسي شظايا الساعات الغبراء
وأملئي الجرار الفارغة
وأصلحي كل ما تعرض للإهمال
ثم افتحي الباب الداخلي للمعبد
وأوقدي الشموع
ولنلتق هناك في الصمت
أمام خالقنا

49

يا إلهي
لقد كان الألم كبيراً
حين تمّ ضبط الأوتار
فلتبدأ موسيقاك

دَعْنِي أَسَى الْأَلَمِ
اجْعَلْنِي أَشْعُرُ فِي الْجَمَالِ
بِمَا كَانَ يَدُورُ بِخَاطِرِكَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ الْقَاسِيَةِ
قَبْلَ أَنْ يَتَلَاشَى اللَّيْلُ
يَتَبَاطَأُ قَلِيلًا عِنْدَ بَابِي
وَيَسْتَأْذِنُ فِي الرَّحِيلِ وَهُوَ يُغْنِي
يَا إِلَهِي
اسْكُبْ قَلْبَكَ فِي أَوْتَارِ حَيَاتِي
أُغْنِيَاتِ تَنْزَلُ مِنْ نُجُومِكَ
فِي لَحْظَةٍ خَاطِفَةٍ
رَأَيْتُ عَظْمَةَ خَلْقِكَ
تَتَجَلَّى فِي حَيَاتِي
هَذَا الْخَلْقُ الَّذِي تَتَابَعُ
أَحْقَابًا وَأَحْقَابًا
عَبْرَ كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْوَاتِ

لَقَدْ بَكَيْتُ مِنْ قَلَّةِ جَدَارَتِي
حِينَ أَرَى حَيَاتِي فِي قَبْضَةِ
سَاعَاتٍ تَافِهَةٍ، لَا مَعْنَى لَهَا
وَلَكِنِّي حِينَ أَرَاهَا بَيْنَ يَدَيْكَ
أَعْلَمُ أَنَّهَا أَعْلَى جِدًّا
مَنْ أَنْ تُبَدَّدَ بَيْنَ الظَّلَالِ

51

إِنِّي لِأَعْلَمُ
بِأَنَّ فِي النَّهَائِيَةِ الْحَالِكَةِ لِأَحَدِ الْأَيَّامِ
سَتُودِّعُنِي الشَّمْسُ وَدَاعَهَا الْأَخِيرَ
وَتَحْتَ ظِلَالِ أَشْجَارِ التِّينِ
سَيَعْرِفُ الرُّعَاةُ نَائِيَاتِهِمْ
وَقُطْعَانِهِمْ تَرَعَى
فِي مُنْحَدَرَاتِ ضَيْفَةِ النَّهْرِ

بَيْنَمَا تَدْخُلُ أَيَّامِي فِي الظَّلَامِ
هَذِهِ هِيَ صَلَاتِي وَهَذَا دُعَائِي
أَنْ أَتَمَكَّنَ قَبْلَ رَحِيلِي
مِنَ الْعِلْمِ بِالسَّبَبِ الَّذِي دَعَيْتَنِي بِهِ
الْأَرْضُ إِلَى ذِرَاعَيْهَا
وَلَمَّاذَا صَمْتُ لِيَا لِيَهَا يُحَدِّثُنِي عَنِ النُّجُومِ
وَتُورُ نَهَارِهَا يُقَبِّلُ أَفْكَارِي
فَيَحْوِلُهَا إِلَى زُهُورِ
أَنْ أَتَمَهَّلَ قَبْلَ رَحِيلِي قَلِيلًا
عِنْدَ آخِرِ فَرَاتِ أَنْغَامِي
مُتَمِّمًا بِذَلِكَ اللَّحْنَ
وَأَنْ أَتَمَكَّنَ مِنْ إِقَادِ الْمَصْبَاحِ
حَتَّى أَرَى مُحِيَّاكَ
وَأَضْفِرُ الْإِكْتِلِيلَ الَّذِي أَتَوَجُّجُكَ بِهِ

مَا هِيَ الْمَوْسِيقَى الَّتِي تُهْدِيهِدُ الْكَوْنَ بِإِيقَاعِهَا؟
 إِنَّا لَنَضْحَكُ حِينَ يَدُقُّ هَذَا الْإِيقَاعُ فَوْقَ قِمَّةِ الْحَيَاةِ
 وَنَصِيرُ صِبْغَاراً
 عِنْدَمَا يَعُودُ هَذَا الْإِيقَاعُ لِلتَّرْدُدِ فِي الظُّلْمَةِ
 وَلَكِنَّ اللَّعْبَةَ وَاحِدَةً
 قَادِمٌ وَرَاحِلٌ
 عَلَى إِيقَاعِ الْمَوْسِيقَى اللَّامْتَنَاهِيَةِ
 إِنَّكَ تُخْفِي كَنْزَكَ
 فِي رَاحَةِ كَفِّكَ
 وَنَحْنُ نُصْرُخُ أَنَّهُ قَدْ سُرِقَ
 وَلَكِنَّ افْتِحَ يَدِكَ أَوْ اقْبِضْهَا كَمَا يَحْلُو لَكَ
 فَإِنَّ الرِّيحَ وَالْخَسَارَةَ شَيْءٌ وَاحِدٌ
 وَاللَّعْبَةُ الَّتِي تُمَارِسُهَا مَعَ نَفْسِكَ

تَرِيحُ فِيهَا وَتَحْسُرُ فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ

لَقَدْ قَبِلْتُ هَذَا الْكَوْنَ

بِعَيْنِي وَبِأَعْضَائِي

وَطَوَيْتُهُ فِي قَلْبِي

طَيِّبَاتٍ لَا حَدَّ لَهَا

وَعَمَرْتُ بِأَفْكَارِي

أَيَّامَهُ وَلَيَالِيَهُ

حَتَّى صَارَ الْكَوْنَ وَحَيَاتِي

شَيْئًا وَاحِدًا.

إِنِّي أَحِبُّ حَيَاتِي

لَأَنِّي أَحِبُّ نُورَ السَّمَاءِ

الْمُتَغَلِّغِلِ فِي نَفْسِي

فَإِذَا كَانَ تَرَكْتُ هَذَا الْعَالِمَ حَقِيقَةً

مِثْلَ حَقِيقَةِ حُبِّهِ، فَلَا بُدَّ

أَنْ يَكُونَ مَعْنَى لِلِقَاءِ الْحَيَاةِ وَفِرَاقِهَا
وَإِذَا كَانَ هَذَا الْحُبُّ سَيَّخِذُهُ الْمَوْتُ
فَإِنْ سَرَطَانَ هَذَا الْخِدَاعِ سَوْفَ
يَقْرِضُ كُلَّ شَيْءٍ
وَالنُّجُومُ تَحْبُو وَتَصِيرُ سَوْدَاءَ
أَحْسَبُ أَنْ جَمِيعَ النُّجُومِ تَتَأَلَّقُ فِي كَيْانِي
وَأَنَّ الْكَوْنَ كُلَّهُ يَتَدَفَّقُ فِي حَيَاتِي
كَأَنَّهُ الْبَحْرُ الدَّافِقُ
وَأَنَّ الزُّهُورَ تَتَفَتَّحُ فِي جَسَدِي
وَشَبَابُ الْأَرْضِ وَالْمَاءُ يَتَصَاعَدُ فِي قَلْبِي
كَمَا يَتَصَاعَدُ بِخُورِ الْمَجَامِيرِ
وَتَنْفَسُ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا
يَعْرِفُ أَنْعَامَهُ كَالنَّائِي
فَوْقَ أَفْكَارِي

كان تُولسِيدَاسُ الشَّاعِرُ
 يَجُوبُ ضَيْفَةً نَهْرَ الْكِنَجِ
 غَارِقاً فِي أَفْكَارِهِ الْعَمِيقَةِ
 حَتَّى بَلَغَ ذَلِكَ الْمَكَانَ الْمُتَعَزِّلَ
 حَيْثُ يُحْرَقُ الْمَوْتَى
 فَوَجَدَ امْرَأَةً جَالِسَةً عِنْدَ قَدَمِي
 جُثْمَانِ زَوْجِهَا
 وَقَدْ لَفَّ فِي أَرْذِيَّةٍ زَاهِيَّةٍ
 كَمَا لَوْ كَانَ عَرِيْسًا لَيْلَةً زَفَافِهِ
 وَحِينَ رَأَتْ الْمَرْأَةَ الشَّاعِرَ
 نَهَضَتْ وَانْحَنَتْ أَمَامَهُ
 قَائِلَةً :

لِنْتَعِمَ عَلَيَّ أَيُّهَا الْمُعَلَّمُ بِبِنْعَمَةِ اللَّحَاقِ بِزَوْجِي

في السماء!

فَقَالَ ثُولَسِيدَاسُ :

وَلِمَاذَا كُلُّ هَذِهِ الْعَجَلَةُ يَا بَنِيَّ

أَلَيْسَتْ هَذِهِ الْأَرْضُ أَيْضًا مُلْكًا

لِلَّذِي الَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ؟

قَالَتِ الْمَرْأَةُ :

لَيْسَتْ رَغْبَتِي فِي السَّمَاءِ وَلَكِنِّي

أُرِيدُ زَوْجِي

فَابْتَسَمَ ثُولَسِيدَاسُ وَقَالَ :

عُودِي إِلَى بَيْتِكَ ، يَا طِفْلَتِي

وَقَبْلِ أَنْ يَنْقُضِيَ الشَّهْرُ سِتْلَاقِينَ

زَوْجَكَ .

وَعَادَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى الْبَيْتِ وَهِيَ

تُشِيعُ أَمَلًا . وَكَانَ ثُولَسِيدَاسُ

يَذْهَبُ إِلَيْهَا كُلَّ يَوْمٍ وَيُلْقِنُهَا أَفْكَارًا



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Organización General de la Biblioteca de Alejandría

سَامِيَةً تَعْكُفَ عَلَى التَّأْمَلِ فِيهَا
حَتَّى أَفْعَمَ قَلْبَهَا الْحُبَّ الْإِلَهِيَّ
وَحِينَ أَوْشَكَ الشَّهْرَ عَلَى النَّهَائِيَّةِ
جَاءَهَا الْجِيرَانُ مُسْتَفْسِرِينَ:
أَيُّهَا الْمَرْأَةُ هَلْ وَجَدْتِ زَوْجَكَ
فَابْتَسَمَتِ الْأَرْمَلَةُ وَقَالَتْ:
أَجَلَ وَجَدْتُهُ

فَارْدَادَ فُضُولِهِمْ وَالْحَوَافِي السُّؤَالِ:
أَيْنَ؟

- فِي قَلْبِي
إِنَّهُ مَوْلَايَ الَّذِي إِتَّحَدَ بِي
إِلَى الْأَبَدِ

56

لَقَدْ جِئْتُ لِتَمَكُّنِي لِحِظَةً إِلَى جَانِبِي

وَلَمَسْتَنِي بِسِرِّ الْمَرْأَةِ الْكَبِيرِ
الكَامِنِ فِي قَلْبِ الْخَلْقِ
هِيَ الَّتِي تُعِيدُ دَوْمًا إِلَى اللَّهِ
تِلْكَ الْعُدُوبَةَ الَّتِي تَتَدَقَّقُ مِنْهَا
هِيَ الَّتِي صَيَّغَتْ مِنَ الْجَمَالِ الْخَالِدِ
وَالشَّبَابِ الدَّائِمِ
إِنَّهَا تَرْفُصُ فِي الْجَدَاوِلِ الرَّفْرَاقَةَ
وَتُعَنِّي فِي ضَوْءِ الصَّبَاحِ
وَهِيَ الَّتِي تُرْضِعُ الْأَرْضَ الْعَطْشَى
بِأَمْوَاغِهَا الْمُرْبِدَةَ
وَفِيهَا يَنْقَسِمُ الْعُنْصُرُ الْخَالِدُ إِلَى قِسْمَيْنِ
فِي فَرْحَةٍ لَا يُمَكِّنُ احْتِيََاؤُهَا أَبَدًا
وَتَفِيضُ فِي أَلْمِ الْحُبِّ

تُرَى مَنْ يَسْكُنُ فِي قَلْبِي؟
 أَهِيَ تِلْكَ الْمَرْأَةُ الَّتِي نَسِيْتُهَا إِلَى الْأَبَدِ؟
 لَقَدْ غَازَلْتُهَا
 وَلَكِنِّي لَمْ أَسْتَطِعْ نَوَالَهَا
 لَقَدْ زَيَّنْتُهَا بِالْأَكَايِلِ
 وَتَغَنَيْتُ بِمَدْحِهَا
 فَتَأَلَّقَتْ ابْتِسَامَةً عَلَى وَجْهِهَا ثُمَّ تَلَأَشَتْ
 وَصَرَخَتْ الْمَرْأَةُ الْمَلِيئَةُ بِالْحُزَنِ
 «لَا أَجِدُ أَيَّ مُتَعَةٍ فِيكَ»
 وَاشْتَرَيْتُ لَهَا أَسَاوِرَ مُرْصَعَةً بِالْجَوَاهِرِ
 وَمَرَّوْحَتُ عَلَيهَا بِمَرَّوْحَةٍ مُرْصَعَةٍ بِاللَّالِي
 وَسَوَّيْتُ لَهَا سَرِيرًا ذَهَبِيًّا
 فَارْتَجَفَ فِي عَيْنَيْهَا شُعَاعٌ مِنَ الْبَهْجَةِ

ثُمَّ انْطَفَأَ

وَصَرَخَتِ الْمَرْأَةُ الْمَلِيئَةُ بِالْحُزَنِ

«لَا أَجِدُ مُتَعَةً فِي كُلِّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ،

وَوَضَعْتُهَا فَوْقَ عَرَبِيَّةِ النَّصْرِ

وَجِبَّتْ بِهَا أَطْرَافَ الْكَوْنِ

وَكَانَتِ الْقُلُوبُ الْوَالِيَهُ تُنْحِنِي عَلَى قَدَمَيْهَا

وَالهَاتِفَاتُ بِهَا تَرْتَفِعُ إِلَى السَّمَاءِ

فَيَتَأَلَّقُ الْفَخْرُ فِي عَيْنَيْهَا حِينَا

ثُمَّ تُغِيْمُهُ الدُّمُوعُ

وَتَصْرُخُ الْمَرْأَةُ الْمَلِيئَةُ بِالْحُزَنِ

«لَا أَجِدُ أَيَّ مُتَعَةٍ فِي الظَّفَرِ»

فَسَأَلْتُهَا

قُولِي، عَمَّ تَبْحَثِينَ؟

فَقَالَتْ:

إِنِّي أَنْتَظِرُ ذَلِكَ الَّذِي لَا يُعْرِفُ اسْمَهُ

وَكَاثَتِ الْأَيَّامُ تَمْضِي ، وَهِيَ تَصْرُخُ :
فَمَتَى يَا تَبِي حَبِيبِي الَّذِي لَا أَعْرِفُهُ
وَيُصْبِحُ مَعْرُوفًا عِنْدِي إِلَى الْأَبَدِ؟

58

لَكَ ذَلِكَ النُّورُ الَّذِي يَتَفَجَّرُ مِنَ الظُّلَامِ
وَلَكَ ذَلِكَ الْخَيْرُ الَّذِي يَبْزُغُ مِنَ الْقَلْبِ الَّذِي
شَقَّهُ الصِّرَاعُ
وَلَكَ الْبَيْتُ الَّذِي يَنْفَتِحُ عَلَى الْعَالَمِ
وَالْحُبُّ الَّذِي يَدْعُو إِلَى مَيْدَانِ الْمَعْرَكَةِ
وَلَكَ الْعَطَاءُ الرَّابِحُ حِينَ تَبْدُو الْأَشْيَاءُ
كُلُّهَا خَاسِرَةً
وَلَكَ الْحَيَاةُ الَّتِي تَنْدَفِقُ مِنْ كُهُوفِ الْمَوْتِ
وَلَكَ السَّمَاءُ الَّتِي تَرْقُدُ فِي التَّرَابِ
أَنْتَ هُنَاكَ مِنْ أَجْلِي

أنت هناك من أجل الجميع.

59

حين يُحاصِرُنِي إغْيَاءُ الطَّرِيقِ
وِظْمًا اليَوْمِ الخَانِقِ
وحين تُلقِي سَاعَاتُ الغُرُوبِ
طُيُوفَ ظِلَالِهَا فَوْقَ حَيَاتِي
فإِتِي لَأَلْتَمِسُ صَوْتَكَ أَيُّهَا الصَّدِيقِ
وَلَكِنِّي أَتَطَّلَعُ إِلَى لَمْسَتِكَ أَيضًا
هُنَاكَ لَوْعَةً فِي قَلْبِي
الذِّي يَنْوَأُ بِثِقَلِ غِنَاهُ الذِّي لَمْ يَمْنَحْهُ
لَكَ .

مُدَّ يَدَكَ عَبْرَ الظَّلَامِ
حَتَّى أُمْسِكَ بِهَا وَأَمْلَأَهَا وَأَشُدَّ عَلَيْهَا
دَعْنِي أَشْعُرْ بِلَمْسَتِهَا

على امتدادِ وِحدَتِي الطَّوِيلَةِ

60

العِطْرُ يَهْتَفُ فِي قَلْبِ البُرْعَمِ

أواه.. لَقَدْ تَوَلَّى النَّهَارُ

وَتَوَلَّى اليَوْمَ الرَّبِيعِيُّ السَّعِيدُ

وصيرتُ أسيراً لِأَفْوَافِي :

أَيُّهَا المَخْلُوقُ الصَّغِيرُ

لَا تَفْقُدْ شَجَاعَتَكَ

إِن سِجْنَكَ سَيَتَحَطَّمُ

والبُرْعَمُ سَيَتَفَتَّحُ فِي زَهْرَةِ

وَحِينَ تَمُوتُ فِي عُنُقِ الوَانِ الحَيَاةِ

فَإِن الرَّبِيعَ سَيُوَاصِلُ حَيَاتَهُ .

وَتَحْرِكُ العِطْرُ قَلْبًا دَاخِلَ البُرْعَمِ

وصرّخ :

أواه . . . إن الساعات تمضي

ولا أدري أين أذهبُ

ولا عمَّ أبحثُ؟

أيها المخلوق الوديعُ

لا تفقد شجاعتك

إن النسيم الربيعيَّ

أثناء عبوره

قد أصغى إلى رغبتك

وقبل أن ينتهي اليوم

فسوف تُحقق وجودك

وبدا المستقبل غامضاً

فصرخ العطرُ يائساً:

أواه . . . من المسؤول عن حياتي

هذه الخالية من كل معنى؟

ومن يقدر أن يفسر لي وجودي؟

لَا تَفْقِدُ شَجَاعَتَكَ أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ الرَّهِيْفُ
إِنَّهُ لَقَرِيْبٌ ذَلِكِ الْفَجْرُ الْكَامِلُ
الَّذِي تَمْرِجُ فِيهِ حَيَاتَكَ
بِكُلِّ الْحَيَاةِ
وَتَعْرِفُ فِي النَّهْيَاةِ
غَايَتَكَ مِنَ الْوُجُودِ

61

يَا رَبَّاهُ
إِنَّهَا مَا تَزَالُ طِفْلَةً
تُرْكُضُ لَاهِيَةً لَاعِبَةً
فِي رِحَابِ قَصْرِكَ
وَتُحَاوِلُ أَيْضاً أَنْ تَجْعَلَ مِنْكَ
دُمِيَّةً تَلْهُوُ بِهَا
إِنَّهَا لَا تَهْتَمُّ إِذَا تَبَدَّدَتْ غَدَائِرُهَا

أَوْ جُرُّنُوبُهَا فَوْقَ التَّرَابِ
وَتَنَامُ حِينَ تَتَحَدَّثُ إِلَيْهَا
وَلَا تُجِيبُ
وَالزَّهْرُ الَّذِي تُقَدِّمُهُ إِلَيْهَا فِي الصَّبَاحِ
يَسْقُطُ مِنْ يَدَيْهَا فَوْقَ التَّرَابِ
وَحِينَ تَنْفَجِرُ الْعَاصِفَةُ
وَتُغَطِّي الظُّلْمَةَ كُلَّ أَرْجَاءِ السَّمَاءِ
لَا تَقْدِرُ عَلَى النَّوْمِ
دُمَيَاتُهَا مُتَنَائِرَةٌ فَوْقَ الأَرْضِ
وَهِيَ تَتَشَبَّهُ بِأَحْضَانِكَ
مَدْعُورَةٌ
تَخْشَى أَلَّا تُحْسِنَ خِدْمَتَكَ
وَلَكِنَّكَ تُلَاحِظُ لَعِبَهَا بِاسْمِهَا
إِنَّكَ تَعْرِفُهَا
فَتِلْكَ الطِّفْلَةُ الْجَالِسَةُ فَوْقَ التَّرَابِ

هِيَ خَطِيئَتِكَ
وَلَعِبْهَا سَوْفَ يَهْدَأُ وَيَسْكُنُ
وَيَتَعَمَّقُ فِي الْحُبِّ . .

62

أَيُّهَا الشَّمْسُ
مَنْ سَوَى السَّمَاءِ
يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسَعَ صُورَتَكَ
إِنِّي أَحْلُمُ بِكَ
وَلَكِنِّي لَا أَطْمَعُ فِي خِدْمَتِكَ
بَكَتَ قَطْرَةُ النَّدى وَقَالَتْ :
إِنِّي أَصْغُرُ مِنْ أَنْ أَحْتَوِيَكَ
أَيُّهَا الإِلَهِ الْعَظِيمِ
وَحَيَاتِي كُلُّهَا دُمُوعٌ
قَالَتِ الشَّمْسُ :

إِني أُنِيرُ سَمَاءَ لآ حَدِّ لَهَا
وَلَكِن يُمَكِّنِي أَيْضاً أَنْ أَمْنَحَ
نَفْسِي لِقَطْرَةِ النَّدى الصَّغِيرَةِ
سَأُصْبِحُ شَرَارَةً مِنَ النُّورِ
وَأَعْمُرُكَ بِضِيائِي
وَسَتُصْبِحُ حَيَاتِكَ
فَلِكَا ضَاحِكَا

63

لَيْسَ لِي
ذَلِكَ الْحُبُّ الَّذِي لَا يَعْرِفُ حُدُوداً
إِنَّهُ كَالنَّبِيدِ الْمُتَحَمَّرِ
مَا يَكَادُ يَنْشَقُّ عَنْهُ الدَّنُّ
حَتَّى يَتَبَدَّدَ فِي لَحْظَةٍ
هَبْ لِي ذَلِكَ الْحُبُّ الْغَضُّ

الصَّافِي صَفَاءَ مَطْرِكَ
الَّذِي يَنْزِلُ عَلَى الْأَرْضِ
الظَّامِئَةِ كَمَا تَنْزِلُ الْبَرَكَةُ
وَيَمَلَأُ جِرَارَ الْبَيْتِ الْفَخَّارِيَّةِ .
هَبْ لِي الْحُبَّ الَّذِي يَنْفِذُ
إِلَى مَرْكَزِ الْوُجُودِ
وَمِنْ هُنَاكَ يَتَوَزَّعُ وَيَتَشِيرُ
مِثْلَ النَّسْعِ الْخَفِيِّ
الَّذِي يَسْرِي فِي كُلِّ أَغْصَانِ الْحَيَاةِ
مُفْتَقًا أَثْمَارًا وَأَزْهَارًا
هَبْ لِي الْحُبَّ الَّذِي يَهْدِي الْقَلْبَ

64

بِفِيوضِ الْأَمْنِ .
كَانَتْ الشَّمْسُ قَدْ غَابَتْ

خَلَفَ الضِّفَّةَ الغَرِيْبَةَ للنَّهْرِ
بَيْنَ تَشَابُكِ أَشْجَارِ الغَابِ .
وَفَتِيَانُ النَّاسِكِ (غَاوَتَا مَا)
قَدْ سَاقُوا القُطْعَانَ إِلَى الحِظَائِرِ
وَتَحَلَّقُوا حَوْلَ النَّارِ يُنصِتُونَ لِمُعَلِّمِهِمُ النَّاسِكِ .
حِينَ أَقْبَلَ عَلَيْهِمُ فَتَى غَرِيْبٌ
يَحْمِلُ هَدِيَّةً مِنَ الزُّهُورِ وَالفَاكِهَةِ
وَأُنْحَنَى أَمَامَ قَدَمَيْهِ
مُتَحَدِّثًا بِصَوْتِ رَقِيْقٍ كَأَنَّهُ تَغْرِيدُ العُصْفُورِ:
يَا مَوْلَايَ ، لَقَدْ جِئْتُ إِلَيْكَ
لِيَتِمَّ قَبُولِي فِي طَرِيقِ الحَقِيْقَةِ
السَّامِيَةِ
إِنْ اسْمِي (سَاتِيَا كَامَا)
قَالَ المُعَلِّمُ :
لِتَحُلَّ البَرَكَةُ فَوْقَ رَأْسِكَ

وَلَكِن إِلَى أَيِّ فِتْنَةٍ تَنْتَبِي يَا طِفْلِي الصَّغِيرَ؟
إِن الْبُرْهَمِيَّ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يُمَكِّنُهُ أَنْ يَتَطَّلَعَ
إِلَى الْحِكْمَةِ الْأَسْمَى
فَأَجَابَ الْفَتَى :

أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ . . . إِنِّي لَا أَعْرِفُ لِأَيِّ فِتْنَةٍ
أَنْتَبِي وَلَكِنِّي سَأَذْهَبُ لِاسْتَنْفَسِيرِ
مِنْ أُمِّي ، عَنْ ذَلِكَ

وَاسْتَأْذَنَ الْفَتَى (سَاتَاكِيَامَا)

وَنَخَاضَ الْجَدُولَ

عَائِدًا إِلَى كُوخِ وَالِدَتِهِ

بِأَقْصَى الصَّحْرَاءِ

الْوَاقِعَةَ فِي ضِرَاحِي الْقَرْيَةِ النَّائِمَةِ

وَكَانَ الْمِصْبَاحُ يُضِيءُ الْعُرْفَةَ الْفَقِيرَةَ

إِضَاءَةً وَاهِنَةً شَاحِبَةً

وَكَانَتِ الْأُمُّ جَالِسَةً فِي الظَّلَامِ

عِنْدَ الْبَابِ ، تَنْتَظِرُ عَوْدَةَ طِفْلِهَا
وَضَمَّتْهُ إِلَى صَدْرِهَا
وَقَبَّلَتْ شَعْرَهُ بِرِقَّةٍ وَلُطْفٍ
وَسَأَلَتْهُ عَنِ زِيَارَتِهِ إِلَى الْمُعَلِّمِ
فَسَأَلَهَا الصَّبِيُّ :

أَيُّهَا الْأُمُّ الْمَعْبُودَةُ ، مَا هُوَ اسْمُ وَالِدِي؟
فَإِنَّ الْبِرَّهِمِيَّ وَحَدَّهُ هُوَ الَّذِي يُمَكِّنُهُ
أَنْ يَتَطَّلَعَ لِيَلُوغَ الْحِكْمَةَ الْأَسْمَى
هَكَذَا قَالَ لِي الْمُعَلِّمُ غَاوِتَامَا
فَخَفَّضَتْ الْأُمُّ بَصَرَهَا
وَقَالَتْ فِي هَمْسٍ :
فِي شَبَابِي كُنْتُ فَقِيرَةً
وَكَانَ لِي عِدَّةُ أَسْيَادٍ

وقد جثت بين ذراعي أمك (جابالا)
يا حبيبي ، أمك التي لم يكن لها زوجٌ .

وكانت أشيعة الشمس الأولى
تتألق فوق أطراف الأشجار
المحيطة بصومعة الناسك في الغابة
والطلبة، بشعورهم المشعنة
المطلولة برطوبة حمام الصباح
يجلسون تحت الشجرة العريفة
أمام المعلم .

وهناك أقبل (ساتاكاما)

وأنحنى عند قدمي الحكيم

وظل ساكتاً

فسأله المعلم . . قل لي

لأي فئة تنتمي؟

فأجاب لا أدري . . ولكني حين

سألت أمي ، قالت :

إنني عملت في خدمة أسياد كثيرين في شبابي وأنت ولدت

بَيْنَ ذِرَاعِي أُمِّكَ (جَبَّالًا) الَّتِي لَمْ يَكُنْ
لَهَا زَوْجٌ

وَهُنَاكَ تَعَالَتْ جَلْبَةً

تُشْبِهُ طَنِينِ النَّحْلِ الْحَائِقِ

مِنَ الْمُضَايِقَةِ فِي مَنَحِلِهِ

وَتَهَامَسَ الطَّلَبَةَ حَوْلَ هَذِهِ

الْوَقَاحَةِ الْمُخْزِيَةِ مِنْ هَذَا

الْفَتَى الْمَنبُودِ .

فَتَهَضَّ الْمُعَلِّمُ (غَوَاتَامَا)

وَفَتَحَ ذِرَاعَيْهِ وَضَمَّ إِلَى صَدْرِهِ

الْفَتَى قَائِلًا : إِنَّكَ أَفْضَلُ

مِنْ جَمِيعِ الْبَرْهَمِيِّينَ يَا طِفْلِي

لَقَدْ وَرِثْتَ أَنْبَلَ إِرِثِ .

إِنَّهُ الْحَقِيقَةُ . .

لَعَلَّهُ يُوجَدَ بَيْتٌ وَاحِدٌ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ
يَظَلُّ بَابُهُ مَفْتُوحًا إِلَى الْأَبَدِ
لِيَسْتَقْبِلَ هَذَا الصَّبَاحَ لَمَسَةَ الْفَجْرِ
حَيْثُ يَبْلُغُ النُّورُ أَهْدَافَهُ
إِنِ الزُّهُورَ قَدْ تَفَتَّحَتْ
فِي السُّهُولِ وَالْحَدَائِقِ
وَلَعَلَّ هُنَاكَ قَلْبًا
قَدْ وَجَدَ هَذَا الصَّبَاحَ
الهِبَةَ السَّاعِيَةَ نَحْوَهُ
مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ

لِتُصْنَعَ أَيُّهَا الْقَلْبُ

ففي نايه عبير الزهورِ الوحشيَّةِ
والأوراقِ النضيرةِ
والمياهِ المتألِّقةِ
والظلالِ التي يترددُ فيها رفيفُ أجنحةِ النحلِ
والنَّايِ
يسرقُ الابتسامةَ من شفَّتي صديقتي
وينشرُها فوق حَيَّاتي

69

لقد كُنتَ في صميمِ القلبِ
ولهذا لم يستطعْ أن يعثرَ عليكِ
قلبي حينَ كانَ يجوبُ الأفاقَ
لقد اختفتِ عن حُبِّي وأمالي
حتى النهايةِ
لأنك كُنتَ موجوداً فيها

لَقَدْ كُنْتُ أَعْمَقُ بِهَجَّةٍ فِي لُغْبَةٍ

شَبَابِي

وَحِينَ كُنْتُ مَشْغُولًا بِاللُّغْبَةِ

كَانَتْ الْبَهْجَةُ قَدْ تَوَارَتْ .

لَقَدْ كُنْتُ تُغْنِي فِي كُلِّ نَشْوَةٍ

مِنْ حَيَاتِي

أَمَا أَنَا فَقَدْ نَسِيتُ أَنْ أُغْنِي مِنْ أَجْلِكَ

70

حِينَ تَرَفَعُ وَصَبَّاحَكَ السَّمَاءُ

يُلْقِي الْمِصْبَاحُ نُورًا عَلَى وَجْهِ

وَتَقَعُ ظِلَالُهُ عَلَيْكَ

وَحِينَ أُمْسِكُ مِصْبَاحَ الْحُبِّ

فِي قَلْبِي

فَإِنْ نُورَهُ يُضِيئُكَ

وَأَظِلُّ أَنَا خَلْفَكَ فِي الظِّلِّ

لَقَدْ هَرَعَتِ الْبَهْجَةُ
مِنْ كُلِّ أَرْجَاءِ الْعَالَمِ
لِتُسَوِّيَ كَيْانِي الْجَسَدِيَّ
لَقَدْ قَبَّلَتْهَا أَضْوَاءُ السَّمَاءِ
حَتَّى اسْتَيْقَظَتْ
وَفِي أَنْفَاسِهَا كَانَتْ تَهْمِسُ
زُهُورُ الْأَصْيَافِ الْقَصِيرَةِ
وَصَوْتُ الرِّيَّاحِ
وَزَقْرَقَةَ الْمَاءِ
كَانَتْ تُغْنِي فِي حَرَكَاتِهَا
وَهَوَى مَوْجَةِ أَلْوَانِ
الْغَيْومِ وَالْعَابَاتِ يَجْرِي فِي حَيَاتِهَا
وَمُوسِيقَى الْكَوْنِ كُلِّهِ

كَانَتْ تُدَاعِبُ أَطْرَافَهَا
وَإِهْبَةً لَهَا شَكْلَهَا الْجَمِيلِ .
إِنَّهَا هِيَ عَرُوسِي
لَقَدْ أَوْفَدَتْ أَنْوَارَهَا فِي بَيْتِي

73

تَسْرَبُ الرَّبِيعُ فِي كَيْانِي
بِأُورَاقِهِ وَزُهُورِهِ
وَالنَّحْلُ يَطِينُ حَوْلَهَا طَوَالَ الصَّبَاحِ
وَالرِّيَّاحُ تَتَلَاعَبُ فِي خُمُولٍ مَعَ الظَّلَالِ
وَتَدْفُقُ نَبْعَ عَذْبٍ مِنْ أَعْوَارِ قَلْبِي
وَتَنْدَتُ عَيْنَايَ مِنَ الْبَهْجَةِ
مِثْلَ الصَّبَاحِ الطَّرِيِّ بِالنَّدَى
وَالْحَيَاةُ تَرْتَجِفُ فِي عُرُوقِي
مِثْلَ أَوْتَارِ الْعُودِ الرَّثَانَةِ

أَلَا تَجُوبِينَ وَحِيدَةً شَوَاطِيءُ حَيَاتِي
حَيْثُ يَعْلُو المَدُّ
يَا عَاشِقَةَ أَيَّامِي اللّامْحَدُودَةَ
إِنْ أَحْلَامِي تُحَلِّقُ حَوْلَكَ
كَأَنَّهَا طُيُورُ ذَاتُ أَجْنِحَةٍ مُلَوَّنَةٌ
أَهْيَ أَغْنِيَاتِكَ تِلْكَ الَّتِي يَتَرَدَّدُ رَجْعُ صِدَاهَا
فِي الأَعْوَارِ المُظْلِمَةِ مِنْ كَيْانِي؟
مَنْ عَيْرُكَ
يَسْتَطِيعُ أَنْ يُصْغِيَ إِلَى طِنِينِ
السَّاعَاتِ الحَاشِدَةِ الَّتِي تَرِنُ
اليَوْمَ فِي عُرُوقِي
وَالخُطُواتُ الفَرِحَةَ
الَّتِي تَرُقُصُ فِي قَلْبِي
وَضَجِيجُ الحَيَاةِ السَّائِرَةِ
الَّتِي تَحْفُقُ بِأَجْنِحَتِهَا فِي قَلْبِي

أُمَسِ فَقَطَّ قَدِمْتُ إِلَى أَرْضِكَ
 عُرْيَانًا ، بِإِسْمِ
 وَبَصِيحَةٍ وَاهِنَةٍ
 أَمَّا الْيَوْمَ
 فَصَوْتِي جَدْلَانُ
 فِيمَا تَنْعَزِلُ أَنْتِ يَا مَوْلَايَ
 جَانِبًا لِتُفْسِحَ لِي مَكَانًا
 حَتَّى أَسْتَطِيعَ أَنْ أَمْلَأَ حَيَاتِي
 وَحِينَ أَحْمِلُ إِلَيْكَ أَغَانِيَّ قُرْبَانًا
 فَإِنِّي أَتَمَنَّى فِي أَعْمَاقِي
 أَنْ يَأْتِيَ النَّاسُ وَيُحِبُّونِي مِنْ أَجْلِهَا
 إِنَّهُ لَيَرُوقُ لَكَ أَنْ يُكْتَشَفَ أَنَّنِي أَحِبُّ
 هَذَا الْعَالَمَ الَّذِي خَلَقْتَنِي فِيهِ

أَسْكُنُ فِي حَيَاءٍ
 إِلَى ظِلِّ الْخَلَاصِ
 وَلَكِنَّ الْآنَ وَمَوْجَةُ الْفَرْحَةِ
 تَرَفَعُ قَلْبِي فَوْقَ ذُرْوَتِهَا
 فَإِنَّهُ يَتَعَلَّقُ وَيَتَشَبَّهُ بِصَخْرَةٍ
 لَوَعَتِ الْقَاسِيَةَ
 وَحِيدَةً، أَجْلِسُ فِي زَاوِيَةٍ مِنْ بَيْتِي
 مُفَكِّرَةً أَنَّهَا رُبَّمَا كَانَتْ أَضْيَقَ مِنْ أَنْ تَتَّسِعَ لَأَيِّ ضَيْفٍ
 وَلَكِنَّ الْآنَ وَقَدْ فَتَحَتِ الْبَابَ
 فَرَحَةً مُبَاغِتَةً
 فَإِنِّي أُدْرِكُ أَنَّ هُنَاكَ مَكَانًا لَكَ
 وَلِكُلِّ الْعَالَمِ
 إِنِّي أَمْشِي عَلَى أَطْرَافِ قَدَمِي

مُتَّبِعَةً إِلَى نَفْسِي
وَلَكِنْ دَوَامَةً مِنَ الْفَرْحَةِ
أَلْقَتَ بِي فَوْقَ التُّرَابِ
فَإِنِّي أَضْحَكُ
وَأَتَدَخَّرُ وَأَتَقَلَّبُ فَوْقَ الْأَرْضِ
تَحْتَ قَدَمَيْكَ
كَمَا يَتَقَلَّبُ الطِّفْلُ

77

إِنَّ الْكَوْنَ لَكَ
قَوْرًا وَدَوْمًا
وَلَمَّا لَمْ تَكُنْ لَكَ شَهَوَاتُ
يَا مَلِيكِي
فَإِنَّكَ لَا تَسْتَمْتِعُ بِثَرَوَتِكَ
حَتَّى لَكَأَنَّهَا لَمْ تُوجَدْ

ولَهِذَا مَنَحْتَنِي تَدْرِيحِيًّا

كُلِّ مَا يَخْصُوكَ

وَبِلَا تَوَقُّفٍ

استوليت على مَمْلَكَتِكَ في أَعْمَاقِي

وفي كُلِّ يَوْمٍ تَحْصُلُ عَلَيَّ فَجْرَكَ مِن قَلْبِي

وتَجِدُ حُبَّكَ مَنْحُوتًا في صُورَةِ حَيَاتِي

78

لَقَدْ وَهَبْتَ الطُّيُورَ تَغْرِيدًا

وبِهَذَا التَّغْرِيدِ تُرَدُّ إِلَيْكَ الفَضْلَ

أَمَا أَنَا فَفَقَدَ مَنَحْتَنِي صَوْتًا فَفَقَطْ

ولَكِن إِذَا طَلَبْتَ المَزِيدَ

فإنَّنِي أُعْغِي

لَقَدْ جَعَلْتَ رِيَّاحَكَ خَفِيفَةً

فكَانَتْ سَرِيعَةً إِلَى خِدْمَتِكَ

أَمَا أَنَا فَقَدْ جَعَلْتَ يَدَيَّ صَقِيلَتَيْنِ
أَجَلٌ ، حَتَّى أَقْدِرَ عَلَى التَّخْفِيفِ مِنْ أَعْبَائِهِمَا
وَأُظْفِرَ فِي النِّهَايَةِ بِحُرِّيَّةٍ كَامِلَةٍ
تُمْكِّنُنِي مِنْ خِدْمَتِكَ
لَقَدْ خَلَقْتَ الْأَرْضَ
وَعَمَرْتَ ظِلَالَهَا بِالْأَضْوَاءِ الْمُتَنَائِرَةِ
وَهُنَاكَ تَوَقَّفْتَ
وَتَرَكْتَنِي بِيَدَيْنِ فَارِغَتَيْنِ
فَوْقَ التُّرَابِ
وَأَنْصَرَفْتَ عَنِّي إِلَى خَلْقِ السَّمَاءِ
إِنَّكَ تُعْطِي لِكُلِّ الْأَشْيَاءِ فِي هَذَا الْكَوْنِ
أَمَا أَنَا فَإِنَّكَ
تَطْلُبُ مِنِّي الْعَطَايَا
إِنْ حَصَادَ حَيَاتِي
يُنْصِجُ بِحَرَارَةِ الشَّمْسِ وَغَزَارَةِ الْمَطَرِ

حَتَّى يَتَيَسَّرَ أَنْ أَحْصِدَ أَكْثَرَ مِمَّا

زَرَعْتَ أَنْتَ

فِيْمَتَلَى قَلْبُكَ هِنَاءً

يَا سَيِّدَ الْأَهْرَاءِ الذَّهِيَّةِ

79

أَنْ لَا أَصَلِّيَ لِكَيِّ أَحْمِي نَفْسِي مِنَ الْأَخْطَارِ

وَلَكِنْ لِكَيِّ أَكُونَ جَرِيئًا فِي مُوَاجَهَتِهَا

وَأَنْ لَا أَطْلُبَ أَنْ تُخَفِّفَ آلامِي

وَلَكِنْ أَنْ تَكُونَ لِي السَّجَاعَةَ لِلتَّفُوقِ عَلَيْهَا

أَنْ لَا أَبْحَثَ عَنْ حُلْفَاءَ فِي مَعْرَكَةِ الْحَيَاةِ

سِوَى قُوَّتِي الذَّائِيَّةِ

أَنْ لَا أَلْتَمِسَ خَلَاصِي فِي خَوْفِ قَلِقِ

وَلَكِنْ فِي أَنْ يُحَقِّقَ الصَّبْرُ أَمَلِي

فِي اِكْتِسَابِ حُرِّيَّتِي

هَيِّءْ لِي أَلَا أَكُونُ جَبَانًا
وَأَنْ أُبَلِّغَ نِعْمَتَكَ فِي نَجَاحِي
وَأَنْ أَشْعُرَ بِضَمَّةِ يَدِكَ
فِي إِخْفَاقِي وَخِذْلَانِي

80

لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ نَفْسَكَ حِينَ كُنْتَ تَسْكُنُ
وَخَدَكَ .

وَلَمْ تَكُنْ لِتَبْلُغَكَ أَيُّ رِسَالَةٍ
حِينَ كَانَتْ الرِّيحُ تَجْرِي مِنْ شَاطِئِي إِلَى آخِرِ
لَقَدْ جِئْتُ أَنَا
وَاسْتَفَقْتَ أَنْتَ

وَأَزْهَرَتِ السَّمَاءُ بِالْأَلْوَانِ
وَجَعَلْتَنِي أَنْفَتِحَ فِي عَدِيدِ الْأَزْهَارِ
وَهَدَيْتَنِي فِي مَهْدٍ مُتَعَدِّدِ الْأَشْكَالِ

وأخفيتني في الموتِ
ثمَّ ألفتني من جديدٍ، في الحياةِ
وجئتُ، وقد امتلأ قلبك
وعرفت الألم والبهجة
لقد لمستني فأشعلتني حباً
ولكن فوق عيني هناك
حجابٌ من الخجلِ
وفي صدري رجفة الخوفِ
ووجهي محجوبٌ
وإني لأبكي حين لا أراك
ومع ذلك فإني أعرفُ الظمَّ الشديدَ
لأنَّ تطلعتني بأن في قلبك
ظمًا يصرخُ بيابي
الذي يطرُقه كلُّ صباحٍ
مع أشعة الشمس

إِنَّكَ لَتُصْغِي فِي سَهْرِكَ الْحَالِدِ
 إِلَى خُطُوتِي الَّتِي تَدْنُو مِنْكَ
 بَيْنَمَا تَتَجَمَّعُ فَرْحَتُكَ
 فِي بَشَائِرِ الصَّبَاحِ
 وَتَتَفَجَّرُ فِي فَيْضِ النُّورِ
 كُلَّمَا دَنَوْتُ مِنْكَ
 كُلَّمَا أزدَادَ عُمُقُ الْحَمَاسِ
 فِي رُقْصَةِ الْبَحْرِ
 إِنْ كَوْنُكَ لِهَوِّ رَشٍّ مِنْ النُّورِ
 يَنْتَشِرُ وَيَتَوَزَّعُ
 مَا لَيْتَا رَاحَتَيْكَ
 وَلَكِنْ سَمَاءَكَ فِي قَلْبِي الْخَفِيِّ
 الَّذِي يَفْتَحُ بِيَطَهُ بَرَاعِمَهُ

عَلَى حُبِّ خَجُولٍ

82

سَأَنْطِقُ بِاسْمِكَ

جَالِساً وَحْدِي

بَيْنَ ظِلَالِ أَفْكَارِي الصَّامِتَةِ

سَأَنْطِقُ بِهِ بِلاَ غَايَةٍ

لَأُتِي كَالطُّفْلِ

الَّذِي يَدْعُو أُمَّهُ مِئَةَ مَرَّةٍ

سَعِيداً بِمَعْرِفَتِهِ نُطِقَ كَلِمَةً (أُمَّاه)

83

I

أَحْسُ أَنْ جَمِيعَ النُّجُومِ تَتَأَلَّقُ فِي أَعْمَاقِي
وَأَنَّ الكَوْنَ يَتَدَفَّقُ فِي حَيَاتِي كَالْبَحْرِ الهَادِرِ

وَالأَزْهَارَ تَتَفْتَحُ فِي جَسَدِي

وَشَبَابَ الأَرْضِ والمَاءِ يَتَصَاعَدُ بِخُورِهِ

فِي قَلْبِي
وَنَفْسِ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ
تَعْرِفُ فَوْقَ أَفْكَارِي مِثْلَ النَّايِ

II

حِينَ يَغْفُو الْكَوْنُ
فَإِنِّي أَحْضَرُ إِلَى بَابِكَ
النُّجُومُ صَامِتَةٌ
وَلَا أَجْرُؤُ عَلَى الْغِنَاءِ
لِيَّيْ أَرْقُبُ وَأَسْهَرُ
حَتَّى يَعْبرَ طَيْفُكَ
شَرْفَةَ اللَّيْلِ
فَأَرْجِعُ بِقَلْبٍ مُتْرَعٍ فَيَّاضٍ
وَفِي الصَّبَّاحِ
أَقْفَ عِنْدَ حَافَةِ الطَّرِيقِ
وَأُغْنِي
فَتُحَيِّنِي زُهُورَ السَّهْلِ

وَيُصْغِي إِلَيَّ نَسِيمُ الصَّبَاحِ
وَيَقِفُ الْعَابِرُونَ فَجَاءَةً
وَيُحَدِّقُونَ فِي وَجْهِهِ
يَحْسَبُونَ بِأَنِّي هَتَفْتُ بِأَسْمَائِهِمْ

III

شُدَّنِي إِلَى بَابِكَ
دَوْمًا فِي انْتِظَارِ رَغَبَاتِكَ
وَدَعْنِي أَجُوبُ مَمْلَكَتِكَ
مُلَيَّبًا دَعْوَتِكَ
لَا تَذَرْنِي أَعْرَقُ وَأَضْمَجِلُّ فِي أَعْمَاقِ الْخُمُولِ
وَلَا تَدْعُ حَيَاتِي تُسْتَهْلِكُ
وَتَتَحَوَّلُ إِلَى أَسْمَالِ
بِفَقْرِ الْمَكَانِ الْمُدْفِعِ
وَلَا تَدْعُ الشُّكُوكَ تَكْتَنِفْنِي
بِعُبَارِ الشُّرُودِ وَالْغَفْلَةِ
لَا تَدْعُنِي أَسْأَلُكَ طُرُقًا مُخْتَلِفَةً

لَأَجْمَعَ أَشْيَاءَ عَدِيدَةً
وَلَا تَذَرْنِي أَحْنِي قَلْبِي لِنِيرِ الْكَثِيرِينَ
وَلَكِنْ دَعْنِي أَرْفَعُ الرَّأْسَ عَالِيًا
فَحُورًا بِأَنْ أَكُونَ خَادِمَكَ

رجال المجاذيف

أَتَسْمَعُ مِنْ بَعِيدٍ
ضَجِيجَ الْمَوْتِ
وَذَلِكَ النَّدَاءَ الْمُرْسَلَ
عَبْرَ أَنْهَارِ النَّارِ وَالْغُيُومِ الْمَسْمُوعَةِ؟
وَصَرَخَ الرُّبَانَ فِي الْمَلَأَحِ مَاسِكِ الدَّفَةِ
أَنْ يُوجِّهَ السَّفِينَةَ نَحْوَ شَاطِئِي، مَجْهُولٍ
فَقَدْ انْتَهَى الزَّمَنُ الرَّأَكِدُ فِي الْمِينَاءِ
وَحِينَ تُبَاعُ الْبَضَائِعِ الْقَدِيمَةُ
أَوْ تُشْتَرَى فِي دَائِرَةِ لَا حَدَّ لَهَا
وَحِينَ يَجْرُفُ سَيْلُ الْفَرَاغِ الْأَشْيَاءَ
الْمَيْتَةَ

وفي غَيْبَةِ الْحَقِيقَةِ
يَسْتَيْقِظُونَ بَغْتَةً فَرِيعِينَ
وَيَتَسَاءَلُونَ
أَيُّهَا الرَّفَاقُ أَيَّ سَاعَةٍ هَذِهِ الَّتِي دَقَّتِ الْآنَ؟
وَمَتَى يَبْزُغُ الْفَجْرُ؟
إِنَّ الْغُيُومَ قَدْ غَطَّتِ النُّجُومَ
فَمَنْ ذَا الَّذِي يَقْدِرُ عَلَى رُؤْيَا
الْإِشَارَةِ الَّتِي تُؤْمِيءُ إِلَى بَدَايَةِ النَّهَارِ؟
وَيُهْرَعُونَ إِلَى الْخَارِجِ رَاكِضِينَ حَامِلِينَ
مَجَاذِيْفَهُمْ فِي أَيْدِيهِمْ
وَتَظَلُّ أَسِيرَتُهُمْ فَارِغَةً
وَالْأُمَّ تَدْعُو
وَالزَّوْجَةُ تَرْقُبُ عِنْدَ عَتَبَةِ الْبَابِ
وَيَرْتَفِعُ فِي السَّمَاءِ نَحِيبُ الْوَدَاعِ
وَصَوْتُ الرِّبَّانِ يَهْتَفُ فِي الظُّلَامِ
تَعَالَوْا أَيُّهَا الْمَلَأْحُونَ

فإن وقت مكوثنا في الميأ قد انتهى
إن كل شرور العالم السوداء
قد فاضت ودمرت سدودها
ومع ذلك أيها الملاحون
خذوا أمانكم
وأطروا قلوبكم على الحزن
من الذي تلعون؟
فأحنوا رؤوسكم
إن الخطيئة كانت خطيتكم وخطيتنا
تلك الغضبة النامية عبر الأحقاب
في قلب الرب
وجبن الضعيف
وتطاول القوي
وشهوة الكسب والمال
وحقد الإنسان المهان
وكبرياء العرق

وَتَحْقِيرُ الْإِنْسَانِ لِلْإِنْسَانِ
قَدْ هَشَمَتْ سَلَامَ الرَّبِّ
فَكَانَتْ غَضَبُهُ هَذِهِ الْعَاصِفَةَ
وَكَقِشْرَةَ الثَّمَرَةِ النَّاصِحَةَ
بَدَّدَتْ الْعَاصِفَةَ قَلْبَهَا أَجْزَاءَ
مُرْسِلَةً رُغُودَهَا عَلَيْكُمْ
يَكْفِي مِنَ الثَّرْتَرَةِ الْجَرِيئَةِ
الْمُعْبَّرَةَ عَنْ عِتَابِكُمْ وَتَزْلُفِكُمْ
وَيَهْدُوهُ الدُّعَاءِ الصَّامِتِ
الْبَادِيِ عَلَى جِبَاهِكُمْ
أَبْجِرُوا نَحْوَ ذَلِكَ الشَّاطِئِ الْمَجْهُولِ
لَقَدْ عَرَفْنَا الشُّرُورَ وَالْخَطَايَا كُلَّ يَوْمٍ
وَعَرَفْنَا الْمَوْتَ
وَكَانَتْ تَمَرٌ فَوْقَ كَوْنِنَا كَأَنَّهَا الْغَيْبُومُ
تَسْخَرُ مِنَّا بِابْتِسَامَتِهَا الصَّاعِقَةَ

وَفَجَاءَ تَوَقَّفَتْ هَذِهِ الشُّرُورُ
وَحَدَّثَتْ الْمُعْجِزَةَ
وَوَقَّفَ الرَّجَالُ فِي وَجْهِهَا قَائِلِينَ :
نَحْنُ لَا نَحْشَاكَ ، أَيُّهَا الشَّيْخُ
لَقَدْ عَشِنَا كُلَّ يَوْمٍ مِنْ حَيَاتِنَا مِنْ أَجْلِ
أَنْ نَقْهَرَكَ وَنَتَغَلَّبَ عَلَيْكَ
وَسَوْفَ نَمُوتُ عَلَى الْإِيمَانِ بِإِنِّ السَّلْمَ حَقٌّ
وَاللَّهُ حَقٌّ وَالْخَالِدُ حَقٌّ
فَإِذَا لَمْ يَكُنِ الْخَالِدُ نَازِلًا فِي قَلْبِ
الْمَوْتِ
وَإِذَا كَانَتْ الْمَعْرِفَةُ الْبَهِيجَةَ
لَا تَتَفْتَحُ لِتُمَزَّقَ قِشْرَةَ الْأَلَمِ
وَإِذَا كَانَتْ الْخَطِيئَةُ لَا تَمُوتُ
كَاشِفَةً عَنْ حَقِيقَتِهَا
وَإِذَا كَانَتْ الْكِبْرِيَاءُ لَا تَتَمَزَّقُ
تَحْتَ عِبَاءِ زِينَتِهَا وَبَهْرَجِهَا

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَأْتُونَ الْبِلَّغَةَ
ذَلِكِ الْأَمَلُ الَّذِي يَدْفَعُ أَوْلِيكَ الرَّجَالَ
خَارِجَ بُيُوتِهِمْ ، مِثْلَ النَّجُومِ الَّتِي
تَسَاقَطُ لِلْمَوْتِ فِي ضَوْءِ الصَّبَاحِ ؟
إِنَّ قِيَمَةَ دِمَاءِ الشَّهَدَاءِ
وَدُمُوعَ الْأُمَمَاتِ
سَتَضِيغُ فِي تُرَابِ الْأَرْضِ
إِذَا لَمْ تَمْتَلِكِ السَّمَاءَ بِثَمَنِهِ
ثُمَّ حِينَ يَتِمَكَّنُ الْإِنْسَانُ مِنْ
قَطْعِ عُرَاهِ الدُّنْيَوِيَّةِ الْفَانِيَةِ
أَلَا يَتَجَلَّى لَهُ اللَّانِيهَائِي أَنْذَاكَ

أنشودة الهزيمة

حين كنتُ على حافةِ الطريقِ
أمرني مولاي
أن أغني أغنيةَ الهزيمةِ
فتلك هي عروسه التي يُغازلها في الخفاءِ
لقد ارتدت وشاحاً أسودَ
يُحجبُ وجهها عن الناسِ
ولكنَّ الجوهرة كانت تتألقُ فوقَ نهديها
في الظلامِ
لقد استسلمتُ للنهارِ.
ولكن ليلاً الربُّ
يَنظُرُها بِشُمُوعِهِ الموقدةِ

وَرُحُورِهِ الَّتِي بَلَّلَهَا النَّدى

إِنِّهَا صَامِتَةٌ

وَعَيْنَاهَا خَاشِعَتَانِ

لَقَدْ هَجَرَتْ بَيْتَهَا

حِينَ تَنَاهَى إِلَيْهَا

ذَلِكَ الْحَقَّقَانُ الَّذِي تَحْمِلُهُ الرِّيحُ

وَلَكِنَّ النُّجُومَ كَانَتْ تُغْنِي أُغْنِيَةَ الْخُلُودِ

لِذَلِكَ الْوَجْهِ اللَّطِيفِ الَّذِي تَمَازَجَ

فِي عُدُوبَتِهِ الْخَجَلُ وَالْأَلَمُ

لَقَدْ فَتَحَ بَابَ الْعُرْفَةِ الْمُتَعَزِّلَةِ

وَعَزَفَ النَّدَاءَ

وَحَقَّقَ قَلْبُ الظَّلَامِ

لِقُرْبِ الْمَوْعِدِ الْقَادِمِ

شكر

أولئك الذين يسلكون طريقَ الكِبْرِيَاءِ
سَاحِقِينَ تَحْتَ أَقْدَامِهِمِ الْمَخْلُوقَاتِ الْمُتَوَاضِعَةَ
مُغْطِينَ خُضْرَةَ الْأَرْضِ الْعَضَّةِ
بِأَثَارِهِمِ الدَّمَوِيَّةِ
يَيْتَهَجُونَ وَيَرْفَعُونَ الشُّكْرَ إِلَيْكَ
يا إلهي
لأنَّ هَذَا الْيَوْمَ يَوْمُهُمْ
وَلِكِنِّي أَشْكُرُكَ لِأَنَّكَ جَعَلْتَ
نَصِيبِي مَعَ الْفُقَرَاءِ الْمُتَوَاضِعِينَ
الَّذِينَ يَتَعَذَّبُونَ
وَيَتَحَمَّلُونَ عِبَاءَ التَّسَلُّطِ

مُؤَارِينِ وَجُوهَهُمْ

خَائِنِينَ خَفَقَاتِ قُلُوبِهِمْ فِي الظَّلَامِ

ذَلِكَ أَنْ كُلَّ خَفَقَةٍ مِنْ خَفَقَاتِ آلامِهِمْ

قَدْ نَبَّضَتْ فِي الهَاوِيَةِ الخَفِيَّةِ مِنْ لَيْلِكَ

وَكُلَّ إِهَانَةٍ قَدْ حَوَاها صَمْتُكَ الكَبِيرُ

إِنْ العَدَا لَهُمْ

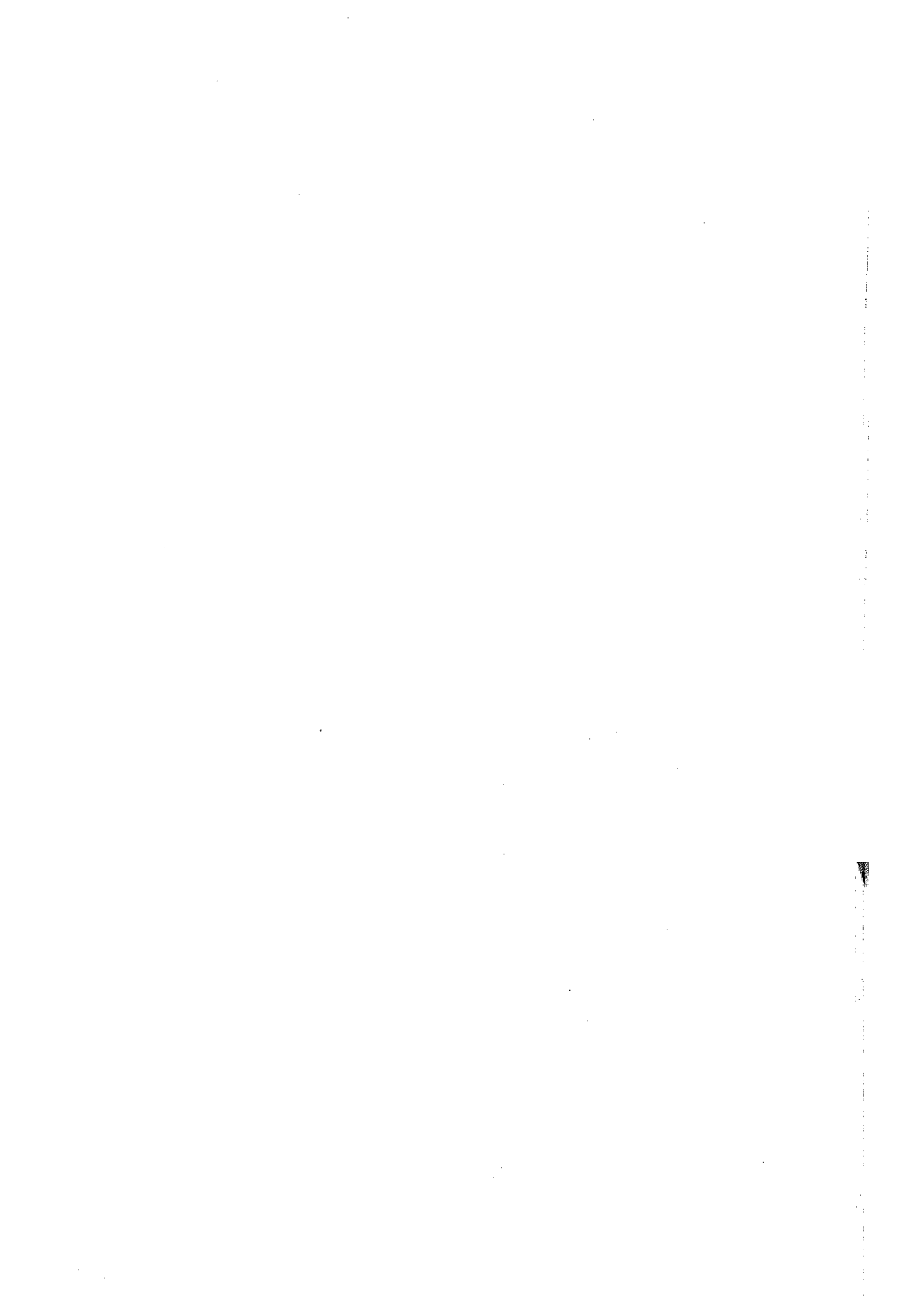
أَيَّتِهَا الشَّمْسُ

لِشَّرْقِي فَوْقِ القُلُوبِ الدَّامِيَةِ

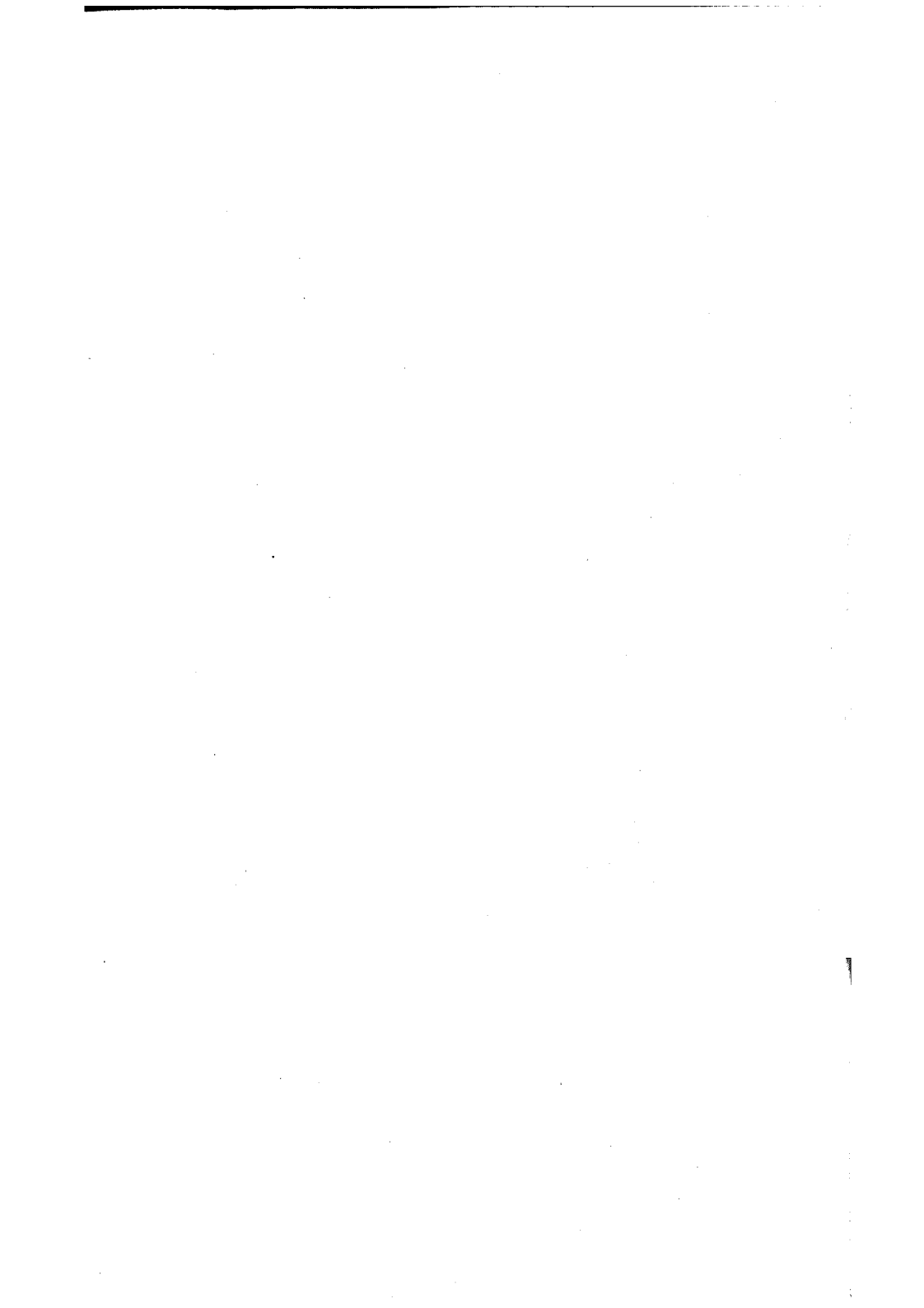
الَّتِي تَتَفَتَّحُ فِي أَزْهَارِ الصَّبَاحِ

وَفَوْقِ فُجُورِ الكِبْرِيَاءِ اللَّيْلِيِّ

الَّذِي تَحَوَّلَ إِلَى رَمَادٍ



هَدِيَّةُ الْمَاشِقِ



تَعَالَى يَا حَبِيبَتِي
لِلتَّنَزُّهِ فِي الْحَدِيقَةِ
وَتَحْطِرِي قُرْبَ الزُّهُورِ الْعَاشِقَةِ
الَّتِي تَحْتَشِدُ عِنْدَ رُؤْيَاكَ .
مُرِّي قُرْبَهَا وَتَوَقَّفِي
أَمَامَ بَهْجَةٍ غَيْرِ مُتَوَقَّعَةٍ
مِثْلَ الْغُرُوبِ الرَّائِعِ
يُنِيرُ، وَلَكِنَّهُ سَرْعَانَ مَا يَزُولُ .
وَلِأَنَّ عَطِيَّةَ الْحُبِّ خَجُولٌ
فَإِنَّهَا لَا تُعْلِنُ عَنَ اسْمِهَا
إِنَّهَا تَتَحَلَّلُ الظَّلَالَ بِسُرْعَةٍ

نَاشِرَةً رَجْفَةَ الْفَرَحِ عِبْرَ التُّرَابِ
فَحُدَيْهَا خَطْفًا

أَوْ أَفْقِدِيهَا إِلَى الْأَبَدِ
فَالْعَطِيَّةُ الَّتِي يُمَكِّنُ الْإِمْسَاكُ بِهَا
لَيْسَتْ سِوَى زَهْرَةٍ نَحِيلَةٍ
أَوْ وَمَضَّةٍ مِنَ اللَّهْيَبِ الْمُرْتَجِفِ

4

أَنْتِ قَرِيبَةٌ مِنْ قَلْبِي
قُرْبَ زَهْرَةِ الْحَقْلِ مِنَ الْأَرْضِ .
وَأَنْتِ عَذْبَةٌ عِنْدِي
عُدُوبَةَ النَّوْمِ لِلْأَعْضَاءِ الْمُرْهَقَةِ .
إِنْ حُبِّي لَكَ هُوَ حَيَاتِي
فِي تَدْفُقِ امْتِلَائِهَا
مِثْلَ النَّهْرِ الْفَائِضِ فِي الْحَرِيفِ ،

الْمُتَدَفِّقُ فِي اسْتِسْلَامِ هَادِيهِ .
إِنْ أَغَانِي تَمْتَرِجُ بِحِي
مِثْلَ خَرِيرِ الْجَدُولِ الَّذِي يَغْنِي
بِكُلِّ أَمْوَاجِهِ ، وَكُلِّ تَيَارَاتِهِ الْهَادِرَةِ . .
لَوْ مَلَكْتُ السَّمَاءَ بِكُلِّ مَا فِيهَا مِنْ نُجُومٍ ،
وَالْكَوْنَ بِكُلِّ مَا فِيهِ مِنْ ثَرَوَاتٍ هَائِلَةٍ ،
فَإِنِّي سَأَطْلُبُ الْمَزِيدَ .
وَلَكِنِّي سَأَكُونُ رَاضِيًا قَانِعًا
بِأَكْثَرِ زَوَايَا الْأَرْضِ تَوَاضِعًا وَبَسَاطَةً
لَوْ كُنْتُ أَنْتِ لِي

8

هُنَاكَ مَكَانُ لَكَ
أَنْتِ وَحِيدَةٌ وَلَيْسَ مَعَكَ سِوَى حُزْمَاتِ
قَلِيلَةٍ مِنْ سَنَابِلِ الْأُرْزِ .

إِنْ زَوَّرَقِي مُزْدَحِمٌ
وَحِمْلُهُ ثَقِيلٌ
وَلَكِنْ كَيْفَ يُمَكِّنُنِي أَنْ أُطْرُدَكَ؟
قَوَامِكِ الشَّابُّ
نَحِيفٌ وَمَتَمَّوَجٌ
وَابْتِسَامَةٌ مَآكِرَةٌ
فِي طَرْفِي عَيْنِكَ
وَلِأَثْوَابِكَ أَلْوَانُ السَّحَابَةِ الصَّيْفِيَّةِ
سَيَنْزِلُ رُكَّابُ الزُّورَقِ
وَلَنْ تَجِدِي فِي نِهَائِيَةِ الرَّحْلَةِ
مَنْ يُؤْنِسُكَ بِالْحَدِيثِ
إِلَى أَيْنَ أَنْتِ ذَاهِبَةٌ
وَفِي أَيِّ بَيْتٍ سَتُكَدِّسِينَ سَنَايِلَ الْأَرْزِ؟
لَنْ أَسْأَلَكَ
وَلَكِنْ حِينَ أَطْوِي أَشْرِعَتِي

وَأُرْسِي زُورَقِي
سَاجِسُ عِنْدَ الْمَسَاءِ مُفَكِّرًا
وَأَتَسَاءَلُ:
إِلَى أَيْنَ أَنْتِ ذَاهِبَةٌ
وَفِي أَيِّ بَيْتٍ سَتُكَدِّسِينَ سَنَابِلَ الْأُرْزُقِ؟

13

الْبَارِحَةَ
قَدَّمْتُ إِلَيْكَ فِي الْحَدِيثَةِ
نَبِيذَ شَبَابِي الْمُرْبِدِ
فَرَفَعْتَ الْكَأْسَ إِلَى شَفَتَيْكَ
وَأَغْمَضْتَ عَيْنَيْكَ
وَابْتَسَمْتَ حِينَ رَفَعْتَ خِمَارَكَ
وَفَكَكْتَ ضَمْفَائِرَكَ
وَجَذَبْتَ إِلَى صَدْرِي

وَجْهَكَ الْحُلُوَّ بِصَمْتِهِ الْهَادِيءِ

الْبَارِحَةِ

حِينَ كَانَ الْحُلْمُ الْقَمْرِيَّ

يَغْمُرُ الْكَوْنَ الْغَافِي .

وَالْيَوْمَ

وَفِي هُدُوءِ الْفَجْرِ الطَّرِيِّ بِالنَّدَى

كُنْتُ تَمَشِينِ نَحْوَ مَعْبَدِ الرَّبِّ

مُغْتَسِلَةً ، مُرْتَدِيَةَ الْبَيَاضِ

وَفِي يَدِكَ سَلَّةٌ مِنَ الزُّهُورِ

أَمَّا أَنَا فَقَدْ اعْتَزَلْتُ جَانِبًا

وَوَقَفْتُ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ

خَافِضَ الرَّأْسِ

فِي هُدُوءِ الْفَجْرِ

قُرْبَ طَرِيقِ الْمَعْبَدِ الْمَهْجُورَةِ

هِيَ تَسْكُنُ قُرْبَ الْغَدِيرِ
 ذِي الْأَرْضِصْفَةِ الْعَيْقَةِ الْبَالِيَةِ
 مَا أَكْثَرَ الْأُمْسِيَّاتِ الَّتِي رَأَيْتُ فِيهَا الْقَمَرَ
 مُضْطَرَبًا بَيْنَ أَوْرَاقِ الْبَامْبُو الَّتِي كَانَتْ تَهْزُهَا الرِّيَّاحُ
 وَفِي كَثِيرٍ مِنْ أَيَّامِ الْمَطَرِ
 كَانَ عِطْرُ الْأَرْضِ الْبَلِيلَةِ
 يَصِلُ إِلَيْهَا
 فَوْقَ بَرَاعِمِ الْأَرْضِ.
 إِنْ صَبِغَةَ الدَّلَالِ لِاسْمِهَا مَعْرُوفَةٌ
 هُنَا بَيْنَ غَابَاتِ النَّخِيلِ الصَّغِيرَةِ
 وَفِي السَّاحَاتِ الَّتِي يَجْلِسُ فِيهَا الصَّبَّايَا
 لِلثَّرْتَرَةِ وَخِيَاطَةِ تَطْرِيزَاتِهِنَّ الشَّتْوِيَّةِ.
 وَمِيَاهُ الْغَدِيرِ

تَحْفَظُ ذِكْرِي أَطْرَافِهَا الْجَسَدِيَّةَ

حِينَ كَانَتْ تَسْبَحُ فِيهَا

وَقَدَمَاهَا الْمُبْلَّتَانِ تَرَكَتَا آثَارَهُمَا

يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ

فُوقَ الدَّرْبِ الْمُؤَدِّيِ إِلَى الْقَرْيَةِ

وَالنُّسُوءِ اللَّوَاتِي يَأْتِينَ الْيَوْمَ لِعَرْفِ الْمَاءِ

رَأَيْنَ ابْتِسَامَتَهَا

الَّتِي تَرُدُّ بِهَا عَلَى الْمُدَاعِبَاتِ الْبَسِيطَةِ السَّادِجَةِ

وَالفَلَّاحِ الْعَجُوزِ الَّذِي يَسُوقُ عَجُولَهُ

الصَّغِيرَةَ لِعَسَلِهَا فِي النَّهْرِ، كَانَ يَتَوَقَّفُ كُلَّ يَوْمٍ

أَمَامَ بَيْتِهَا لِيُحْيِيَهَا

وَكَثِيرٌ مِنَ الزَّوَارِقِ الشَّرَاعِيَةِ

تَمُرُّ قَرَبَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ

وَكَثِيرٌ مِنَ الْعَابِرِينَ يَتَوَقَّفُونَ لِلرَّاحَةِ

تَحْتُ شَجَرَةَ الْبَانِيَانِ
وَكَثِيرٌ مِنَ الْمَرَائِبِ تُبْحِرُ نَحْوَ الضِفَّةِ الْأُخْرَى
وَعَلَى ظَهْرِهَا أَنْاسٌ يَقْصِدُونَ السُّوقَ
وَلَكِنَّهُمْ لَا يُلَاحِظُونَ أَبَدًا هَذَا الْمَكَانَ
الْوَاقِعَ عَلَى طَرِيقِ الْقَرْيَةِ
قُرْبَ الْأَرْضِ صَفَةِ الْعَيْقَةِ الْبَالِيَةِ
حَيْثُ تَسْكُنُ الْمَرَأَةُ الَّتِي أُحِبُّهَا

إِذَا كُنْتَ تَرْغِبِينَ
 فِي أَنْ تَهَيِّبَنِي قَلْبَكَ
 فَإِنَّ أَيَّامَكَ سَتَكُونُ مَلِيئَةً بِالْإِلَامِ
 فَإِنَّ لَيْسَتِي أَبْوَاباً مَفْتُوحَةً .
 وَفِكْرِي شَارِدٌ
 لِأَنِّي أُغْنِي .

إِذَا كُنْتَ حَقًّا تَرْغِبِينَ
 فِي أَنْ تَهَيِّبَنِي قَلْبَكَ
 فَإِنِّي أَنبُؤُكَ
 إِلَى أَنِّي لَنْ أَكُونَ قَادِرًا عَلَى الْاسْتِجَابَةِ
 فَإِذَا أَعْطَيْتَكَ الْآنَ كَلِمَتِي مُغْنِيًا
 وَكُنْتُ مُقْتِنِعًا فِي الْوَفَاءِ بِهَا
 فَعَلَيْكَ أَنْ تَعْذُرَ بِنِي

حِينَ تَكْفُفُ الْمَوْسِيقَى عَنِ الْعَزْفِ
إِذْ مِنَ الْخَيْرِ لِلْعَهْدِ الَّذِي تَقَرَّرَ فِي شَهْرِ مَآيُو
أَنْ يُنْقَضَ فِي شَهْرِ دَيْسَمْبَرِ
وَإِذَا كُنْتَ حَقًّا تَرْغَبِينَ
فِي أَنْ تَهْبِئَنِي قَلْبِكَ
فَلَا تَذْكُرِيهِ عَلَى الدَّوَامِ
وَحِينَ تُغْنِي عَيْنَاكَ بِالْحُبِّ
وَيَتَمَوَّجُ صَوْتُكَ بِالضَّحَكَاتِ
فَإِنَّ إِجَابَتِي لِمَا تَطْلُبِينَهُ
سَتَكُونُ عَاطِفِيَّةً
وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ دَقِيقَةً فِي وَقَائِعِهَا
وَعَلَيْكَ أَنْ تُصَدِّقِيهَا إِلَى الْأَبَدِ
لِكَيْ تَنْسِيَهَا بَعْدَ ذَلِكَ
إِلَى الْأَبَدِ

جَاءَ فِي الْكِتَابِ
 أَنَّهُ إِذَا بَلَغَ الْمَرْءُ الْخَمْسِينَ
 فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَخَلَّى عَنْ هَذَا الْعَالَمِ الصَّاحِبِ
 لِيَبْصُرَ إِلَى الْوَحْدَةِ
 فِي الْغَابِ .
 وَلَكِنَّ الشَّاعِرَ يُعْلِنُ:
 أَنَّ الْاِعْتِكَافَ فِي الْغَابِ
 لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِلشَّبَابِ .
 فَهُنَاكَ تُوَلَّدُ الطُّيُورُ
 وَهُنَاكَ مُلْتَقَى النَّحْلِ وَالطُّيُورِ
 وَهُنَاكَ الزَّوَايَا الْخَفِيَّةُ الَّتِي تَنْتَظِرُ
 رَعِشَةَ هَمَسَاتِ الْعُشَّاقِ .
 هُنَاكَ نُورُ الْقَمَرِ

الذِي يَتَجَمَّعُ كُلُّهُ فِي قُبْلَةٍ
يَضَعُهَا عَلَى أَفْوَافِ الزُّهُورِ .
وَلِهَذَا النُّورِ رِسَالَتُهُ الْعَمِيقَةُ
وَلَا يَفْهَمُهَا إِلَّا مَنْ كَانَ دُونَ الْخَمْسِينَ .
وَأَسْفَاهُ !

إِنِ الشَّبَابَ لَعَنَيْدُ
وَقَلِيلُ التَّجْرِبَةِ .
وَلِذَا فَإِنَّهُ مِنَ الْإِنْصَافِ أَنْ يُعْنَى الشُّيُوخُ
بِالْأَسْرِ .

وَأَنْ يَتَوَجَّهَ الشَّبَابُ
إِلَى خَلْوَةِ الْإِعْتِكَافِ فِي الْغَابِ ،
وَالْتَّقْيِدِ بِنِظَامِ الْمُعَازَلَةِ الصَّارِمِ .

زَهْرَةَ الثَّقَافَةِ ،
 تَنْطَفِئُ فِي بَيْتِي
 لِتَوْلَدَ فِي مُسْتَقْبَلِ سَعِيدِ
 فِي شَخْصِ رَاعٍ صَغِيرٍ فِي غَابَاتِ (بِرُنْدَا)
 الرَّاعِي الَّذِي يَرَعَى قُطْعَانَهُ
 جَالِسًا تَحْتَ شَجَرِ الْبِنْيَانِ
 وَهُوَ يَضْفِرُ فِي كَسَلٍ أَكَالِيلَ زَهْرِ الْقُونَجَا
 وَهُوَ يُجِبُّ الْعَوْصَ وَالتَّخَبُّطَ
 فِي مَجَارِي نَهْرِ جَامُونَا الْبَارِدَةِ الْعَمِيقَةِ
 إِنَّهُ يُوقِظُ رِفَاقَهُ
 حِينَ يَبْزُغُ الصَّبَاحُ
 وَفِي كُلِّ بَيْوتِ الدَّرْبِ
 يَتَرَدَّدُ صَدَى
 وَالبِهَائِمُ تُثِيرُ سُحْبًا مِنَ الْعُبَارِ
 وَالصَّبَايَا يَخْرُجْنَ إِلَى بَاحَاتِ الْبُيُوتِ

لِحَلْبِ الْأَبْقَارِ
وَعِنْدَمَا يَتَكَاثَفُ الظِّلُّ تحتَ أَشْجَارِ الطُّومَالِ
وَيَتَجَهَّمُ الغُرُوبُ فِي ضِيفِافِ النَّهْرِ
وَعِنْدَمَا تَعْبُرُ الحَلَابَاتُ مِيَاهَ النَّهْرِ
الهِائِجَةَ ، وَيَرْتَجِفْنَ مِنَ الخَوْفِ
وَعِنْدَمَا تَقُومُ طُيُورُ الطَّائِفِوسِ الثَّرَائِرَةِ
بِالرَّقْصِ فِي الغَابِ رَقِصَةَ دَائِرِيَّةٍ
يُنظَرُ هُوَ الغُيُومَ الصَّيْفِيَّةَ
وَحِينَ يَكُونُ اللَّيْلُ فِي إِبْرِيلٍ عَذْبًا
مِثْلَ الزُّهْرَةِ الحَدِيدِيَّةِ التَّفْتُحِ
يَبْدُو هُوَ فِي الغَابِ
وَقَدْ غَرَزَ فِي شَعْرِ رَأْسِهِ رِيشَةَ نَعَامِ
وَجِبَالِ الأَرَاجِيحِ فِي الغَابَةِ
تَبْدُو مَعَ الزُّهُورِ المُتَفَتِّحَةِ فَوْقَ الأَعْصَانِ
وَرِيحُ الجَنُوبِ تَرْتَجِفُ بِالمُوسِيقَى

وَالرَّعَاةُ الصَّغَارُ الْفَرِحُونَ يَتَجَمَّعُونَ
عَلَى ضِفَافِ النَّهْرِ الْأَزْرَقِ
كَأَلَا يَا إِخْوَتِي
مَا كَانَ لِي أَنْ أَكُونَ زَعِيمَ هَذَا الْعَهْدِ
الْجَدِيدِ، فِي الْبَنْغَالِ الْجَدِيدَةِ
وَمَا كُنْتُ لِأَهْتَمُّ بِأَنْ أُضِيءَ
نُورَ الثَّقَافَةِ لِلْجَاهِلِينَ
لَوْ كُنْتُ قَدْ وُلِدْتُ تَحْتَ
الْغَابَاتِ الصَّغِيرَةِ الظَّلِيلَةِ
فِي أَيِّ قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى بَرُنْدَا
حَيْثُ الصَّبَايَا يَحْلِبْنَ الْبَقَرَاتِ .

هُنَاكَ رَقِيبٌ مُنْتَبِهٌ يَجْلِسُ خَلْفَ عِيُونِي
وَيَبْدُو أَنَّهُ قَدْ رَأَى حَوَادِثَ الْأَكْوَانِ

والعُهودِ

بِمَا يَتَجَاوَزُ شَاطِئَ الدَّاكِرَةِ

وَهَذِهِ الرُّؤْيُ الْمَنَسِيَّةُ

تُومِضُ فَوْقَ العُشْبِ

وَتَرْتَجِفُ فَوْقَ الأَوْرَاقِ

لَقَدْ رَأَى تَحْتَ خُمْرِ جَدِيدَةٍ

وَجَهَ حَبِيبَتِهِ الوَحِيدَةِ

فِي سَاعَةِ غُرُوبِ كَثِيرٍ مِنَ النُّجُومِ

الَّتِي لَا أَسْمَاءَ لَهَا .

وَلِذَا كَانَتْ سَمَاوُهُ تَبْدُو

وَهِيَ تَتَعَدَّبُ بِعَذَابٍ لَا حَدَّ لَهُ

مِنَ اللِّقَاءِ وَالفِرَاقِ

وَرَعْبَةٌ تَكْتَسِحُ هَذَا النِّسِيمَ الرَّبِيعِي

رَعْبَةٌ جَامِحَةٌ فِي تَنْهَدَاتِ

العُصُورِ الَّتِي لَمْ تَبْدَأْ أَبَدًا

رِسَالَةٌ بَلَغْتَنِي

مِنْ شَبَابِي

فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ:

إِنِّي فِي انْتِظَارِكَ

فِي خَفَقَاتِ شَهْرٍ مَائِي

الْقَادِمِ مِنْ بَعِيدٍ

حَيْثُ الْاِبْتِسَامَاتُ تُنْضِجُ فِي الدُّمُوعِ

وَالسَّاعَاتُ تَتَوَجَّعُ لِأَغَانٍ لَمْ تُغَنَّ

فَأَدْرِكُنِي

عَبْرَ دَرْبِ الزَّمَنِ الْبَالِي

وَعَبْرَ بَوَابَاتِ الْمَوْتِ .

ذَلِكَ أَنْ الْأَحْلَامَ تَتَلَاشَى

وَالْأَمَالَ تَظَلُّ غَيْرَ مُنْتَظَرَةٍ

وَالْفَوَاكِهَ الْمُقْطُوفَةَ تُثْنِنُ

وَلَكِنِّي أَنَا الْحَقِيقَةُ الْخَالِدَةُ
سَتَلْتَقِي بِي دَائِمًا، وَمِنْ جَدِيدٍ،

42

فِي رِحْلَةِ حَيَاتِكَ
مِنْ شَاطِئِ إِلَى آخَرَ.
أَنْتِ مُجَرَّدُ صُورَةٍ مَرْسُومَةٍ
وَلَسْتِ شَيْئًا حَقِيقِيًّا كَالنُّجُومِ
وَحَقِيقِيًّا كَهَذَا التُّرَابِ
لِأَنَّهَا كُلُّهَا تَرْتَجِفُ بِخَفَقَةِ الْحَيَاةِ
أَمَّا أَنْتِ فَبَعِيدَةٌ بَعْدًا سَحِيقًا
فِي صَمْتِكَ .
مُجَرَّدُ صُورَةٍ مَرْسُومَةٍ .
كَانَ ذَلِكَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي صَحَبْتَنِي إِلَى التُّزْهِةِ
وَكَانَتْ أَعْضَاؤُكَ كُلُّهَا تَتَغَنَّى بِالْحَيَاةِ .
وَوَجَدَ كَوْنِي لَعَنَهُ فِي صَوْتِكَ

وَلَمَسْتُ قَلْبِي بِمُحْيَاكِ
ثُمَّ فَجَاءَهُ أَوْقَفَتْ خُطُواتِكَ
فِي ظِلِّ الخُلُودِ
وَتَابَعْتُ الطَّرِيقَ وَحَلِيي .
إِنَّ الحَيَاةَ كَالطُّفْلِ
يَضْحَكُ

وَهُوَ يَلْهُو بِرَيْنِ أَجْرَاسِ المَوْتِ
وَحينَ كُنْتَ تَتَقَدَّمِينَ مُسْرِعَةً
كُنْتُ تَدْعِينِنِي فَأَتَابِعُ اللّامَنْظُورَ
وَلَكِنَّكَ كُنْتَ هُنَاكَ ،
حَيْثُ تَوَقَّفْتَ خَلْفَ التُّرابِ ،
وَخَلْفَ النُّجُومِ
وَكُنْتُ مُجَرَّدَ صُورَةٍ مَرسُومَةٍ .
لَا . . . لَا يُمَكِّنُ

إِذَا كَانَ مَدُّ الحَيَاةِ قَدْ تَوَقَّفَ فِيكَ

إِلَى الْأَبَدِ
فَسَيَتَوَقَّفُ النَّهْرُ عَنْ جَرِيَانِهِ
وَتَتَوَقَّفُ خُطَوَاتُ الْفَجْرِ فِي إِيْقَاعَاتِ

أَلْوَانِهَا

وَإِذَا كَانَ الْبَرِيقُ الْوَاهِنُ لِشَعْرِكَ
قَدْ تَلَاشَى فِي الظُّلَامِ دُونَ أَمَلٍ
فَإِنَّ ظِلَالَ الصَّيْفِ فِي الْغَابِ
تَمُوتُ هِيَ وَأَحْلَامُهَا .
أَيَمَكِنُ حَقًّا أَنْ أَنْسَاكَ؟
إِنَّنَّا نَتَابِعُ طَرِيقَنَا بِلَا انْتِبَاهٍ
نَاسِيْنَ الزُّهُورَ الْمُنتَشِرَةَ
فِي السَّهْلِ أَوْ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ
وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهَا تُوَاصِلُ إِرْسَالَ عِطْرِهَا
مُتَجَاهِلَةً نِسْيَانَنَا
مُفْعِمَةً إِيَّاهُ بِالْمُوسِيقَى .

لَقَدْ ابْتَعَدْتُ عَنْ عَالَمِي
لِتَأْخُذِي مَكَانَكَ فِي جُذُورِ حَيَاتِي
وَلِذَا فَإِنَّ هَذَا النَّسِيَانَ
هُوَ ذِكْرِي ضَائِعَةٌ فِي الْأَعْمَاقِ .
لَمْ تَعُودِي أَمَامَ أُغْنِيَاتِي
وَلَكِنَّكَ مُنْصَهَرَةٌ فِيهَا
وَتَأْتِينَ إِلَيَّ مَعَ أَوَّلِ أَشِيْعَةِ الْفَجْرِ .
لَقَدْ فَقَدْتُكَ فِي آخِرِ الذَّهَبِ الْمَسَائِي
وَمُنْذُ ذَلِكَ الْحَيْنِ صِرْتَ أَعْتَرُ عَلَيْكَ
عَبْرَ الظُّلْمَةِ
كَلًّا . . أَنْتِ لَسْتِ مُجَرَّدَ
صُورَةٍ مَرْسُومَةٍ .

بِمَوْتِكَ
تَرَكَتِ خَلْفَكَ

الْحُزْنَ الْأَبْدِيَّ الْعَظِيمَ

فِي حَيَاتِي

وَلَوَّتِ أَفْقَ أَفْكَارِي

بِالْوَانِ غُرُوبِ رَحِيلِكَ

تَارِكًا مَسَارًا مِنَ الدُّمُوعِ

مَنْطَلِقًا

عَبْرَ الْأَرْضِ حَتَّى سَمَاءِ الْحَبِّ

وَبَيْنَ ضَمَّةِ ذِرَاعَيْكَ الرَّائِعَتَيْنِ الْعَزِيزَتَيْنِ

تَوَحَّدْتُ فِي نَفْسِي الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ

فِي رَبَاطِ زَوْجِي .

يَبْدُو لِي أَنِّي أَرَاكَ

تَرْقُبِينَ مِنَ الشَّرْفَةِ

بِمِصْبَاحِكَ الْمُنِيرِ

إِلَى حَيْثُ تَلْتَقِي النِّهَايَةَ وَالْبَدَايَةَ

لِكُلِّ الْأَشْيَاءِ ،

لَقَدْ دَخَلَ كَوْنِي مِنَ الْأَبْوَابِ الَّتِي فَتَحْتَهَا
أَنْتِ الَّتِي تَرْفَعِينَ كَأْسَ الْمَوْتِ
إِلَى شَفْتِي ، وَقَدْ مَلَأْتَهَا حَيَاةً
بِحَيَاتِكَ .

47

الطَّرِيقُ رَفِيقِي
تَتَحَدَّثُ إِلَيَّ ، تَحْتَ أَقْدَامِي ، طُولَ الْيَوْمِ
وَتُغْنِي لِأَحْلَامِي ، طُولَ اللَّيْلِ
لَيْسَ لِلْقَائِي بِهَا بَدَايَةٌ
وَهُوَ يَبْدَأُ كُلَّ يَوْمٍ دُونَ نَهَايَةٍ
مُجَدِّدَةً صَيْفَهَا
فِي أَزْهَارِ طَرِيقِي وَأُغْنِيَاتِ عَذْبَةٍ
وَكُلُّ قُبْلَةٍ جَدِيدَةٍ
هِيَ الْقُبْلَةُ الْأُولَى عِنْدِي .

أَنَا وَالطَّرِيقُ عَاشِقَانِ
إِنِّي أُغَيِّرُ مَلَاسِي مِنْ أَجْلِهَا
كُلَّ لَيْلَةٍ
وَأَتْرُكُ ثِقَلَ الْأَسْمَالِ الْهَالِيَةِ
فِي الْخَانَاتِ الَّتِي تَنْتَشِرُ عَلَى الطَّرِيقِ
عِنْدَمَا يَشْرُقُ النَّهَارُ

48

كُنْتُ أَقْطَعُ كُلَّ يَوْمٍ الطَّرِيقَ الْقَدِيمَةَ نَفْسَهَا
حَامِلاً فَوَاكِهِي إِلَى السُّوقِ
أَوْ قَطِيعِي الصَّغِيرَ إِلَى الْمَرْعَى
كَمَا كُنْتُ أَعْبُرُ النَّهْرَ بِزُورَفِي
وَكُلُّ الدُّرُوبِ مَعْرُوفَةٌ عِنْدِي
وَفِي صَبَاحِ أَحَدِ الْأَيَّامِ
كَانَتْ سَلَّتِي مَلَأَتْ بِالسَّلْعِ

كَانَ الرَّجَالُ مُنْصَرِّفِينَ إِلَى أَعْمَالِ الْحَقْلِ
 وَالْمَرَاعِي عَامِرَةً بِالْقُطْعَانِ
 وَنَهْدُ الْأَرْضِ مُنْتَفِخًا بِبَهْجَةٍ
 الْأُرْزُ الَّذِي يَنْضِجُ
 وَبَعْتَةٌ كَانَتْ هُنَاكَ رَجْفَةً قَوِيَّةً فِي الْجَوِّ
 وَبَدَتْ السَّمَاءُ وَكَأَنَّهَا تُقْبَلُنِي فِي جَيْبِي
 وَقَفَزَ تَفْكِيرِي وَظَهَرَ ظُهُورَ الصَّبَاحِ عَلَى الضَّبَابِ
 وَنَسِيتُ مُتَابَعَةَ السَّيْرِ فِي الطَّرِيقِ الْمَعْهُودَةِ
 وَانْحَرَفْتُ عَنْهَا بِضَعِ خُطَوَاتِ
 وَبَدَأَ لِي عَالَمِي الْمَأْلُوفُ غَرِيبًا عَنِّي
 مِثْلَ الزَّهْرَةِ الَّتِي لَمْ أَعْرِفْهَا إِلَّا عِنْدَمَا كَانَتْ بُرْعُمًا
 وَشَعَّرَتْ مَعْرِفَتِي بِالْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ بِالْخَجَلِ .
 لَقَدْ انْحَرَفْتُ إِلَى طَرِيقِ الْعَالَمِ الْمَسْحُورِ
 الْمَقْتُونِ بِالأَشْيَاءِ .
 وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ حُطُوطِ حَيَاتِي

أَنْ ضَلَلْتُ الطَّرِيقَ فِي ذَلِكَ الصَّبَاحِ ،
وَأَنْ أَجِدَ صِبْيَا الْخَالِدِ .

49

سَأَلَنِي الطُّفْلُ
أَيْنَ يَقَعُ الْفِرْدَوْسُ؟
يَقُولُ الْحُكَمَاءُ:
إِنَّهُ يَقَعُ فِيمَا وَرَاءَ حُدُودِ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ .
وَلَا يَخْضَعُ لِنِظَامِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .
وَلَيْسَتْ لَهُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْأَرْضِ .
وَلَكِنَّ شَاعِرَكَ يَعْرِفُ ،
أَنَّهُ جَائِعٌ جُوعاً أَبَدِيًّا لِلزَّمَانِ وَالْمَكَانِ
وَهُوَ يُصَارِعُ دَوْمًا لِكَيْ يُوَلَدَ فِي الْأَرْضِ الْخَصِيْبَةِ
إِنَّ الْفِرْدَوْسَ فِي جَسَدِكَ اللَّطِيفِ
يَا طِفْلِي .

وفي قلبك الخفاف .
إن البحر يدق طبول الفرح ،
والزهور تشرئب وتقف على أطراف
أقدامها لتقبلك
لأن الفردوس ولد معك
في أحضان أمنا الأرض .

54

في بدايات الأزمنة
ومن غليان أحلام الرب
ظهرت امرأتان
واحدة هي التي ترقص في بلاط الفردوس
بشهوة الرجال
وهي تلك الضاحكة التي تجتذب
عقول الحكماء وتصرفهم عن تأملاتهم

كَمَا تُخْرِجُ الْأَغْبِيَاءَ مِنْ فَرَاعِهِمْ
وَتَنْثُرُهُمْ كَمَا تَنْثُرُ الْبُدُورُ
فِي عَبَثٍ إِلَى رِيَّاحٍ مَارِسٍ غَيْرِ الْمَأْلُوفَةِ
أَوْ فِي فَوْرَةٍ مَأْيُو الْمُزْهَرَةِ
أَمَّا الْأُخْرَى فَهِيَ مَلِكَةُ السَّمَاءِ
إِنَّهَا الْأُمُّ الْجَالِسَةُ عَلَى عَرْشِ
فَيْضِ الْخَرِيفِ الذَّهَبِيِّ
هِيَ الَّتِي تَقُودُ الْقُلُوبَ الضَّالَّةَ
فِي مَوْسَمِ الْحَصَادِ
إِلَى ابْتِسَامَةِ حُلُوةِ كَالِدُمُوعِ
وَالْجَمَالِ الْعَمِيقِ عُمُقِ بَحْرِ الصَّمْتِ
وَتَحْمِيلُهَا إِلَى مَعْبَدِ الْمَجْهُولِ
إِلَى التَّلَاقِي الْمَقْدَّسِ
لِلْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ

كَانَ مَسَائِي مُتَّسِمًا بِطَابِعِ الْوَحْدَةِ
 وَكُنْتُ أَقْرَأُ فِي كِتَابِ
 حَتَّى جَفَّ قَلْبِي ، وَبَدَأَ لِي أَنَّ الْجَمَالَ شَيْءٌ
 يَصْرُغُهُ تُجَارُ الْكَلِمَاتِ .
 وَحِينَ شَعَرْتُ بِالتَّعَبِ ، أَغْلَقْتُ الْكِتَابَ
 وَأَطْفَأْتُ الْمِصْبَاحَ ، وَفِي لَحْظَةٍ
 خَاطِفَةٍ غَمَرَ الْعُرْفَةَ فَيْضٌ مِنْ نُورِ الْقَمَرِ
 يَا رُوحَ الْجَمَالِ
 أَيُّهَا الرُّوعَةُ الَّتِي تُفَعِّمُ السَّمَاءَ
 كَيْفَ يُمَكِّنُكَ الْإِخْتِفَاءُ
 وَرَاءَ لَهَيْبِ هَزِيلٍ يَنْبَعُ مِنْ شَمْعَةٍ؟
 كَيْفَ يُمَكِّنُ الْكَلِمَاتِ قَلِيلَةَ غَامِضَةٍ
 أَنْ تَرْتَفِعَ مِنْ صَفَحَاتِ الْكِتَابِ
 كَمَا يَرْتَفِعُ الضَّبَابُ

وَتَكْشِفَ عَنْكَ
أَنْتَ الَّذِي سَكَنْ صَوْتُكَ
قَلْبَ الْأَرْضِ
فِي هُدُوءٍ يَفُوقُ الْوَصْفَ؟

58

أَشْيَاءُ تَتَجَمَّعُ وَتَضْحَكُ بِصَوْتِ عَالٍ فِي السَّمَاءِ
وَالرَّمَالُ وَالتُّرَابُ تَتَرَاقَصُ وَتَدُورُ
مِثْلَ الْأَطْفَالِ
وَفِكْرُ الْإِنْسَانِ اسْتَيْقَظَ عَلَى صُرَاخِهِمْ
وَكَانَتْ أَفْكَارُهُ تَرْغَبُ أَنْ تَكُونَ رَفِيقَةً لَهُمْ
فِي لُغْبَةِ الْأَشْيَاءِ
إِنْ أَحْلَامُنَا الْمُتَدَفِّقَةَ فِي تَيَّارِ الْعَبَثِ
تَبْسِطُ ذِرَاعَيْهَا لِتُعَايِقَ الْأَرْضَ
وَيَتَحَقَّقَ مَجْهُودُهَا فِي صُحُورٍ وَأَجْرٍ

وهكذا أُسِّت المَدُنُ .

أصواتُ تأتي

مِن المَاضِي

وَحَفَقَانُ أَجْحِثَهَا يَمَلَأُ الجَوَّ بِظِلَالٍ خَافِقَةٍ

وَالأفكارُ المُسَهَّدةُ فِي تَفْكِيرِنَا

تَتْرُكُ الوَكْرَ لِتُحَلِّقَ فِي صَحْرَاءِ الظُّلْمَةِ

فِي الظُّمَأِ اللَّاهِفِ إِلَى الأشْكَالِ

إِنَّهُمْ حُجَّاجٌ بِلَا ضَوْءٍ

يَبْحَثُونَ عَنِ شَاطِئِ النُّورِ

حَتَّى يَجِدُوا أَنفُسَهُمْ فِي الأَشْيَاءِ

سَوْفَ تَجْتَدِبُهُمْ قَوَافِي الشُّعْرَاءِ

وَسَيَنْزِلُونَ فِي أَبْرَاجِ مَدِينِ

لَمْ تُحَطَّطْ بَعْدُ

وَسَيَدْعُونَ إِلَى الجُنْدِيَّةِ لِلْمُشَارَكَةِ

فِي مَعَارِكِ المُسْتَقْبَلِ

وَمُقَدَّرٌ لَهُمْ أَنْ يُوحَدُوا الْأَيْدِي
فِي الصَّرَاعِ مِنْ أَجْلِ السَّلْمِ الَّتِي
سَوْفَ تَأْتِي

60

اسْتَرْجِعْ نُقُودَكَ
يَا مُسْتَشَارَ الْمَلِكِ .
أَنَا وَاحِدَةٌ مِنَ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي بَعَثَتْ
بِهِنَّ إِلَى الْمَعْبَدِ فِي الْغَابِ
لِيُوقِعَنَّ النَّاسِيكَ الشَّابَّ الَّذِي لَمْ يَرَ امْرَأَةً قَطُّ .
إِنْ مُهِمَّتِي قَدْ أَحْفَقْتُ .
كَانَ النَّهَارُ يَبْزُغُ حِينَ جَاءَ النَّاسِيكَ الشَّابُّ .
لَيْسَتْجِمُ فِي الْجَدْوَلِ
وَقَدْ أَنْسَابَتْ عَلَى ظَهْرِهِ خُصُولَاتُ
شَعْرِهِ الْكَثِيفَةِ السَّمْرَاءِ
مِثْلَ عُنُقُودٍ مِنْ عُيُومِ الصَّبَاحِ .

وكانت أطرافه تتألق كحُرْمَةٍ
من أشيعة الشمسِ
وكُنَّا نُغْنِي ضاحِكَاتِ
وَنُجَدِّفُ بِزورِقِنَا
وَأَلْقَيْنَا أَنْفُسِنَا فِي فَرْحَةٍ مَجْنُونَةٍ
إلى العومِ في النَّهْرِ، كما رَقَصْنَا حَوْلَهُ

حينَ بَزَعَتِ الشَّمْسُ وِرمَقَتْنَا مِن
حِوَا فِي المَاءِ فِي فَوْرَةِ حَمَاءِ مِنَ الغَضَبِ
المُقَدَّسِ .

ومثل صبي قديس، فَتَحَ عَيْنَيْهِ
وَرَأَى حَرَكَاتِنَا مُنْدَهَشًا
ثُمَّ تَأَلَّقَتْ عَيْنَاهُ كَمَا تَتَأَلَّقُ نُجُومُ الصَّبَاحِ
فَأَطْلَقَ يَدَيْهِ المَضْمُومَتَيْنِ
وَعَنَى أُنْسُودَةً مِنَ أَنَاشِيدِ الشُّكْرِ
بِصَوْتِهِ الشَّابِّ الَّذِي يُشْبِهُ تَغْرِيدَ

العُصْفُورُ

فَهَزَّ كُلَّ وَرَقَةٍ فِي الْغَابِ .

أَبْدَأَ لَمْ تُغْنِ مِثْلُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ

لِامْرَأَةٍ فَانِيَةٍ

قَبْلَ ذَلِكَ كَانَتْ مِثْلَ الْأَنَاشِيدِ الصَّامِتَةِ

الَّتِي تَرْفَعُهَا الْهَضَابُ الصَّامِتُ إِلَى الْفَجْرِ

وَأَخْفَتِ النِّسَاءُ تُغَوَّرَهَا بِأَيْدِيهَا

فَاهْتَرَّتْ جَسَدُهُ لِهَذِهِ الضَّحَكَاتِ

وَسَحَابَةِ كَثِيفَةٍ مِنَ الشَّكِّ عَبَّرَتْ وَجْهَهُ

وَبَسْرُوعَةٍ جِثَّتْ إِلَى جَانِبِهِ

وَفِي نَفْسِي أَلَمٌ عَمِيقٌ

وَأُنْحَنَيْتُ أَمَامَ قَدَمَيْهِ قَائِلَةً :

يَا سَيِّدِي . . أَقْبِلْ خِدْمَتِي

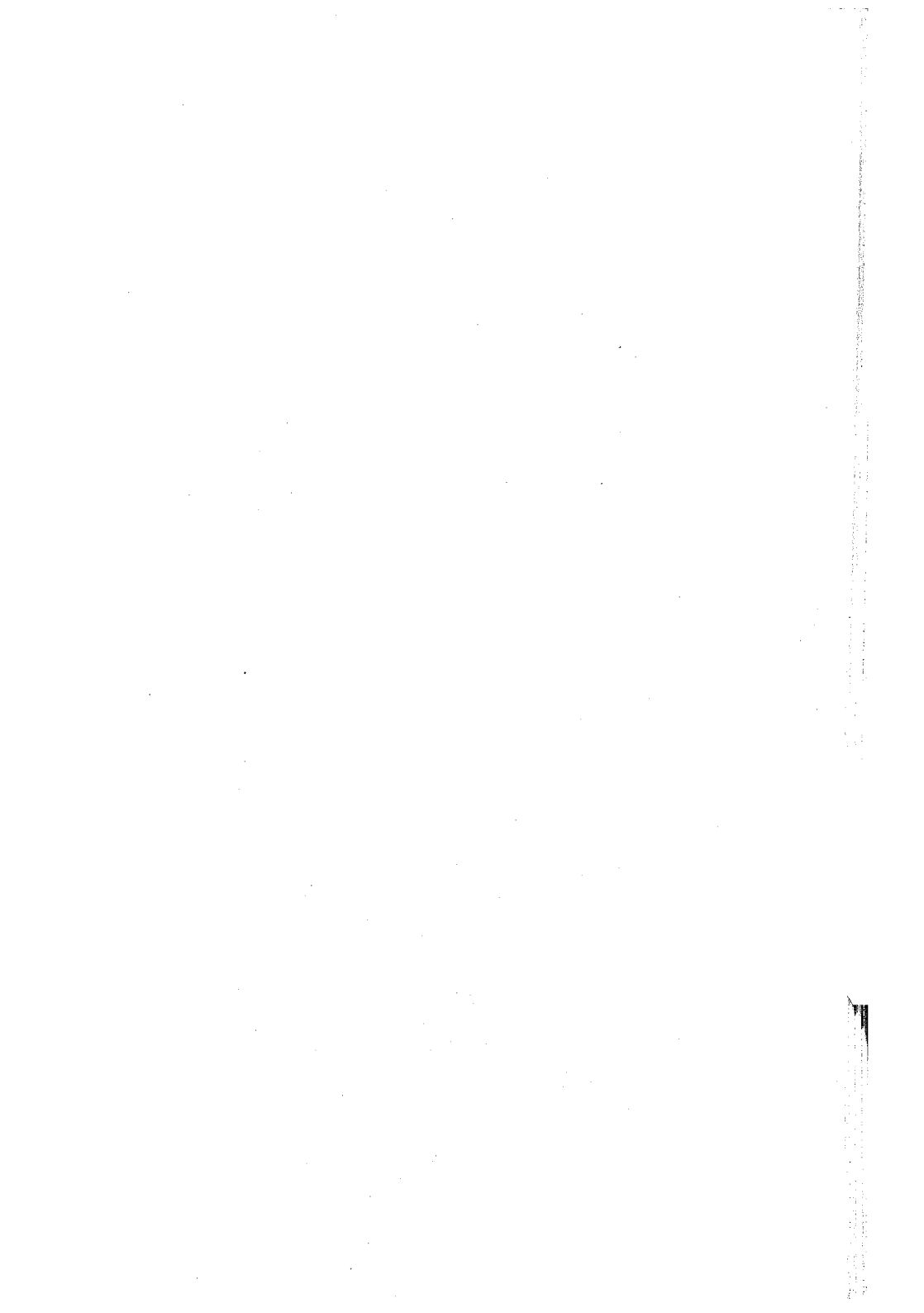
فَاقْتَدْتُهُ إِلَى الضَّفَّةِ الْمُعْشَبَةِ

وَجَفَّفْتُ جِسْمَهُ بِحَافَةِ إِزَارِي الْحَرِيرِي

وَرَكَعْتُ عَلَى الْأَرْضِ
وَجَفَّتُ أَقْدَامَهُ بِشَعْرِي
وَحِينَ رَفَعْتُ وَجْهِي وَنَظَرْتُ فِي عَيْنَيْهِ
بَدَا لِي أَنِّي أَحْسُ أَوَّلَ قُبْلَةٍ
فِي الْكَوْنِ أُعْطِيتُ لِأَوَّلِ امْرَأَةٍ .
مُبَارَكَةٌ أَنَا

وَمُبَارَكُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَنِي امْرَأَةً
وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ لِي :
أَيَّ إِلَهٍ مَجْهُولٍ هِيَ أَنْتِ . .
إِنْ لَمْسْتِكِ هِيَ لَمْسَةُ الْخَالِدِ
وَفِي عَيْنَيْكَ سِرٌّ مُنْتَصِفِ اللَّيْلِ
لَا . . لَا يَا مُسْتَشَارَ الْمَلِكِ

عَبْرَ النَّهْرِ



تَقَبَّلْنِي
يَا إِلَهِي
هَذِهِ الْمَرَّةَ ، تَقَبَّلْنِي بِقَبُولِكَ
اجْعَلْنِي أَنْسَى هَذِهِ الْأَيَّامَ الْيَتِيمَةَ
الَّتِي مَرَّتْ بِدُونِكَ .
وَأَطِلْ فَقَطْ مِنْ عُمْرِ هَذِهِ اللَّحْظَةِ
فِي حِضْنِكَ .
وَأَضِيعاً إِيَّاهَا تَحْتَ نُورِكَ .
لَقَدْ جُبْتُ الْأَفَاقَ
مَتَابِعاً أَصْوَاتاً جَذَبْتَنِي دُونَ أَنْ تَقُودَنِي
إِلَى أَيِّ مَكَانٍ

فاجعلني الآن أجلس في أمنٍ
مُصغياً إلى كَلِمَاتِكَ
في رُوحِ صَمْتِي .
لَا تُشِيعُ بِوَجْهِكَ
عن أسرارِ قلبي الغامِضَةِ
ولكن احرقها حتى تُضَاءَ بنيرانِكَ .

5

طلّاعُ العاصِفَةِ البَعِيدَةِ
رَفَعَتْ خِيَامَهَا فِي غُيُومِ السَّمَاءِ
والتُّورُ أَخَذَ يَشْحُبُ .
والجَوْ مُبَلَّلٌ بِالدَّمُوعِ
في الظَّلَالِ الصَّامِتَةِ بِالْغَابَةِ .
إن سَلَامَ الحُزْنِ يُخَيِّمُ عَلَيَّ قَلْبِي
كَمَا يُخَيِّمُ الصَّمْتُ الثَّقِيلُ عَلَيَّ العُودِ

قَبْلَ أَنْ يَشْرَعَ فِي بَعثِ أَنْعَامِهِ .

إِنْ كَوْنِي مَا يَزَالُ

فِي انْتِظَارِ ذَلِكَ الْأَلَمِ الْكَبِيرِ

الَّذِي يُصَاحِبُ دُخُولَكَ

فِي حَيَاتِي

8

إِنَّ الْمِصْبَاحَ الَّذِي أَحْمَلُهُ بِيَدِي

يَزِيدُ مِنْ عِدَاوَةِ الظُّلْمَةِ فِي الطَّرِيقِ الْمُتَمَدِّدَةِ أَمَامِي .

وَحَافَةُ الطَّرِيقِ هَذِهِ تَغْدُو رُغْبًا

حَيْثُ يَبْدُو حَتَّى الشَّجَرُ الْمُزْهِرُ

كَأَنَّهُ شَبَحٌ يَتَوَعَّدُنِي بِالْوَيْلِ

وَوَقَعَ خُطَوَاتِي يَبْلُغُنِي فِي صَدَى

شَكِّ خَفِيِّ

وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ فَإِنِّي أَدْعُو

أَنْ يُضِيءَ نُورُ الصَّبَاحِ
لِقَاءِ البَعِيدِ والقَرِيبِ ، فِي قُبْلَةٍ
وَأَنْ تَتَوَحَّدَ الحَيَاةُ والمَوْتُ
فِي حُبِّ وَاحِدٍ .

9

حِينَ تُنْفِذُ خُطَوَاتِي
فَأِنَّهَا تَعْدُو أَحْفَّ فِي زَحْفِهَا بِأَكْوَانِكَ
وَحِينَ تَغْسِلُ البَقَعَ مِن قَلْبِي
فَأِنَّهُ يُنِيرُ ضَوْءَ شَمْسِكَ
فَكُونِ البُرْعَمِ لَمْ يُزْهِرْ بِجَمَالِهِ فِي حَيَاتِي
يَنْثُرُ حُزْنَاً فِي قَلْبِ الخَلْقِ .
وَحِينَ يَرْفَعُ غِشَاءَ الظُّلْمَةِ
عَنْ نَفْسِي

فإنها سَوْفَ تَحْمِلُ النَّغْمَ

لَا يَتَسَامَتِكَ

10

لَقَدْ أَعْطَيْتَنِي حُبَّكَ

مُفْعِمًا الْكَوْنَ كُلَّهُ بِبَهَائِكَ

وَقَدْ انْهَالَتْ كُلُّهَا فَوْقِي كَالْمَطَرِ

فِي الْوَقْتِ الَّذِي لَمْ أَكُنْ أَفْهَمُهَا

لَأَنَّ قَلْبِي كَانَ سَادِرًا فِي نَوْمِهِ

وَاللَّيْلُ حَوْلِي مُظْلِمٌ

وَرَعْمَ أَنِّي ضَائِعٌ فِي كَهْفِ أَحْلَامِي

فَقَدْ هَزَّتْنِي غِبْطَةٌ فُجَائِيَةٌ .

إِذْ أَعْرِفُ أَنَّهُ فِي مُقَابِلِ كُنُوزِ

كَوْنِكَ الْعَظِيمِ .

سَتَقْبَلُ مِنِّي

زُهَيْرَةٌ حُبٌّ صَغِيرَةٌ

عِنْدَ الصَّبَاحِ

الَّذِي يَسْتَيْقِظُ فِيهِ قَلْبِي .

17

ارْفَعْ حَيَاتِي هَذِهِ مِنَ التُّرَابِ

وَضَعَهَا تَحْتَ بَصْرِكَ

فَوْقَ رَاحَةِ يَمَانِكَ

ارْفَعْهَا إِلَى الضُّوءِ

وَحَبِّئْهَا تَحْتَ ظِلِّ الْمَوْتِ

وَضَعَهَا مَعَ نُجُومِكَ

فِي سَلَّةِ اللَّيْلِ

18

وَفِي الصَّبَاحِ دَعَهَا تُوجَدُ بَيْنَ الزُّهُورِ الَّتِي تَتَفَتَّحُ لِعِبَادَتِكَ

إِنِّي لِأَعْلَمُ

أَنَّ هَذِهِ الْحَيَاةَ

التي تَفْتَقِرُ إِلَى النُّضْجِ فِي صَمِيمِ الحُبِّ
لَمْ تَضِعْ تَمَاماً
وَأَعْلَمُ أَنَّ الزُّهُورَ الَّتِي تَذْبُلُ عِنْدَ الفَجْرِ
وَالأَنهارَ الَّتِي تَبِيدُ فِي الصَّحْرَاءِ
لَمْ تَضِعْ تَمَاماً
وَأَعْلَمُ أَنَّ أَيَّ شَيْءٍ يَتَخَلَّفُ
فِي هَذِهِ الحَيَاةِ المُنْقَلَةِ بِالبُطْءِ
لَمْ يَضِعْ تَمَاماً
وَأَعْلَمُ أَنَّ أَحلامِي الَّتِي لَمْ تَتَحَقَّقْ بَعْدُ
وَأَغَانِي الَّتِي لَمْ تُعْرَفْ بَعْدُ
تَتَشَبَّثُ بَوْتَرٍ مِنْ عُوْدِكَ
وَلَمْ تَضِعْ تَمَاماً

20

النَّهَارُ غَائِمٌ مُمَطِرٌ

وَبُرُوقُ غَاضِيَةٍ
تَلْمَعُ عِبْرَ أَسْمَالِ السُّحُبِ .
وَالْغَابَةُ مِثْلُ الْأَسَدِ السَّجِينِ
فِي الْقَفْصِ
يَهْزُ عَفْرَتَهُ فِي يَاسٍ
وَفِي مِثْلِ هَذَا النَّهَارِ
الَّذِي تَتَجَاذَبُهُ الرِّيَّاحُ الْخَافِقَةُ بِأَجْنِحَتَيْهَا
دَعْنِي أَجِدَ الْأَمْنَ فِي حُضُورِكَ
فَالسَّمَاءُ الْمُتَوَجِّعَةُ
عَتَمَتْ وَحَدَّتِي
لِتُعَمِّقَ الشُّعُورَ بِلَمْسَتِكَ
حَوْلَ قَلْبِي

23

اقْتَرَبْتُ مِنْكَ

وَعَلَى غَيْرِ عِلْمٍ مِنِّي
جَرَحْتُكَ .

لَقَدْ كُنْتُ أَمْتَلِكُكَ كَسَيِّدِي

حِينَ كُنْتُ أَقَاوِمُكَ

لِكَيْ أَهْرَبَ أَمَامَكَ .

وَحِينَ كُنْتُ أَسْرِقُكَ

لَمْ أَكُنْ أَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ أَجْلِ

أَنْ أَجْعَلَ دِينِي

نَحْوَكَ أَكْثَرَ ثِقَلًا .

وَفِي كِبْرِيَائِي الْجَامِحَةِ

كُنْتُ أَوَاجِهُهُ تَيَّارَكَ الْجَارِفَ .

فَقَطُّ

مِنْ أَجْلِ أَنْ أَحِسَّ بِكُلِّ الْقُوَّةِ فِي صَدْرِي .

وَفِي ثَوْرَتِي

أَطْفَأْتُ أَضْوَاءَ بَيْتِي

فَفَاجَأْتَنِي سَمَاوُكَ
بُنْجُومِهَا .

25

إِنِّي أُخْفِي نَفْسِي
هَرَبًا مِنْكَ .
وَالآنَ وَقَدْ أَلْقَيْتَ عَلَيَّ الْقَبْضَ
اضْرِبْنِي .
وَانظُرْ إِذَا كُنْتُ سَأَتَقَهْقَرُ .
أَخْتَمَ هَذِهِ الْمُبَارَاةَ إِلَى الْأَبَدِ .
فَإِذَا انْتَصَرْتَ فِي النَّهَايَةِ
فَانزِعْ مِنِّي كُلَّ مَا بِحَوْزَتِي .
لَقَدْ نَعِمْتُ بِالضَّحَكَاتِ وَالْأُغْنِيَاتِ
فِي أَكْوَاحِ مُنْتَشِرَةِ طُولِ الطَّرِيقِ
وَفِي قُصُورِ فَحْمَةٍ .

أَمَّا الْآنَ وَقَدْ دَخَلْتَ حَيَاتِي

فَجَرَّبَ أَنْ تُبْكِيَنِي

وَانظُرْ إِذَا كُنْتُ قَادِرًا

عَلَى تَمْزِيقِ قَلْبِي

26

حِينَ اسْتَيْقِظُ فِي حُبِّكَ

فَإِنْ سَلَامَ لَيْلَتِي سَيَنْتَهِي .

وَسَيَمْتَحِنُ الْفَجْرُ قَلْبِي

بِمِيزَانِهِ النَّارِي .

وَتَبْدَأُ رِحْلَتِي فِي مَدَارِ الْأَلَمِ الظَّافِرِ

وَأَجْرُؤُ عَلَيَّ جَنِي تَحْدِي الْمَوْتِ

وَأَحْمِلُ صَوْتَكَ

إِلَى قَلْبِ الْاسْتِخْفَافِ وَالْوَعِيدِ .

وَسَأَعْرِي صَدْرِي

لِتَلْقَى الْإِهَانَاتِ الَّتِي يَرشُقْنِي بِهَا
أَبْنَاؤُكَ .

وَسَأَخَاطِرُ بِالْوُقُوفِ إِلَى جَانِبِكَ
فِي الْوَقْتِ الَّذِي لَا يَقِفُ فِيهِ
إِلَى جَانِبِكَ
سِوَايَ .

29

التَّعَيُّتُ بِكَ
حَيْثُ اللَّيْلُ يُلَامِسُ
أَطْرَافَ النَّهَارِ .
حَيْثُ النُّورُ يُضِيءُ ظُلْمَةَ الْفَجْرِ .
وَالْأَمْوَاجُ تَنْقُلُ قُبَلَاتِ الشَّاطِئِ
إِلَى الشَّاطِئِ الْآخَرِ .
وَمِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِ الزُّرْقَةِ الَّتِي لَا تُسْبَرُ

كَانَ يَتَعَالَى هُتَافُ ذَمِّيْ .
وَعَبَّرَ حِجَابِ مِنَ الدُّمُوعِ
حَاوَلْتُ أَنْ أَرَى مُحْيَاكَ
وَلَسْتُ عَلَى يَقِينٍ بِأَنْ أَرَكَ

30

إِذَا أُتِّكِرَ عَلَيَّ الْحُبُّ
فَلِمَاذَا يُوزَعُ الصُّبْحُ قَلْبَهُ فِي أَغْنِيَاتِ؟
وَلِمَاذَا هَذِهِ التَّهَنُّدَاتُ الَّتِي تُبَدِّدُهَا
رِيحُ الْجَنُوبِ بَيْنَ الْأُورَاقِ الطَّرِيَّةِ؟
وَإِذَا أُتِّكِرَ عَلَيَّ الْحُبُّ
فَلِمَاذَا يَحْمِلُ اللَّيْلُ فِي صَمْتِ مُوجِعٍ
عَذَابَ النُّجُومِ؟
وَلِمَاذَا هَذَا الْقَلْبُ الْمَحْبُورُ
يُلْقِي فِي طَيْشٍ

أَمَلَهُ

فَوْقَ بَحْرِ لَا يَعْرِفُ لَهُ نَهَايَةَ؟

39

لَمْ يَأْتِ أَيُّ ضَيْفٍ إِلَى بَيْتِي

مُنْذُ وَقْتِ طَوِيلٍ .

وَالْأَبْوَابُ مُغْلَقَةٌ

وَالنَّوَاغِذُ مَسْدُودَةٌ .

وَكُنْتُ أَقْدِرُ أَنْ لَيْلِي سَيَكُونُ وَحِيداً مُوحِشاً

وَلَكِنِّي مَا كِدْتُ أَفْتَحُ عَيْنِي

حَتَّى وَجَدْتُ الظَّلَامَ قَدْ تَبَدَّدَ .

فَنَهَضْتُ مُسْرِعاً

وَرَأَيْتُ سَلْسِلَ حَدِيقَتِي كُلَّهَا

قَدْ قُطِعَتْ .

وَعَبَّرَ الْبَابَ الْمَفْتُوحَ .

كَانَتْ رِيحُكَ وَأَنْوَارُكَ تَرْفَعُ أَعْلَامَهَا .
وَحِينَ كُنْتُ أُسِيرًا فِي بَيْتِي
وَالْأَبْوَابُ حَوْلِي مَسْدُودَةٌ
كَانَ قَلْبِي يُخَطِّطُ لِلْهُرُوبِ وَالْإِفْلَاتِ
أَمَّا الْآنَ فَإِنِّي أَجْلِسُ فِي صَمْتٍ
أَمَامَ بَوَابِي الْمَكْسُورَةِ
وَأَنْتَظِرُ وَصُوكَ .
إِنَّكَ تَجْعَلُ مِنِّي أُسِيرًا لِحُرِّيَّتِي نَفْسِيهَا .

42

اجْعَلْنِي حُرًّا
فِي مِثْلِ حُرِّيَّةِ طُيُورِ الْغَابِ
وَالسَّالِكِينَ الدُّرُوبَ الْمَجْهُولَةَ .
اجْعَلْنِي حُرًّا .
كَمَا جَعَلَ حُرِّيَّةَ سَيُولِ الْمَطْرِ

والعاصفة التي تهدُّ السُدودَ
وتمضي نحوَ نهايتها المجهولة .
اجعَلني حرّاً
في مثل حرّية نارِ الغابِ
ومثل الرعدِ الذي يضحكُ مدوياً
ويُلقي في عنفٍ يتحدّيه للظلام .

47

أعيشُ على الحافةِ في ظلِّ الطريقِ
وأرُقبُ حدائقَ الجيرانِ
القائمةِ في أقصى الطريقِ
وهي فيأضةٌ بالبهجةِ في ضوءِ الشمسِ
وأحسُّ أنني فقيرٌ
وأنتقلُ بجوعي من بابٍ إلى بابٍ .
وكُلما زادوا من عطائهم

كُلَّمَا اَزْدَادَ شُعُورِي بِوَعَائِي الْمُتَسَوِّلِ

حَتَّى كَانَ صَبَاحُ

اسْتَيْقَظْتُ فِيهِ مِنْ نَوْمِي فَجَاءَ

عَلَى صَرِيرِ انْفِتَاحِ الْبَابِ

وَدَخَلْتَ أَنْتَ تَطْلُبُ مِنِّي الصَّدَقَةَ .

وَفِي يَأْسٍ

حَطَّمْتُ غِطَاءَ خِزَانَتِي

وَاكَشَفْتُ بَعْتَةَ ثُرُونِي الطَّائِلَةَ

48

لَقَدْ أَخَذْتَهُ بَيْنَ ذِرَاعَيْكَ

وَتَوَجَّهْتَ بِتَاجِ الْمَوْتِ .

وَهُوَ الَّذِي كَانَ دَائِمًا يَنْتَظِرُ مُنْزَوِيًّا

كَأَنَّهُ مُتَسَوِّلٌ أَمَامَ حَفْلِ الْحَيَاةِ .

لَقَدْ وَضَعْتَ يَمِينَكَ فِي خِيَابَتِهِ

وَقَبَّلْتُهُ بِالسَّلَامِ الَّتِي تُهْدِيءُ
ظَمًا الْحَيَاةَ الصَّاحِبِ
لَقَدْ جَعَلْتَهُ وَاحِدًا مَعَ جَمِيعِ الْمُلُوكِ
وَمَعَ عَالَمِ الْحِكْمَةِ الْقَدِيمِ

52

جِئْتُ لِكَيْ أَظْفَرَ بِلَمْسَتِكَ
قَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ يَوْمِي
فَلْتَدَعْ عَيْنِيكَ تَسْتَرِيحَانَ قَلِيلًا
فَوْقَ عَيْنِي .
وَدَعْ عَيْنِي أَحْمِلَ إِلَى عَمَلِي
ضَمَانَ صِدَاقَتِكَ
وَأَنْعَمَ قَلْبِي بِمُوسِيْقَاكَ
حَتَّى أَقْدِرَ عَلَى تَحْمِيلِ صَحْرَاءِ الضُّجَيْجِ
دَعْ شَمْسَ حُبِّكَ

تُقَبَّلُ ذُرَى أَفْكَارِي .

وَتَمَهَّلُ فِي وِدْيَانِ حَيَاتِي

حَيْثُ تَنْضَعُ الْغِلَالَ

54

ابْقَ أَمَامَ عَيْنِي

وَدَعْ نَظْرَاتِكَ تُلْهَبُ أُغْنِيَاتِي

ابْقَ بَيْنَ نُجُومِكَ

وَدَعْنِي أَوْقِدَ عِبَادَتِي قُرْبَانًا لِأَنْوَارِهَا

إِنِ الْأَرْضَ تَظَلُّ فِي الْإِنْتِظَارِ

عَلَى قَارِعَةِ طَرِيقِ الْكَوْنِ

وَأَبْقِ وَأَقْفَأْ فَوْقَ الْبَسَاطِ الْأَخْضَرِ

الَّذِي فَرَشْتُهُ فِي طَرِيقِكَ

وَاجْعَلْنِي أَحْسَّ فِي زُهُورِ الْحَقْلِ

امْتِدَادَ تَحِيَّتِي

ابقَ في مَسَائِي الوَحِيدِ
حَيْثُ يَسْهَرُ قَلْبِي وَحْدَهُ
وَأَمَلًا كَأَسَ وَحْدِيهِ
حَتَّى يَشْعُرَ فِي شَخْصِي
بِلَا مَحْدُودِيَّةِ حُبِّكَ

55

دَعْ حُبُّكَ يَغْرِزُ صَوْتِي
وَيَسْتَرِيحُ إِلَى صَمْتِي .
دَعَّهُ يَدْخُلُ ، عَبْرَ قَلْبِي
فِي كُلِّ حَرَكَاتِي .
وَاجْعَلْ حُبُّكَ يَتَأَلَّقُ مِثْلَ نُجُومِ
الظُّلْمَةِ فِي أَحْلَامِي
وَدَعَّهُ يَبْزُغُ فِي يَفْظَتِي
وَاحْرِقْهُ فِي نِيرَانِ شَهْوَاتِي

وَأَنْ يَجْرِيَّ فِي كُلِّ جَدَاوِلِ حُبِّي
دَعْنِي أَحْمِلُ حُبَّكَ إِلَى صَمِيمِ
حَيَاتِي .

كَمَا يَحْمِلُ الْمِعْزَفُ الْحَانَةَ .

وَدَعْنِي أُعِيدُهُ إِلَيْكَ

فِي الْخِتَامِ .

إِلَى جَانِبِ حَيَاتِي

56

يَا مَلِيكِي

إِنَّكَ تَخْتَبِيءُ فِي مَجْدِكَ نَفْسِي

إِنْ ذَرَّةَ الرَّمْلِ ، وَقَطْرَةَ الْمَطْرِ

أَكْثَرُ ظُهُوراً مِنْكَ

وَهَذَا الْكَوْنُ الْوَقْعُ يَدْعِي لِنَفْسِي

جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَحْصُكَ

دُونَ أَنْ يَشْعُرَ لِذَلِكَ بِالْخَجَلِ
وَتَتْرَكَ لَهُ الْمَجَالَ
مُنْزَوِيًّا فِي صَمْتٍ .
وَلِذَا ، فَإِنَّ الْحُبَّ يُوقِدُ مِصْبَاحَهُ
لِلْبَحْثِ عَنكَ
وَيَعْبُدُكَ بِلَا إِكْرَاهٍ .

57

حِينَ عُدْتُ مِنَ الْحَفْلَةِ إِلَى الْبَيْتِ
كَانَتْ رَوْعَةٌ مُنْتَصِفِ اللَّيْلِ
قَدْ هَدَّأَتِ الرَّقِصَ فِي دَمِي .
وَصَارَ قَلْبِي فَجْأَةً صَامِتًا
مِثْلَ مَسْرَحٍ مَهْجُورٍ أُطْفِئَتْ فِيهِ الْأَنْوَارُ
وَلَكِنَّ فِكْرِي اجْتَازَ الظُّلْمَةَ
وَأَقَامَ بَيْنَ النُّجُومِ .

وَرَأَى أَنَّهُ كَانَتْ تَلْعَبُ

دُونَ خَوْفٍ

فِي السَّاحَةِ السَّاكِنَةِ

مِنْ قَصْرِ

مَوْلَانَا الْمَلِكِ .

58

بِأَغْنِيَاتِهِ الصَّبَاحِيَّةِ

كَانَ يَطْرُقُ بَابَنَا

حَامِلًا إِلَيْنَا تَحِيَّاتَ الْفَجْرِ

وَبِرَفْقَتِهِ كُنَّا نَسُوقُ الْقُطْعَانَ إِلَى الْمَرْعَى

وَنَعْرِفُ نَائِنًا فِي الظِّلِّ

وَنَفْقِدُهُ لِنَجِدَهُ مِنْ جَدِيدٍ

بَيْنَ حُشُودِ السُّوقِ .

وَفِي سَاعَةِ الْاسْتِغْرَاقِ الْكَامِلِ فِي الْعَمَلِ

كُنَّا نَعْتُرُ عَلَيْهِ صِدْقَةً
جَالِسًا فَوْقَ الْعُشْبِ عَلَى قَارَعَةِ الطَّرِيقِ .
كُنَّا نَمْشِي حِينَ يَلُوقُ طَبْلَهُ
وَنَرْتَقِصُ حِينَ يُغْنِي
وَنُزَاهِنَ عَلَى أَفْرَاحِنَا وَآلَامِنَا
حَتَّى نُنْهِيَ مَعَهُ مُبَارَاتِهِ .
إِنَّهُ وَقَفَ إِلَى مِقْوَدِ زَوْرَقِنَا
وَيَرِفَقْتِهِ كُنَّا نَتَمَائِلُ فَوْقَ الْأَمْوَاجِ الْخَطِيرَةِ
وَيَرِفَقْتِهِ كُنَّا نُوقِدُ مِصْبَاحَنَا
وَنَنْتَظِرُ الْوَقْتَ الَّذِي يَنْتَهِي فِيهِ النَّهَارُ .

59

فِي الصَّبَاحِ
حِينَ تَلُوقُ النَّوَاقِيسُ فِي مَعْبَدِكَ
فَإِنَّ الرُّجَالَ وَالنِّسَاءَ

يُهْرَعُونَ إِلَيْكَ
عَبْرَ طَرِيقِ الْغَابِ
حَامِلِينَ هِبَاتِهِمْ مِنَ الزُّهُورِ
وَلَكِنِّي كُنْتُ اضْطَجَعُ فَوْقَ الْعُشْبِ
فِي الظِّلِّ
وَأَتْرَكُهُمْ يَمُرُّونَ قُرْبِي
وَكُنْتُ أَرَى أَنَّهُ مِنَ الْأَحْسَنِ أَنْ أَتَكَاسَلَ
وَأَتَوَانِي
لَأَنَّ زُهُورِي فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مَا زَالَتْ
فِي بَرَاعِمِهَا
وَفِي نِهَائِيهِ الْيَوْمِ تَفْتَحُ زُهُورِي
وَحِينَئِذٍ ذَهَبْتُ إِلَى صَلَاتِي الْمَسَائِيَّةِ

هُنَاكَ أَوْتَارٌ عَدِيدَةٌ فِي عُودِكَ

فَدَعْنِي أَضِيفُ إِلَيْهَا وَتَرِي .
وَحِينَ تُدَوِّرُنْ أَنْعَامَكَ
يُحَطِّمُ قَلْبِي الصَّمْتُ
وَتَتَحَوَّلُ حَيَاتِي إِلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ
مَعَ أَغْنِيَّتِكَ .
وَبَيْنَ نُجُومِكَ الْعَدِيدَةِ
دَعْنِي أَضَعُ مِصْبَاحِي الضَّيْلَ .
فَفِي رَقْصَةِ عِيدِ الْأَنْوَارِ
سَيَخْفُقُ قَلْبِي
وَتُصْبِحُ حَيَاتِي شَيْئًا وَاحِدًا
مَعَ ابْتِسَامَتِكَ

69

تِلْكَ غَايَتِي
أَنْ تَكُونَ أَغْنِيَّتِي بَسِيطَةً كَبْرُوغِ الصَّبَاحِ
وَمِثْلَ النَّدَى الَّذِي يَتَسَاقَطُ مِنْ فَوْقِ الْأُورَاقِ

بَسِيطَةً بَسَاطَةَ أَلْوَانِ الْغُيُومِ ،
وَزَخَّاتِ الْمَطَرِ أَثْنَاءَ اللَّيْلِ
وَلَكِنَّ أَوْتَارَ عُوْدِي
لَمْ تُشَدَّ وَتُضَبَّطْ إِلَّا مُنْذُ حِينٍ
وَهِيَ تُرْسِلُ أَنْغَامَهَا
مِثْلَ الْأَسْهُمِ الْحَادَّةِ
إِنَّمَا تَفْتَقِرُ إِلَى رُوحِ الرِّيحِ
وَتَجْرَحُ ضَوْءَ النَّهَارِ
وَهَذِهِ الْفَقْرَاتُ مِنْ أَغْنِيَاتِي
تُصَارِعُ بِقُوَّةٍ
لِكَيْ تَدْفَعَ عَنِ نَفْسِهَا
مُوسِيْقَاكَ .

لَقَدْ رَأَيْتُكَ تَعْرِفُ مُوسِيْقَاكَ

فِي قَاعَةِ رَفْصِ الْحَيَاةِ .
وَفِي تَفْتَحِ الرَّبِيعِ الْمُبَاغِتِ
جَاءَتْ ابْتِسَامَتُكَ لِتَحِيَّتِي
وَحِينَ اضْطَجَعْتُ بَيْنَ زُهُورِ الْحَقْلِ
سَمِعْتُ هَمْسَاتِكَ تَسْرِي عَبْرَ الْأَعْشَابِ .
إِنَّ الطُّفْلَ حَمَلَ إِلَى بَيْتِي
رِسَالَةَ الْأَمَلِ
وَالْمَرَأَةَ حَمَلَتْ إِلَيْهِ مُوسِيقَى حُبِّكَ
وَالآنَ فَإِنِّي أَتَرَقَّبُ
عِنْدَ ضِيْفَةِ الْبَحْرِ
أَنْ أَسْمَعَكَ فِي الْمَوْتِ
فَأَعْتُرُ عَلَى تَرْنِيمَةِ
الْحَيَاةِ
فِي أُغْنِيَةِ نُجُومِ اللَّيْلِ

أَذْكُرُ طُفُولَتِي
عِنْدَمَا كَانَ الْفَجْرُ
رَفِيقُ الْعَابِي
يَجْتَاحُ عُرْفَةَ نَوْمِي
بِمُفَاجَأَتِهِ الصَّبَاحِيَّةِ الْيَوْمِيَّةِ
حِينَ كَانَ الْإِيْمَانُ بِالْمُذْهِلِ وَالرَّائِعِ
يَتَفَتَّحُ فِي قَلْبِي كُلِّ يَوْمٍ
مِثْلَ الزُّهُورِ الطَّرِيَّةِ
فَأَحَدِّقُ فِي وَجْهِ الْكَوْنِ
بِغَبْطَةِ سَادِجَةٍ
حِينَ كَانَتْ الْحَشْرَاتُ
وَالطُّيُورُ
وَالْحَيَوَانَاتُ

وَأَشْجَارُ الْقَصَبِ الْعَادِيَّةِ

وَالْأَعْشَابُ

وَالْغُيُومُ

تَحْفَظُ كُلُّهَا أَوْفَى قِيمِ الْمَذْهِلِ وَالْمُثِيرِ

حِينَ كَانَتْ تُرْتَرَةُ أَمْطَارِ اللَّيْلِ

تَحْمِلُ إِلَى أَحْلَامِ بَلَدِ الْحُورِيَّاتِ

وَصَوْتُ أُمِّي عِنْدَ الْمَسَاءِ

يَمْنَحُ النُّجُومَ مَعْنَى

وَحِينُنِي ، أَفَكَّرْتُ فِي الْمَوْتِ

وَرَفَعُ الْحِجَابِ

وَالْيَوْمِ الْجَدِيدِ

وَحَيَاتِي الْمُنْبَعِثَةَ

فِي مُفَاجَأَةِ الْحَبِّ الْمُنْعِشَةِ

(72)

أَيُّهَا الْكَوْنُ

حِينَ لَا يُقَبِّلُكَ قَلْبِي قُبْلَةَ الْعَاشِقِ
فَإِنْ تُورِكَ يَفْقِدُ رَوْعَةَ بَرِيقِهِ الْكَامِلِ
وَسَمَاؤُكَ تَنْتَظِرُ بِمِصْبَاحِهَا الْمُوقَدِ
فِي اللَّيْلِ الطَّوِيلِ
وَيَقْتَرِبُ قَلْبِي مِنْكَ بِأَغَانِيهِ
وَتَبَادُلِ الْهَمْسَاتِ
وَيَضَعُ إِكْلِيلَهُ فِي عُنُقِكَ
وَأَدْرِكُ أَنَّهُ قَدْ وَهَبَكَ شَيْئاً
سَيُكُونُ عَزِيزاً عَلَيْكَ
أَثِيراً إِلَى نَفْسِكَ
مَعَ نُجُومِكَ

(73)

مِنَ اللَّحْظَةِ الْأُولَى
تَخَلَّيْتُ لِي عَنْ مَكَانِكَ مِنْ نَافِذَتِكَ

فَتَحَدَّثْتُ إِلَى عِبَادِكَ الصَّامِتِينَ
مِنْ أَبْنَاءِ الشَّارِعِ الَّذِينَ يُهْرَعُونَ
حَامِلِينَ هِبَاتِكَ

وَعَنَيْتُ مَعَ جَوْفِكَ السَّمَاوِيَّةَ
وَرَأَيْتُ الْبَحْرَ يَحْفَظُ فِي هُدُوئِهِ
صَمْتَهُ اللَّامِحْدُودَ

كَمَا رَأَيْتُهُ يَهِيحُ فِي الْعَاصِفَةِ
لِيُكْشِفَ سِرَّهُ الْعَمِيقَ
وَلَا حَظَّتْ الْأَرْضُ فِي حَفْلِهَا السَّخِيَّ
بِشَبَابِهَا

وَفِي السَّاعَاتِ الْبَطِيئَةِ لِلظُّلَالِ الثَّقِيلَةِ
وَالَّذِينَ تَوَجَّهُوا لِلْحُقُولِ
لِيَذُرَ الْبُدُورِ قَدْ أَصْغَوْا لِتَحِيَّتِي
وَالَّذِينَ عَادُوا إِلَى الْبَيْتِ بِمَحَاصِيلِهِمْ
وَالَّذِينَ عَادُوا إِلَيْهَا بِسِلَالِ فَارِغَةٍ

جَمِيعُهُمْ قَدِ مَرُّوا قُرْبَ أَغْنِيَاتِي
وَأَخِيرًا انْتَهَى يَوْمِي .
وَالْيَوْمَ عِنْدَ الْمَسَاءِ
سَأُعْطِي أَغْنِيَّتِي الْأَخِيرَةَ
لِأَقُولَ لَكَ إِنِّي أَحْبَبْتُ كَوْنَكَ

(74)

لَقَدْ وَقَعَ عَلَيَّ
وَاجِبٌ أَنْ أَكُونَ مُنْشِدَكَ
وَفِي أَغَانِيَّ
أَعْطَيْتُ صَوْتًا لَزُهْرٍ رَابِعًا
وَأَعْطَيْتُ إِيقَاعًا لِخَفِيفِ أَشْجَارِكَ
وَعَنْتُ فِي سُكُونِ اللَّيْلِ
وَفِي أَمْنِ الصَّبَاحِ .
وَزَخَاتِ الْمَطَرِ الصَّيْفِيِّ الْأُولَى

قَدِ امْتَرَجَتْ بِأَنْغَامِي
وَكَذَلِكَ تَمَوْجُ مَحَاصِيلِ الْخَرِيفِ
يَا إِلَهِي
اجْعَلْ نَسِيدِي لَا يَتَوَقَّفُ عِنْدَ النِّهَائَةِ
حِينَ تَشْقُ قَلْبِي لِتَدْخُلَ بَيْتِي
وَاجْعَلْهُ يَتَفَجَّرُ فِي التَّرْحِيبِ بِكَ

77

أَيُّهَا الْعَابِرُ
إِلَى أَيْنَ أَنْتَ ذَاهِبٌ؟
- إِنِّي ذَاهِبٌ لِلسَّبَاحَةِ فِي الْبَحْرِ عِنْدَ احْمِرَارِ الْفَجْرِ
وَعَبْرَ الطَّرِيقِ الطَّوِيلَةِ الْمَشْجَرَةِ
- أَيُّهَا الْعَابِرُ
- أَيْنَ يُوجَدُ هَذَا الْبَحْرُ؟
حَيْثُ النَّهْرُ يَخْتَمُ مَجْرَاهُ
حَيْثُ الْفَجْرُ يَنْطَوِي فِي النَّهَارِ

وحيث النَّهَارُ يَغْرُبُ فِي الظُّلْمَةِ

- أَيُّهَا العَابِرُ

كَمْ عَدَدُ رُفَقَائِكَ الَّذِينَ يُصَاحِبُونَكَ؟

- لَا أَعْرِفُ كَيْفَ أَعِدُّهُمْ

إِنَّهُمْ يَرِحُّونَ طَوَالَ اللَّيْلِ

بِمَصَابِيحِهِم المَوْقِدَةَ

وَيُغْنُونَ طَوَالَ النَّهَارِ

عَبْرَ المَسَالِكِ المَائِيَّةِ وَالدَّرُوبِ البَرِّيَّةِ

- أَيُّهَا العَابِرُ

هَلِ البَحْرُ بَعِيدٌ؟

مِقْدَارُ البُعْدِ هَذَا يَشْغُلُنَا جَمِيعاً

فَنَسْأَلُ عَنْهُ نَحْنُ أَيْضاً

إِنْ هَدِيرَ المَوْجِ المَدَوِّي يَرْتَفِعُ إِلَى عِنَانِ السَّمَاءِ

حِينَ نَكُفُّ عَنِ النَّشِيدِ، فَيَبْدُو لَنَا أَكْثَرَ قُرْباً

وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ بَعِيدٌ

- أَيُّهَا الْعَابِرُ

هَلِ الشَّمْسُ مُحْرِقَةٌ

- أَجَلٌ . إِنْ رِحَلْتَنَا طَوِيلَةً وَمُرْهَقَةً

وَيُغْنِي فِيهَا ضَعِيفُ النَّفْسِ

كَمَا يُغْنِي فِيهَا الْحَيِيُّ الْخَجُولُ

- أَيُّهَا الْعَابِرُ

مَاذَا يَحْدُثُ إِذَا دَاهَمَكُمُ اللَّيْلُ؟

نَضْطَجِعُ لِنَنَامَ ، حَتَّى يَنْبَلِجَ النَّهَارُ الْجَدِيدُ

رَافِعاً صَوْتَهُ بِالنَّشِيدِ

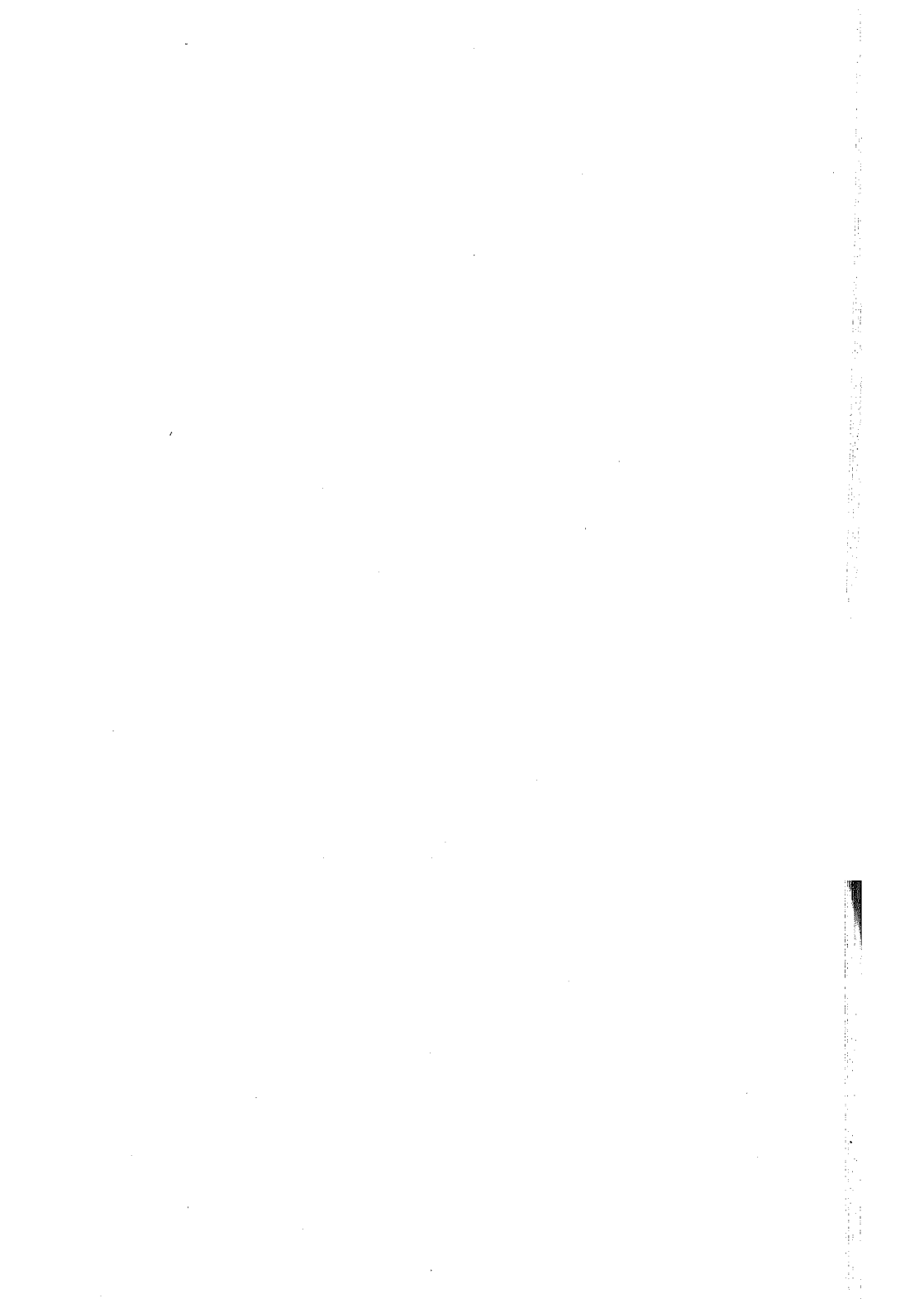
وَنِدَاءُ الْبَحْرِ يَتَعَالَى مُتَدَفِّقاً فِي الْجَوْ صَدَاهُ

78

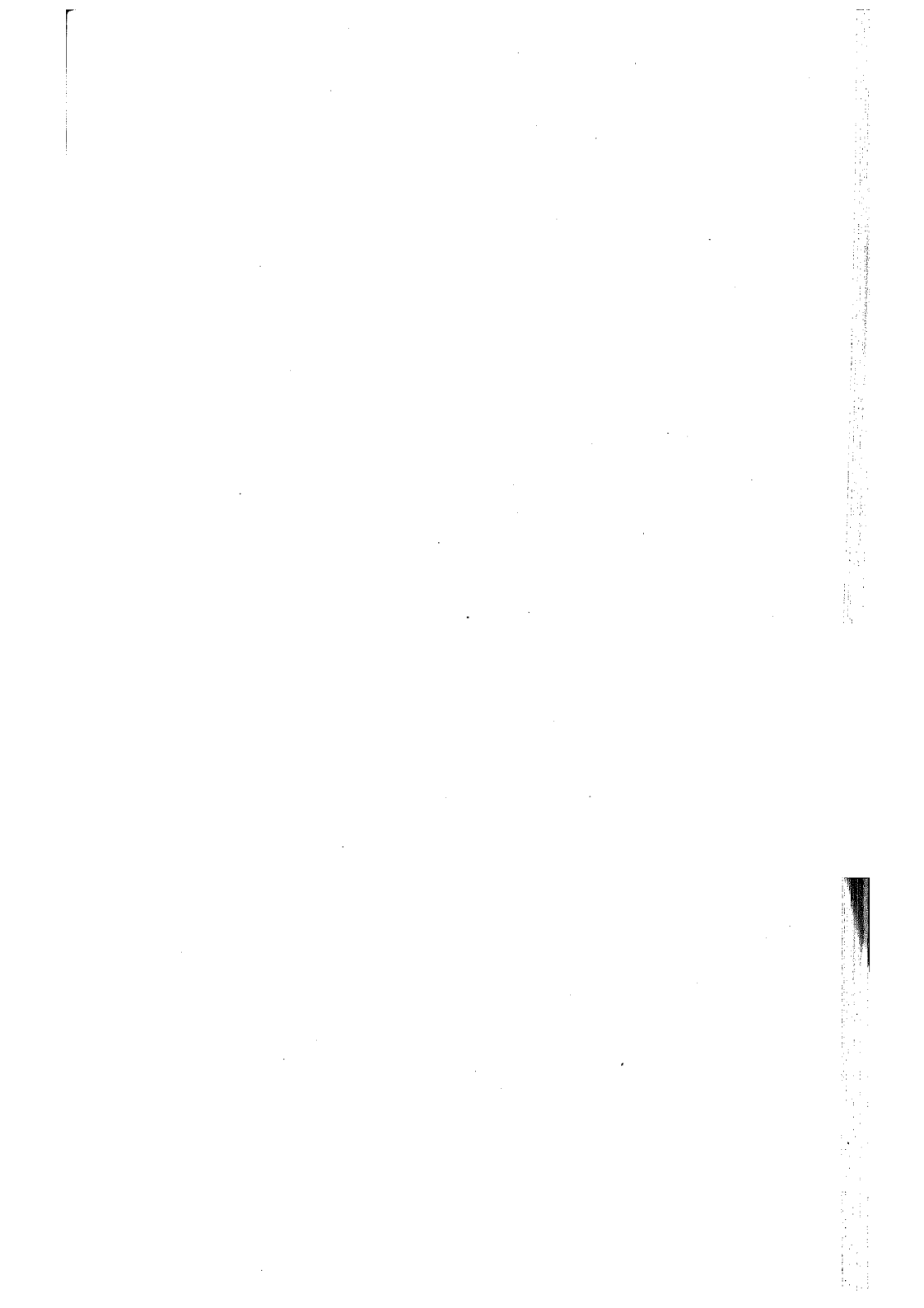
يَا رَافِقَ الطَّرِيقِ

إِلَيْكَ سَلَامِي

سَلَامَ الْعَابِرِ
أَه يَا سَيِّدَ قَلْبِي الْمُمَزَّقِ بِالْفِقْدَانِ وَالْوَدَاعِ
وَبِصَمْتِ الْغُرُوبِ الرَّمَادِيِّ
إِلَيْكَ سَلَامَ الْبَيْتِ الْمُتَدَاعِي
يَا نُورَ الْيَوْمِ الْوَلِيدِ
وَشَمْسَ الْيَوْمِ الدَّائِمِ إِلَى الْأَبَدِ
إِلَيْكَ سَلَامَ الْأَمَلِ الَّذِي لَا يَمُوتُ
يَا مُرْشِدِي
أَنَا الْعَابِرُ فِي طَرِيقٍ لَا نِهَايَةَ لَهَا
إِلَيْكَ سَلَامَ الْعَابِرِ



الهَارِبَةُ



كَانَتْ الدُّنْيَا قَدْ أَخَذَتْ فِي الظَّلَامِ

حِينَ سَأَلْتُهَا

إِلَى أَيِّ أَرْضٍ وَصَلْتِ؟

فَاكْتَفَتْ بِخَفْضِ بَصَرِهَا

وَأَخَذَ الْمَاءَ يُقْرِقِرُ عِنْدَ عُنُقِ جَرَّتِهَا

حِينَ تَأَهَّبَتْ لِلذَّهَابِ .

الْأَشْجَارَ تَمِيلُ عَلَى الضِّفَّةِ فِي سِحْرِ جَدَّابِ

وَالْأَرْضَ تَبْدُو كَأَنَّهَا تَنْتَمِي إِلَى الْمَاضِي

وَالْمِيَاهُ سَاكِنَةٌ، وَاشْجَارُ الْبَامْبُو

وَاقِفَةٌ بِلاَ حَرَكَةٍ، مَلْفُوفَةٌ فِي عُمُوضِهَا،

وَسِوَارٌ يَرِنُّ عِنْدَ مُلَامَسَةِ الْجِرَّةِ

هُنَاكَ . . عَلَى الدَّرْبِ
لَا تُجَدِّفُ وَشُدُّ الزُّورِقِ إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ
لَأَنِّي أَعْشَقُ مَنَظَرَ هَذَا الْبَلَدِ
إِنْ نَجْمَةَ الْمَسَاءِ تَهَيَّبُ
وَرَاءَ قُبَّةِ الْمَعْبَدِ
وَشُحُوبُ الْمَرْمَرِ فِي الْمَرْسَى
يَبْدُو كَأَنَّهُ شَبَحُ فَوْقَ الْمَاءِ الْغَامِقِ الْمُعْتَمِ
وَعَابِرُونَ مُتَخَلِّفُونَ يَتَنَهَّدُونَ
لَأَنَّ أَضْوَاءَ النُّوَاظِدِ الْخَفِيَّةِ
قَدْ تَشَتَّتَتْ فِي ظِلَامِ الشَّابُكِ
بَيْنَ الْأَشْجَارِ وَالْجَنَبَاتِ الْعُشْبِيَّةِ
عَلَى طُولِ الطَّرِيقِ .
وَمَا زَالَ ذَلِكَ السَّوَارُ الصَّغِيرُ يَرِنُ
فِي اصْطِدَائِهِ بِالْجَرَّةِ
وَحِينَ يَتَّبَاعِدُ، فَإِنَّ الْخَطُوتَ

تُحَدِّثُ خَشْخَشَةً هُنَاكَ فِي الدَّرْبِ
المُعْطَى بِالْأُورَاقِ الجَافَةِ
وَاللَّيْلِ يُزْدَادُ ظُلْمَةً
وَأَبْرَاجُ القَصَبِ تَقِفُ صَفَاً وَاحِداً كَالأَشْبَاحِ
وَتَتَبِعُ مِنَ المَدِينَةِ غَمْغَمَةً مُتَعَبَةً
لَا تُجَدِّفُ، وَشُدُّ الزُّورَقِ إِلَى أَيِّ شَجَرَةٍ
وَدَعْنِي أَبْحَثُ عَنِ رَاحَتِي
فِي هَذَا البَلَدِ الغَرِيبِ الَّذِي يَمْتَدُّ فِي الظَّلَامِ
تَحْتَ النُّجُومِ وَحَيْثُ الظُّلْمَةُ تَرَدَّدُ صدىً
رَيْنِ سِوَارٍ صَغِيرٍ يَصْطَظِمُ
بِالجَرَّةِ

4

آه، لَوْ مُنِحْتُ سِرّاً
مِثْلَ سِرِّ المَطَرِ الَّذِي تُمَسِكُهُ العُيُومُ

سِرّاً، مَلْفُوفاً فِي الصَّمْتِ
يُمْكِنُنِي أَنْ أَجُوبَ بِهِ الْأَمَاكِينَ النَّائِيَةَ
أَهْ لَوْ كَانَ لِي أَحَدٌ أَهْمَسُ إِلَيْهِ
حَيْثُ الْمِيَاهُ الْبَطِيئَةُ تَتَرَفَّقُ
تَحْتَ الْأَشْجَارِ الْعَافِيَةِ فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ .
هَذَا الْمَسَاءُ يَبْدُو أَنَّ السِّرَّ يَنْتَظِرُ
ضَجِيجَ خُطْوَةٍ، وَيَسْأَلُنِي عَنْ سِرِّ دُمُوعِي .
لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقْدِمَ تَبْرِيراً لِبُكَائِي
فَذَلِكَ مَا يَزَالُ حَتَّى الْآنَ سِرّاً
مُحَجَّباً عَنِّي .

7

أَنَا كَاللَّيْلِ بِالنُّسْبَةِ إِلَيْكَ
أَيُّهَا الزَّهْرُ الصَّغِيرُ
يُمْكِنُنِي أَنْ أَقْدِمَ إِلَيْكَ فَقَطِ الْأَمْنَ وَالسَّلَامَ

وصمّتا ساهراً مُخْتَبِئاً فِي الظُّلْمَةِ
وَحِينَ تَفْتَحُ أَكْمَامَكَ فِي الصَّبَاحِ
فَإِنِّي أَتْرُكُكَ لِعَالَمِ مَلِيءٍ بِطَنِينِ
النَّحْلِ وَأَغَانِي الطُّيُورِ.
إِن هَدَيْتِي الْأَخِيرَةَ إِلَيْكَ
سَتَكُونُ دَمْعَةٌ تُسَكَبُ فِي ذُرْوَةِ شَبَابِكَ
سَتَجْعَلُ ابْتِسَامَتَكَ أَحْلَى
وَتَحْجُبُ بَصْرَكَ عَنِ بَهْجَةِ الْيَوْمِ الْكَرِيمَةِ.

9

لَوْ عَشْتُ فِي مَدِينَةِ وَبِحَانَ الْمَلَكِيَّةِ
حِينَ كَانَ كَالِيدَاسِ شَاعِرِ الْمَلِكِ
لَكُنْتُ سَأَتَعَرَّفُ عَلَيَّ صَبِيَّةً مِنْ (مَلُوى)
وَلَمَلْتُ أَفْكَارِي بِصَدَى اسْمِهَا
وَلَأَلْقَتْ عَلَيَّ نَظْرَةً عَبْرَ الظِّلَالِ

مِن أَجْفَانِهَا، وَتَرَكْتَ إِزَارَهَا
لِيَشْتَبِكَ فِي الْيَاسَمِينِ كَمُهْرٍ لِلْبَقَاءِ

بِجَوَارِي

كُلُّ هَذَا كَانَ يَقَعُ فِي مَاضٍ
ضَاعَتْ أَثَارُهُ تَحْتَ أَوْرَاقِ الزَّمَنِ الْمَيِّتَةِ
وَالْيَوْمَ يَبْحَثُ الدَّارِسُونَ عَنِ وَقَائِعِ
تُمَارِسٍ مَعَهُمْ لُعْبَةِ الْاسْتِخْفَاءِ .

فَلَنْ أَمَزَّقَ قَلْبِي فِي الْحُلْمِ بِأَزْمَانٍ
غَابِرَةٍ خَالِيَةٍ

وَلَكِنْ أَوَّاه

إِنِّي أَسْأَلُ

إِلَى أَي سَمَاءٍ

حَمَلْنَ فِي سِلَالِ الزُّهُورِ

تِلْكَ الْأَيَّامِ الَّتِي أَثَارَتِ الْقَصَائِدِ الْغِنَائِيَّةِ

لِشَاعِرِ الْمَلِكِ؟

هَذَا الصَّبَاحَ

إِنْ فِرَاقَ مَنْ وُلِدَتْ بَيْنَهُمْ مُتَأَخَّرًا جَدًّا

يُحْزِنُ قَلْبِي وَيُضَايِقُهُ

وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنْ شَهْرَ ابْرِيْلِ يَحْمِلُ الزُّهُورَ نَفْسَهَا

الَّتِي كُنَّ يَزِينُ بِهَا شُعُورَهِنَّ

وَالنَّسِيمُ الَّذِي يُمَوِّجُ أَثْوَابَهُنَّ

هُوَ النَّسِيمُ نَفْسَهُ الَّذِي يَهْمِسُ لِلوُرُودِ .

وَفِي الْحَقِّ

إِنَّ هَذَا الرَّبِيعَ لَا يَفْتَقِرُ إِلَى الْفَرَحِ

وَإِنْ كَانَ (كَالْيَدَّاسِ) لَمْ يَعُدْ يُغْنِي

وَإِنِّي أَعْرِفُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ فِي وَسْعِهِ

أَنْ يَرْتَقِبَنِي مِنْ فِرْدَوْسِ الشُّعْرَاءِ

لَوْجَدَ الْمُبَرَّرَ لِأَنْ يَحْسُدَنِي حَظِّي .

لَا تَشْغِلُ بِقَلْبِهَا

يَا قَلْبِي

دَعُهُ فِي الظُّلْمَةِ

أَيُّ أَهْمِيَّةٍ إِذَا كَانَ جَمَالُهَا جَمَالاً جَسَدِيّاً فَحَسَبِ

وَابْتِسَامَتُهَا ابْتِسَامَةً خَارِجِيَّةً مُرْتَسِمَةً

عَلَى مُحَيَّاها؟

دَعْنِي آخِذٌ، مِنْ غَيْرِ مُعْضِلَاتٍ

المَعْنَى البَسِيطَ لِنَظَرَاتِهَا

وَأَسْعِدُ بِذَلِكَ

لَا يَهْمُنِي أَنْ تَكُونَ شَبَكَةً مِنَ الأَوْهَامِ

تِلْكَ الَّتِي تُطَوِّقُنِي بِهَا ذِرَاعَاهَا

ذَلِكَ أَنَّ الشَّبَكَةَ ذَاتَهَا ثَمِينَةٌ وَنَادِرَةٌ

أَمَّا الخِدَاعُ فَيُمْكِنُ أَنْ نَضْحَكَ مِنْهُ ثُمَّ نَنْسَاهُ

لَا تَشْغَلِ بِقَلْبِهَا، يَا قَلْبِي
وَلتَطْمَئِنَّ فَقَطِّ إِلَى أَنْ المُوَسِيقَى حَقِيقَةً
وَإِنْ وَجَبَ عَدَمُ الإِيمَانِ بِالكَلِمَاتِ .

وَاسْتَمْتِعْ بِالنَّعْمَةِ الرَّاقِصَةِ
فَوْقَ تَمَوُّجِ السَّطْحِ الخَدَّاعِ
مَهْمَا كَانَتِ الأَشْيَاءُ الَّتِي تُوجَدُ تَحْتَهُ

12

مِثْلَ الجَدُولِ المُنْتَدِقِ المُلْتَوِي
تَضْحَكِينَ وَتُغْنِينَ

وَقَدَمَاكَ يُغْنِيَانِ حِينَ تَتَخَطَّرِينَ

وَمِثْلَ ضَيْفَةٍ وَعَرَّةٍ وَصَخْرِيَّةٍ

أَقِفْ أَنَا سَاكِنًا سَاكِنًا

أَرْقُبُكَ فِي الظُّلَامِ

وَمِثْلَ عَاصِفَةٍ هُوَجَاءَ عَظِيمَةٍ

أَهْرَعُ فَجَاءَةً
مُحَاوَلًا شَقَّ حَيَاتِي
وَتَبْدِيدَهَا شَطَايَا
فِي دَوَامَةِ الْعِشْقِ
وَمِثْلَ الْبَرْقِ الْخَاطِفِ، رَفِيقِ وَقَاطِعِ
سَأَشْتَقُ قَلْبَ الظَّلَامِ الْمَضْطَرِبِ
لِكَيْ تَغْيِبِي فِي سِلْسَلَةٍ مِنَ الضَّحْكَاتِ . .

14

إِنِّي سَعِيدٌ بِأَنَّكَ لَمْ تَعُودِي تَنْتَظِرِينَ
بِتِلْكَ النُّظْرَةِ الْمَتَأَثِّرَةِ الْمِلْحَاحِ .
إِنْ رَوْعَةَ اللَّيْلِ
وَكَلِمَاتِي التَّوْدِيعِيَّةِ
الْمُنْدَهَشَةِ بِإِيقَاعِهَا الْيَأْسِ
هِيَ الَّتِي تَسْكُبُ بَعْضَ الدُّمُوعِ مِنْ عَيْنِي

وَلَكِنَّ النَّهَارَ سَوْفَ يَظْهَرُ

وَسَتَجِفُّ عَيْنَايَ وَقَلْبِي

وَلَنْ يَكُونَ هُنَاكَ وَقْتُ لِمَزِيدٍ مِنَ الْبَقَاءِ

مَنْ الَّذِي يَقُولُ إِنَّهُ مِنَ الْعَسِيرِ أَنْ نُنْسَى؟

إِنْ رَحْمَةَ الْمَوْتِ تَحْفَرُ فِي قَلْبِ الْحَيَاةِ

مَا نِيحَةً إِيَّاهُ هُدْنَةً

مِنْ رَغْبَتِهِ الْمَجْنُونَةِ فِي الْبَقَاءِ .

وَالْبَحْرُ الْعَاصِفُ سَوْفَ يَهْدَأُ فِي النَّهَائَةِ

فِي مَهْلِهِ الْمُتَأَرِّجِ .

وَنَارُ الْعَابَةِ سَتَغْفُو فِي سَرِيرِ رَمَادِهَا نَفْسِي

وَعَلَيْنَا أَنْ نَفْتَرِقَ

أَنَا وَأَنْتِ

إِنْ الْفُرْقَةَ سَتَكُونُ مَتَخْفِيَةً تَحْتَ الْعُشْبِ النَّاصِرِ

وَالزُّهُورِ الَّتِي تَضْحَكُ فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ .

نَسِيتُ بُرْهَةً، وَجِئْتُ
 وَلَكِنْ ارْفَعِي عَيْنَيْكَ
 وَدَعِينِي أَنْظُرِ إِذَا كَانَتْ مَا زَالَتْ تَتَمَهَّلُ
 فِيهِمَا ظِلَالُ الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ
 مِثْلَ الْغَيْمَةِ الشَّاحِبَةِ، السَّابِحَةِ
 فِي الْأَفْقِ، بَعْدَ أَنْ سُرِقَتْ مِنْهَا أَمْطَارُهَا
 فَلْتَصْبِرِي عَلَيَّ قَلِيلًا
 إِذَا كُنْتُ أَنْسَى نَفْسِي
 فَالْوُرُودَ مَا تَزَالُ فِي بَرَاعِيهَا
 وَلَا تَدْرِي أَنَّنَا أَهْمَلْنَا قَطْفَ الزُّهُورِ
 فِي ذَلِكَ الصَّيْفِ .
 وَنَجْمَةُ الصَّبَاحِ .

لَهَا نَفْسٌ الصَّمْتِ الْخَافِقِ
وَالْأَنْوَارِ الْأُولَى قَدْ وَقَعَتْ فِي شِيَاكِ الْغُصُونِ
وَهِيَ تَحْفُُّ بِنَافِذَتِكَ كَمَا كَانَتْ تَفْعَلُ
فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ
وَلِبُرْهَةِ، نَسِيتُ أَنْ الْأُزْمَانَ قَدْ تَغَيَّرَتْ
وَحِثُّ

نَسِيتُ إِذَا كُنْتُ قَدْ أَخَجَلْتَنِي
بِنَزْعِ نَظْرَاتِكَ عَنِّي حِينَ كُنْتُ
أَكْشِفُ لَكَ أَسْرَارَ قَلْبِي
أَذْكُرُ فَقَطِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَعَثَّرْتُ
فَوْقَ ارْتِجَافِ شَفَتَيْكَ
وَذَكَرْتُ فِي عَيْنَيْكَ السَّمْرَاوِينَ
ظِلَالًا عَابِرَةً مِنَ الْهَوَى
مِثْلَ جَنَاحِي طَائِرٍ يَبْحَثُ عَنْ وَكْرِهِ
عِنْدَ الظَّلَامِ.

لَقَدْ نَسِيتُ أَنَّكَ نَسِيتِ
فَجِئْتُ

17

كَانَ الْمَطَرُ يَهْطِلُ بِغَزَاةٍ
وَالنَّهْرُ يَتَدَفَّقُ هَادِرًا
وَلَعَقَ الْجَزِيرَةَ ثُمَّ ابْتَلَعَهَا
بَيْنَمَا كُنْتُ أَنْتَظِرُ وَحِيدًا، بِسَنَابِلِ قَمْحِي
عِنْدَ الضِفَّةِ الَّتِي أَخَذْتُ فِي الانْخِفَاضِ .
وَمِنْ ظِلَالِ الضِفَّةِ الْأُخْرَى
كَانَ يَبْدُو زَوْرَقٌ يُعْبِرُ النَّهْرَ
وَفَوْقَهُ امْرَأَةٌ عِنْدَ الْمِقْوَدِ
فَصَرَخَتْ فِيهَا
تَعَالِي إِلَى جَزِيرَتِي .
لَقَدْ أَحَاطَتْ بِهَا الْمِيَاهُ الْجَائِعَةُ

وَأَخَذْتُ كُلَّ مَا أَمْلِكُ
حَتَّى آخِرَ حَبَّةٍ مِنْ حَبَاتِ قَمْحِي
فَسَأَلْتُهَا أَنْ تَأْخُذَنِي أَنَا أَيْضاً
وَلَكِنَّهَا قَالَتْ . . . لَا
كَانَ الزُّورُ قَدْ مَشْحُوناً بِهَدْيِي
وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ مَكَانٌ لِي

7

أُورَفَاشِي
لَسْتُ أُمًّا، وَلَا ابْنَةً، وَلَا زَوْجَةً
وَلَكِنَّكَ امْرَأَةً خُلِقْتَ لِكَيْ تَسْلُبَ
رُوحَ الْفِرْدَوْسِ .
عِنْدَمَا يَهْبِطُ الْمَسَاءُ مُتَعَبًا
وَيُخَيِّمُ فَوْقَ حَظَائِرِ الْقُطْعَانَ الْعَائِدَةِ مِنَ الْمَرَعَى

لَا تُطْفِئِينَ أَنْوَارَ بَيْتِكَ
وَلَا تَتَّجِهِينَ إِلَى فِرَاشِ الرُّوْحِيَّةِ
بِقَلْبِ خَافِقٍ وَابْتِسَامَةٍ مُتَمَوِّجَةٍ
عَلَى شَفَتَيْكَ
سَعِيدَةٌ بِأَنَّ سَاعَاتِ اللَّيْلِ
أَمِينَةٌ جَدًّا عَلَى الْأَسْرَارِ .
أَنْتِ كَالْفَجْرِ بِلَا أَجْنِحَةٍ
يَا أَوْرَاقِشِي ، وَبِلَا خَجَلٍ .
مَنْ الَّذِي يُمَكِّنُهُ أَنْ يَتَّصِرَ
بِتِلْكَ الرُّوْعَةِ الرَّهْمِيَّةِ الَّتِي صَبِغَ مِنْهَا
جَمَالُكَ ؟
لَقَدْ طَلَعْتَ مِنَ الْبَحْرِ الْمُزْبِدِ
فِي أَوَّلِ أَيَّامِ الرَّبِيعِ
وَكَأْسُ الْحَيَاةِ فِي يَمِينِكَ
وَكَأْسُ السُّمِّ فِي يَسَارِكَ

وَالشَّبْحُ الْبَحْرِيَّ
المُرْوَضَ كالثُّعْبَانَ المُنْدَهِيشَ
وَضَعَ عِنْدَ قَدَمَيْكَ
آلَافَ رُؤُوسِهِ
وَانْبَعَثَ بِرَيْقِكَ الطَّاهِرِ
مِن رَعْوَةِ الْبَحْرِ
أَبْيَضَ صَافِيًا عَارِيًا كَأَنَّهُ الْيَاسَمِينِ
أَكُنْتِ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ
صَغِيرَةً خَجَلِي أُمَّ دَاخِلِ بُرْعُمِ
يَا أَوْرَفَاشِي أَيُّهَا الشَّبَابُ الْخَالِدُ؟
هَلْ نِمْتِ لَيْلًا
مُهْدَهْدَةً فِي أَعْمَاقِ اللَّيْلِ اللَّازِوَرْدِي
حَيْثُ أَنْوَارِ الْجَوَاهِرِ الْعَجِيبَةِ
تَعَبْتُ بِالْمَرْجَانِ، حَيْثُ أَصْدَافُ
الْحَلَازِينِ وَالْمَخْلُوقَاتِ الْمُتَحَرِّكَةِ

لَهَا شَكْلُ الحُلْمِ ، حَتَّى جَاءَ النَّهَارُ
فَكَشَفَ عَن رَوْعَتِكَ؟
أَنْتِ مَعْبُودَةُ الرَّجَالِ
فِي كُلِّ العُهُودِ والعُصُورِ
أورفاشي أيتها المعجزةُ
التي لا حَدَّ لَهَا .
يَخْفِقُ الكَوْنُ بِأَلْمِ شَبَابِي
لِنَظْرَتِكَ .
وَالنَّاسِكُ يَضَعُ أَمَامَ قَدَمَيْكَ
ثَمْرَةَ نَدَمِهِ
وَأغاني الشعراءِ
تَطِنُّ وَتَتَجَمَّعُ حَوْلَ عِطْرِ حُضُورِكَ
وَقَدَمَاكَ الرَّاقِصَتَانِ
فِي مَرَحِ عَابِثٍ ، تَجْرَحَانِ حَتَّى قَلْبَ
الرياحِ الغَامِضَةِ بِرَيْنِ خَلَاخِيلِكَ

المُذَهَّبَةِ .

حِينَ تَرْقُصِينَ أَمَامَ الْإِلَهَةِ

تَرْسُوبِينَ أَفْلَاكًا مِنَ الْإِبْقَاعِ الْجَدِيدِ

فِي الْفَضَاءِ الْكَوْنِيِّ

وَتَرْتَجِفُ الْأَرْضُ

يَا أَوْرَفَاشِي

وَالْأُورَاقُ وَالْعُشْبُ

وَالْحُقُولُ الْحَرِيفِيَّةُ

تَتَفَيَّحُ وَتَتَمَوَّجُ

وَالْبَحْرُ يَتَضَخَّمُ فِي فَوْرَةٍ مِنَ الْأَمْوَاجِ

وَالنُّجُومُ تَتَسَاقَطُ فِي السَّمَاءِ

كَالْعِقْدِ الَّذِي يَثْبُ حَتَّى يَنْفَرِطَ فَوْقَ نَهْدِكَ

وَالدَّمُ يَرْقُصُ فِي الْقُلُوبِ

فِي أَرْبَابِكُ مُفَاجِئًا

أَنْتِ الْيَقِظَةُ الْأُولَى

فِي ذُرْوَةِ غُفْوَةِ السَّمَاءِ

أورفاشي

دَعِيَ الْجَوَّ يَرْتَجِفُ مِنْ هَيْجَانِهِ
وَالْكَوْنَ يَغْسِلُ جَسَدَكَ بِدُمُوعِهِ .

إِنْ قَدَمَيْكَ حَمْرَاوَانَ

يَلُونِ دَمٍ قَلْبِكَ

وَبِرِشَاقَةٍ تَتَمَايَلِينَ فَوْقَ زَهْرَةِ لُوتَسَ
زَهْرَةِ الشَّهْوَةِ الَّتِي تُثِيرُهَا الْأَمْوَاجُ .

أورفاشي

أَنْتِ تَلْعَبِينَ أَبَدِيًّا

فِي تِلْكَ الذَّاكِرَةِ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا
حَيْثُ يَتَحَرَّكُ وَيَضْطَرِبُ حُلْمُ اللَّهِ .

1

يَا سَيِّدَةَ الرُّوعَةِ الْمُتَعَدِّدَةِ

أَنْتِ مُتَنَوِّعَةٌ بِأَلْحُدُودِ
فِي هَذَا الْكَوْنِ الْفِيَّاضِ .
طَرِيقُكَ مَزْرُوعَةٌ بِالنُّورِ
وَمَلَاظَفَتُكَ تَتَحَوَّلُ إِلَى زُهُورِ
وَتَوْبُوكِ الْمَجْرُورِ يَكْسَحُ
دَوَامَةَ الرَّقْصِ بَيْنَ النُّجُومِ .
وَإِنْعَامُكَ الْمُتَعَدِّدَةُ الطَّبَقَاتُ
تُرَدِّدُ صَدَاهَا الْكَلِمَاتُ الْعَدِيدَةُ
عَبْرَ إِشَارَاتٍ وَأَلْوَانِ .
أَنْتِ وَحِيدَةٌ وَوَاحِدَةٌ فِي الصَّمْتِ
الَّذِي لَمْ يُسَبَّرْ غَوْرُهُ فِي النَّفْسِ
سَيِّدَةُ الصَّمْتِ وَسَيِّدَةُ الْوَحْدَةِ
رُؤْيَا مُرْتَعِشَةً مِنَ النُّورِ
وَزَهْرَةً لُوتَسَ وَحِيدَةً مُنَوَّرَةً
فَوْقَ عُودِ الْحَبِّ

إِنِّي لِأَذْكُرُ هَذَا الْيَوْمَ .
 هُطُولُ الْمَطَرِ الْعَنِيفِ
 لَا يَكَادُ يَهْدَأُ مِنْ حِينٍ إِلَى آخِرِ
 حَتَّى يَتَجَدَّدَ هُبُوبُ الرِّيحِ
 فَيُوقِظُهَا عِنْدَ أَوَّلِ وَقْفَةٍ .
 وَأُمْسِكُ بِمِعْزَفِي
 وَالْمَسَ أَوْتَارَهُ فِي كَسَلِ
 إِلَى أَنْ أُجِدَّ - الْمَوْسِيقَى
 قَدْ قَلَّدَتِ الْإِبْقَاعَ الْمَجْنُونَ
 لِنَتِكَ الْعَاصِفَةِ
 دُونَ أَنْ أَفْطَنَ إِلَى ذَلِكَ
 وَأَرَى شَخْصَكَ يَتَخَلَّى فِي عَجَلَةٍ
 عَنِ الْعَمَلِ
 وَيَقِفُ عِنْدَ بَابِي
 ثُمَّ يَنْسَجِبُ بِحُطُوتٍ مُتَرَدِّدَةٍ

ثم يعود من جديد .
ثم يَظَلُّ، خَارِجَ الْبَابِ مَسْتِنِدًا إِلَى الْجِدَارِ
ثم يَدْخُلُ بِهُدُوءٍ إِلَى الْغُرْفَةِ وَيَجْلِسُ
وَبِرَأْسِ خَافِضٍ يَنْكَبُ فِي صَمْتٍ
عَلَى شُغْلِ الْإِبْرَةِ .
ثمَّ يَتَوَقَّفُ فَوْرًا عَنِ الْعَمَلِ
وَيَتَأَمَّلُ خَارِجَ النَّافِذَةِ
خِلَالَ الْمَطَرِ، صَفَا حَائِرًا
مِنَ الْأَشْجَارِ
هَذَا هُوَ كُلُّ مَا فِي الْأَمْرِ .
سَاعَةٌ مِنَ الظُّهَيْرَةِ الْمُمَطَّرَةِ
الْمُفْعَمَةِ بِالظَّلَالِ وَالْغِنَاءِ وَالصَّمْتِ .

التفتت إليّ
وتركت لي نظرة وداع سريعة
كانت تلك آخر هداياها إليّ
ولكن أين يمكنني حفظها
أيطفيء المساء وميض اللوعة هذه،
كما تطفأ آخر ومضة في نار الغروب؟
هل تغسلها الأمطار كما تغسل
اللاقوح المحفوظ كالكنز لدى الزهور
الممزقة القلب؟
دع للموت أمجاد الملوك وثروات
الأغنياء.
ألا يمكن للدموع أن تحتفظ بظراوة
الذكرى لنظرة يلقيها العاشق
في لحظة حب؟
يقول غنائي:

أعطينيها ولسوف أحفظها
لن تشغلني أمجاد الملوك
ولأثروات الغني
ولكن هذه الأشياء الصغيرة
هي ملكي إلى الأبد

6

كان علي أن أسافر
ولكنك كنت سائلة
غير أنني أحسنت
من رجفة بسيطة
أن ذراعيك الحنوتين
تهمان بقول (لا . . . لم يحن الوقت بعد)
لقد أصغيت كثيراً إلى يدك
يتحدثان إلي في توسل

مِن خِلَالِ تَجْمِيشَةٍ أَوْ مُلَاطَفَةٍ
وَهُمَا تَجْهَلَانِ مَا أُرِيدُ أَنْ أَفْضِي بِهِ إِلَيْكَ
وَشَعَرْتُ بِتَيْنِكَ الذَّرَاعَيْنِ تَرْتَجِفَانِ
حِينَ أَرَادَتَا أَنْ تُكُونَا إِكْلِيلًا حُلُومًا
يُطَوَّقُ عُنُقِي

إِنْ حَرَكَاتِهِمَا تَعُودُ إِلَى ذَاكَرْتِي
فِي عَزَلَةِ السَّاعَاتِ الصَّامِتَةِ
مِثْلَ الشَّيَاطِينِ الَّتِي تَكْشِفُ لِي فِي فَرَحٍ
أَشْيَاءَ أَخْفَيْتُهَا أَنْتِ عَنِّي

إِنْ أُغْنِيَاتِي كَالنَّحْلِ
تُتَابِعُ فِي الْجَوِّ أَثْرًا مُعْطَرًّا مِنْ آثَارِكِ
ذَكَرِي مِنْ ذِكْرِيَاتِكِ
لِتَطِينَنَّ حَوْلَ عَزْلَتِكَ

شَرِهَةً إِلَى كَثْرَتِهَا الْخَفِيِّ
وَحِينَ تَذُوبُ طَرَاوَةُ الْفَجْرِ

في دَفءِ الشَّمْسِ
وَحِينَ يَصِيرُ الهَوَاءُ ثَقِيلًا فِي الظُّهيرةِ
وَتُصْبِحُ الغَابَةُ سَاكِتَةً
فَإِنْ أُغْنِيَاتِي تَعُودُ إِلَى مَاوَاهَا
وَالأَجْنِحَةُ الوَاهِنَةُ قَدْ كُسيَّتْ
بِغُبَارِ ذَهَبِيٍّ

9

أَطْنُنِي سَاقِفَ مَذْهُولًا
إِذَا قُدِّرَ لِي أَنْ أَلْتَقِيَ بِهَا فِي حَيَاةِ أُخْرَى
وَحِينَ أَمْشِي عَلَى ضَوْءِ العَالَمِ المَاضِي
فَإِنِّي سَأَتَعَرَّفُ إِلَى تَيْنِكَ العَيْنَيْنِ
السَّمْرَاوَيْنِ مِثْلَ نُجُومِ الصَّبَاحِ
وَلَكِنِّي سَوْفَ أُحِسُّ أَنَّهُمَا تَنْتَمِيَانِ
إِلَى سَمَاءِ مَسَائِيَّةٍ مَنَسِيَّةٍ

تَعُودُ إِلَى حَيَاةٍ لَنَا سَابِقَةٍ
وَأَعْرِفُ أَنَّ سِحْرَ مُحَيَّاكَ
لَا يُخْصُكَ بِصِفَةِ تَامَّةٍ
وَلَكِنَّهُ سَرَقَ الْأَنْوَارَ الْمُتِمِّمَةَ
الَّتِي كَانَتْ تُومِضُ فِي عَيْنَيَّْ
عِنْدَ ذَلِكَ اللَّقَاءِ الضَّائِعِ فِي النَّسْيَانِ
وَجَمَعَ مِن حُبِّي الْقَدِيمِ
سِرًّا نَسِيَ الْآنَ أَصُولَهُ

10

ضَعِي عُوْدَكَ يَا حَبِيْبِي
وَأَطْلِقِي ذِرَاعَيْكَ لِمُعَانَقَتِي
وَدَعِي مُلَاظَفَتَكَ
تَحْمِيلَ قَلْبِي الْمُفْتَعَمِ إِلَى الْحَافَةِ الْعُلْيَا
مِن جَسَدِي

لا تُشِيحِي بِرَأْسِكَ
ولا تَنْزَعِي مُحِيَّاكَ
ولَـكِن قَدِّمِي إِلَيَّ قَبْلَةَ كَانَتْ مَكْتُومَةً
مِثْلَ العِطْرِ المُقَيَّدِ فِي البُرْعَمِ
مُنْذُ آمَادٍ طَوِيلَةٍ
لا تَخْفِي هَذِهِ اللَّحْظَةَ فِي كَلِمَاتٍ عَاتِيَةٍ
ولَـكِن دَعِي قَلْبِنَا يَرْتَجِفَانِ
فِي نَهْرٍ مِنَ الصَّمْتِ يَكْسَحُ كُلَّ الأَفْكَارِ
فِي طَرِيقِهِ إِلَى الفَرْحَةِ الَّتِي لا
حَدَّ لَهَا . .

11

لَقَدْ جَعَلْتَنِي عَظِيمًا بِحُبِّكَ
وَإِنْ كُنْتُ لَسْتُ سِوَى وَاحِدٍ
مِنَ الَّذِينَ يَجْرُفُهُمُ التِّيَّارُ .

لقد أعطيتني مقعداً
حيثُ يُقدَّمُ شعراءُ كلِّ العصورِ هباتهم
والعشاقُ من ذوي الأسماءِ الخالدةِ
يتبادلون التحياتِ عبرَ الأحقابِ .
كثيرٌ من الناسِ المستعجلين
يمرون قُرْبِي في السوقِ
دون أن يلاحظوا أن جسدي صارَ
شيئاً نميناً بالنسبةِ لملاطفتكِ
وأني أحملُ في داخليه قُبَلَتِكَ
كما تحمِلُ الشمسُ في فلَكِهَا
نارَ المِلاطفَةِ المقدَّسةِ
وتتألقُ بِهَا إلى الأبدِ

12

قلبي اليومَ

كالطفل الذي يَغْتَمُ ويرْفُضُ الْعَابَةَ
وهو يَهْزُ رَأْسَهُ رَافِضاً كُلَّ عِبَارَةٍ
أَقْتَرِحُهَا عَلَيْهِ

(لَا . . . لَيْسَتْ هَذِهِ مَا أُرِيدُ)

ومع ذلك، فَإِنَّ الْكَلِمَاتِ فِي وَجَعٍ
عُمُوضِيهَا تَعُودُ إِلَى فِكْرِي مِثْلَ الْغُيُومِ
الرَّاحِلَةِ، الْمُعَلَّقَةِ فَوْقَ الْهَضَابِ
وهي تَتَنَطَّرُ أَنْ تَهْبَّ عَلَيْهَا رِيحٌ عَابِرَةٌ
تُحَرِّرُهَا مِنْ أَمْطَارِهَا

وَلَكِنْ دَعِي هَذِهِ الْمُحَاوَلَاتِ الْعَابِئَةَ
يَا نَفْسِي دَعِي هَذِهِ الْمُحَاوَلَاتِ الْعَابِئَةَ
يَا نَفْسِي لِأَنَّ الصَّمْتَ سَوْفَ يُنْضِجُ
مُوسِيقَاهُ فِي الظُّلَامِ .

حَيَاتِي الْيَوْمَ مِثْلَ الدَّيْرِ

أثناء إحدى التوبات
حيث يخشى الربيع نفسه
أن يطوف به أو يهمس إليه
ليس هذا هو الوقت الملائم لك
يا حبيبتى
لكي تجتازي البوابة
فبمجرد الفكرة في رنين خلاخيلك،
عبر الطريق ستصرخُ خجلاً
أصدقاء الحديقة
فلتعلمي أن أغاني الغد
ما تزال اليوم في براعمها
فإذا رأتك تخطرين قريباً منها
فإنها سوف تُجهدُ نفسها
حتى تُمزق قلوبها التي لم تفتح بعد.

مِن أَيْنَ هَذَا الِهْمُ . . يَا حَبِيبَتِي؟
 دَعِيَ قَلْبِي يَلْمَسُ قَلْبَكَ
 وَأَطْرُدِي بِقُبْلَةِ أَلَمِ صَمْتِكَ .
 لَقَدْ أَخْرَجَ اللَّيْلُ مِنْ أَعْمَاقِهِ
 هَذِهِ السَّاعَةَ الْخَاطِفَةَ
 حَتَّى يَتِمَكَّنَ الْحُبُّ أَنْ يُشَيِّدَ كَوْنَهُ الْجَدِيدَ
 دَاخِلَ هَذِهِ الْأَبْوَابِ الْمُقْفَلَةِ
 وَأَنْ يُضَاءَ فَقَطْ بِهَذَا النُّورِ الْمُسْتَوْجِدِ
 أَمَّا الْمَوْسِيقَى ، فَلَدَيْنَا هَذِهِ الزَّمَارَةَ
 الَّتِي تَتَبَادَلُ شِفَاهُنَا الْعَرْفَ عَلَيْهَا
 بِالتَّنَاوُبِ
 وَلِلتَّنْوِيحِ لَدَيْنَا هَذَا الْإِكْلِيلُ الْوَحِيدُ
 تُطَوِّقِينَ بِهِ شِعْرِي ، بَعْدَ أَنْ تَكُونِي

قَدْ وَضَعْتِهِ فَوْقَ جَيْبِكَ .
وَأَمَزَّقُ حِجَابَ صَدْرِي
لَأَجْعَلَ مِنْهُ فِرَاشَنَا فَوْقَ الْأَرْضِ .
وَقُبْلَةً وَاحِدَةً
وَعَفْوَةً وَاحِدَةً مِنْ غَفَوَاتِ اللَّذَّةِ
سَتْمَلَأَ عَالَمَنَا الصَّغِيرَ اللَّامِحْدُودَ

15

لَقَدْ لَبِسْتُ الْيَوْمَ ثَوْبِي الْجَدِيدَ
حَتَّى يَشْعُرَ جَسَدِي بِالسَّعَادَةِ
لَا يَكْفِي أَنْ أَكُونَ قَدْ وَهَبْتُ نَفْسِي
لِحَبِيبِي إِلَى الْأَبَدِ
وَلَكِنْ عَلَيَّ أَنْ أَتَخَيَّلَ كُلَّ يَوْمٍ هَدَايَا
جَدِيدَةً .
أَلَا يَبْدُو هَدِيَّةً جَدِيدَةً إِرْتِدَاءً

تُوبٍ جَدِيدٍ؟

إِنَّ قَلْبِي كَسَمَاءِ الْمَسَاءِ

لَهُ عِشْقٌ غَيْرٌ مَحْدُودٍ لِلْأَلْوَانِ

وَلِذَلِكَ فَإِنِّي أُغَيِّرُ خُمُرِي

فَيَكُونُ لَهَا حِينًا لَوْنُ الْعُشْبِ النَّضِيرِ .

وَأَحْيَانًا لَوْنُ الْأُرْزِ الْخَرِيفِيِّ

وَالْيَوْمَ فَإِنَّ تُوْبِي مَصْبُوغٌ بِالْأَزْرَقِ

لَوْنُ السَّمَاءِ الْمُطْرَزَّةِ حَوَافِيهَا بِالْمَطَرِ .

إِنَّهُ يُعْطِي لِحَسَدِي لَوْنَ اللَّامْحُدُودِ

وَهِضَابِ مَا وَرَاءَ الْبِحَارِ

وَفِي ثَنَائِهِ يَحْمِلُ فَرَحَ الْغُيُومِ .

الصَّيْفِيَّةِ الَّتِي تَطِيرُ مَعَ الرِّيحِ .

واللَّهْبُ الْمُتَضَرِّمُ يَرْتَجِفُ فِي الْمَصْبَاحِ .

وَقَدْ نَسِيتُ أَنْ أَلَا حِظَّ

أَنْ إِحْدَى صَبَايَا الْقَرْيَةِ

وَلِلْمَرَّةِ الْأَخِيرَةِ فِي ذَلِكَ النَّهَارِ

قَدْ مَلَأْتُ جِرَّتَهَا مِنَ النَّهْرِ

ثُمَّ أَغْلَقْتُ بَابَ كُوخِهَا

إِنِّي أَتَحَدَّثُ إِلَيْكَ يَا حَبِيبَتِي

وَلَا أَكَادُ أَعِي صَوْتِي إِلَّا وَعِيًّا خَفِيفًا

قَوْلِي . . . هَلْ لِهَذَا الصَّوْتِ مَعْنَى ؟

أَيَحْمِلُ إِلَيْكَ بَعْضَ الرَّسَائِلِ الْآتِيَةِ

مِنْ وَرَاءِ حُدُودِ الْحَيَاةِ ؟

وَمُنْذُ تَوَقَّفَ صَوْتِي

أُحِسُّ اللَّيْلَ يَنْبِضُ بِالْأَفْكَارِ

الَّتِي تُحَدِّقُ بِدَهْشَةٍ

فِي هَاوِيَةِ صَمَّتِهَا

لَقَدْ أَعْطَيْتُكَ كُلَّ مَا أَمْلِكُ

وَاحْتَفَظْتُ فَقَطُّ

بِذَلِكَ الْحَدِّ الْأَدْنَى مِنْ حِجَابِ التَّحْفُظِ

وَهُوَ مِنَ الرَّهَافَةِ بِحَيْثُ كَانَ يَدْفَعُكَ

إِلَى الْإِبْتِسَامِ مِنْهُ فِي خَفَاءِ

وَيَدْفَعُنِي إِلَى الْخَجَلِ وَالْحَيَاءِ .

إِنْ نَسِيمَ الرَّبِيعِ يُبَدِّدُهُ

عَلَى غَيْرِ قَصْدِ .

وَخَفَقَانَ قَلْبِي يُحَرِّكُهُ

كَمَا تُحَرِّكُ الْأَمْوَاجَ رَعْوَةَ الْبَحْرِ .

يَا حَبِيبِي

لَا تَتَأَلَّمِي إِذَا احْتَفَظْتُ حَوَالِيَّ

بِهَذَا الضَّبَابِ الرَّهِيْفِ مِنَ الْبُعْدِ ،

فَهَذَا التَّحْفُظُ الهَشُّ
لَيْسَ هُوَ انْطَوَاءً عَنِ الْمَرَأَةِ فَقَطُّ
وَلَكِنَّهُ سَاقٌ رَفِيعَةٌ تَنْحَنِي مِنْ فَوْقِهَا
زَهْرَةٌ اسْتِسْلَامِي ، لِتُطِلَّ عَلَيْكَ
بِلُطْفٍ كَثُومٍ .

16

ظَنَنْتُ
أَنْنِي كَتَبْتُ كَلِمَاتِ الْحُبِّ
بِأَلْوَانِهَا نَفْسِيهَا
وَلَكِنَّ الْحُبَّ كَانَ يَسْتَلْقِي فِي أَعْوَارِ الْقَلْبِ
وَالدُّمُوعُ شَاحِبَةٌ
أَنْتِ وَحَدِّكَ سَتَفَهَمِينَ
مَا إِذَا كَانَتْ الْكَلِمَاتُ خَالِيَةً مِنَ الْأَلْوَانِ .
وَفَكَّرْتُ فِي أَنْ أَعْطِيَ كَلِمَاتِ الْحُبِّ

بِأَلْحَانِهَا نَفْسَهَا
وَلَكِنْ هَذِهِ الْأَلْحَانُ كَانَتْ تَتَرَدَّدُ
فِي قَلْبِي وَحْدَهُ
وَعَيْنَايَ صَامِتَاتٍ
هَلْ سَتَفْهَمِينَهَا يَا صَدِيقَتِي
إِذَا خَلَّتْ مِنَ الْأَلْحَانِ الْمُصَاحِبَةِ؟

17

جَاءَتْ نِي الْأُغْنِيَةَ عِنْدَ اللَّيْلِ
وَلَكِنَّكَ لَمْ تَكُونِي مَوْجُودَةً
لَقَدْ وَجَدْتُ الْكَلِمَاتِ الَّتِي بَحَثْتُ عَنْهَا
طَوَالَ النَّهَارِ
وَفِي السُّكُونِ، وَبَعْدَ لَحْظَةٍ مِنَ الظُّلْمَةِ
خَفَقَتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ بِالْمُوسِيقَى
وَبِالذَّاتِ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي بَدَأَتْ فِيهِ

النُّجُومُ تَبْضُ بِالنُّورِ
وَلَكِنَّكَ لَمْ تَكُونِي مَوْجُودَةً
وَكُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَغْنِيَهَا لَكَ عِنْدَ الصَّبَاحِ
وَرَعْمَ مُحَاوَلَاتِي الْمُسْتَمِرَّةَ
وَرَعْمَ مَوَاتَاةِ الْأَنْغَامِ الْمَوْسِيقِيَّةِ
فَإِنَّ الْكَلِمَاتَ ظَلَّتْ بَعِيدَةً عَنِّي
حِينَ كُنْتُ إِلَى جَانِبِي

19

حِينَ التَّقِينَا أَوْلَ مَرَّةً
نَحْنُ الْاِثْنَيْنِ
أَنْشَرَحَ قَلْبِي وَعَنِّي فِي انْبِسَاطٍ
(تِلْكَ الَّتِي كَانَتْ دَوْمًا بَعِيدَةً عَنكَ
تَقِفِ الْآنَ إِلَى جَوَارِكِ إِلَى الْأَبَدِ)
وَالْآنَ، خَفَّتْ تِلْكَ الْمَوْسِيقَى

لَأَنِّي انْتَهَيْتُ إِلَى الْاِعْتِقَادِ أَن حَبِيبَتِي

قَرِيبَةٌ مِنِّي

وَنَسِيتُ أَنَّهَا حَتَّى عِنْدَمَا كَانَتْ بَعِيدَةً

بَعِيدَةً جِدًّا

كَانَتْ الْمَوْسِيقَى تَمْلَأُ الْفَرَاغَ الْهَائِلَ

بَيْنَ رُوحَيْنِ

لَقَدْ خَفَّفَ مِنْهَا حِجَابُ الْعَادَاتِ الْمَأْلُوفَةِ .

وَفِي لِيَالِي الصَّيْفِ الْخَجَلَى

وَحِينَ كَانَ نَسِيمُ الصَّمْتِ

يَسْحَبُ غَمْغَمَةً رَحِيْبَةً

فِيَانِي أَنَهَضُ لِلجُلُوسِ فِي فِرَاشِي

وَأَشْكُرُ الْخَسَارَةَ الْكَبِيرَةَ

خَسَارَتِي بِفَقْدَانِ هَذِهِ الَّتِي تَقُومُ

إِلَى جَانِبِي

وَأَسْأَلُ

مَتَى أَحْظِي مِنْ جَدِيدِ بَيْتِكَ

الْفُرْصَةَ لِأَهْمَسَ إِلَيْهَا بِالْكَلِمَاتِ

الَّتِي تَحْمِلُ فِي أَعْمَاقِهَا إِيقَاعَ الْخُلُودِ؟

اسْتَيْقِظْ يَا نَشِيدِي مِنَ الْخُمُولِ

وَمَزُقْ سِتَارَ الْعَادِيِّ وَالْمَأْلُوفِ

وَحَلِّقْ مِنْ هُنَاكَ

مِنْ عِنْدِ حَبِيبَتِي

بِرَوْعَةِ الْمَفَاجِأَةِ الْعَظِيمَةِ

لِلْقَائِنَا الْأَوَّلِ.

22

لَقَدْ رَحَلْتُ

جِبِينَ أَوْشَكَ اللَّيْلُ عَلَى الرَّحِيلِ

وَحَاوَلَ فِكْرِي أَنْ يُعْزِيَنِي

قَائِلًا: كُلُّ شَيْءٍ بَاطِلٌ
فَأَخَفَنِي ذَلِكَ، وَقُلْتُ لَهُ
هَذِهِ الرُّسَالَةُ الْمُعَلَّقَةُ، وَقَدْ كُتِبَ
اسْمُهَا فَوْقَهَا. وَهَذِهِ المِرْوَحَةُ
المَصْنُوعَةُ مِنْ سَعَفِ النُّخِيلِ
المَزَيَّنَةُ حَوَافِئِهَا بِالحَرِيرِ الأَحْمَرِ
مِنْ صُنْعِ يَدَيْهَا. . أَلَيْسَتْ أَشْيَاءَ
حَقِيقَةً؟

وَمَضَى اليَوْمَ وَجَاءَ صَدِيقِي
قَائِلًا: كُلُّ مَا هُوَ طَيِّبٌ وَحَقِيقِي
لَنْ يَضِيعَ سُدَى
فَأَجَبْتُهُ فِي صَبْرٍ نَافِدٍ.
وَكَيْفَ عَرَفْتَ ذَلِكَ؟
أَلَمْ يَكُنْ طَيِّبًا هَذَا الجَسَدُ
الَّذِي ضَاعَ الآنَ مِنَ الحَيَاةِ؟

كُنْتُ كَالطُّفْلِ الْغَاضِبِ الَّذِي يَضْرِبُ
أُمَّهُ، أَحَاوِلُ أَنْ أَدْمُرَ كُلَّ مَلَأِ

فِي أَعْمَاقِي

وَفِيمَا حَوَالِي . وَصَرَخْتُ :

إِنْ هَذَا الْكَوْنُ غَادِرٌ

وَفَجْأَةً سَمِعْتُ صَوْتًا يَهْتِفُ :

أَيُّهَا الْجَاحِدُ !

وَتَأَمَّلْتُ الْمَشْهَدَ خَارِجَ النَّافِذَةِ

وَمِنَ اللَّيْلِ الْمُرْصِعِ بِالنُّجُومِ .

بَدَأَ أَنَّهُ يَهْبِطُ عَلَيَّ لَوْحًا :

اسْكُبْ فِي فَرَاغِ غَيْبِي

إِيمَانِكَ فِي حَقِيقَةِ أَنِّي جِئْتُ

والجوُّ كان مُكْفَهراً بِسَبَبِ الرُّمالِ التي تَحْمِلُها الرِّياحُ .
وفي صَباحِ مِنَ القَلقِ الغامِضِ
حينَ تَصنُتُ الطُّيورُ
وتَرْتَجِفُ أوْكارُها بِعَصْفِ الرِّياحِ
كُنْتُ أَجِلسُ وَحيداً وَأَتَساءَلُ
أينَ هيَ ؟

لَقَدْ مَضَتِ الأيَّامُ التي كُنَّا نَجِلسُ فِيها
مَعاً مُتَجاورينَ مُتقارِبينَ
نَضْحَكُ وَنَسخَرُ
والرَّهبةُ مِنَ جلالِ الحُبِّ لَمْ تَكُنْ تَجِدُ
كَلِماتِ نُفْضي بِها في هَذِهِ اللِّقاءاتِ .
وَكُنْتُ افْتَعِلُ طيشَ الصِّغَرِ
وَكانتِ هيَ في كُلِّ لَحْظَةٍ
تَجوِّدُ بالأحاديثِ التي لا مَعنى لَها
واليوْمُ، أَرعَبُ عَبَثاً

لَوْ كَانَتْ هِيَ بِجَانِبِي
فِي ظِلَامِ الْعَاصِفَةِ الْقَادِمَةِ
لِكَيْ نَجْلِسَ مَعًا فِي عَزَلَةِ الرُّوحِ
وَوَحْدَتَيْهَا.

24

إِنَّ الْأِسْمَ الَّذِي كَانَتْ تَدْعُونِي بِهِ
كَالْيَاسَمِينِ الْمُزْهِرِ
كَانَ يُغَطِّي سَبْعَةَ عَشَرَ عَامًا
مِنْ حُبِّنَا
وَفِي صَوْتِهِ، كَانَ يَمْتَرِجُ
ارْتِجَافُ الثُّورِ بَيْنَ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ
وَرَائِحَةُ الْعُشْبِ فِي لَيَالِي الْمَطَرِ
وَالصَّمْتُ الْحَزِينُ لِلْسَّاعَةِ الْأَخِيرَةِ
مِنْ بَعْضِ الْأَيَّامِ الْكَثِيرَةِ الْحَامِلَةِ.

إِن مَّا يُطَابِقُ هَذَا الْاسْمَ
لَمْ يَكُنْ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ وَحْدَهُ .
وَلَكِنَّهَا أَعَادَتْ خَلْقَهُ مِنْ جَدِيدٍ لِنَفْسِهَا
فِي تِلْكَ الْأَعْوَامِ السَّبْعَةِ عَشَرَ الْعَدْبَةَ
وَكَانَ عَلَى أَعْوَامٍ أُخْرَى أَنْ تَتَلَحَّقَ
وَلَكِنْ أَيَّامَهَا النَّائِيهَةَ
لَمْ تَعُدْ تَتَجَمَّعُ وَتَتَوَحَّدُ فِي حِضْنِ ذَلِكَ الْاسْمِ .
فَمَا تَكَادُ تُنْطِقُ بِهِ حَتَّى تَتَلَأْسَى وَتَتَبَدَّدُ
وَهِيَ تَسْأَلُنِي (مَنْ الَّذِي سَيُعِيدُ تَوْحِيدَنَا)
فَلَا أَجِدُ رَدًّا وَأَجْلِسُ فِي صَمْتٍ
فَتَشْرُدُ وَتَتَلَأْسَى وَتَضْرخُ فِيَّ :
إِنَّنَا نُبْحَثُ عَنْ رَاعِيَةٍ صَغِيرَةٍ
وَلَكِنْ مِنَ الَّذِي سَيُبْحَثُ عَنْهَا؟
إِنَّهَا لَا تُعْرَفُ . إِنَّهَا كَالْغُيُومِ الْمَهْجُورَةِ
الْمَسَائِيَةِ الَّتِي تَتَّجِهُ نَحْوَ مُنْحَدَرَاتِ

الظلمة الخالية من الدُروب
وهناك تُفقد وتُنسى .

25

أشعرُ أن أيام حُبكِ القصيرة
لم تتركها وراءنا
في تلك الأعوام القليلة
من حياتنا المشتركة .
وإنني لأبحثُ في أيِّ مكانٍ بعيدٍ
عن الترابِ الذي يسرقُ ببطءٍ
احتفظت بها
وفي وُحْدَتِي
أجدُ بعضَ الأغنياتِ مِنَ الأُمسيةِ
التي وأفالكِ الموتُ فيها
ولكنها تركتُ صدَى خالداً

وَزَفَرَاتِ سَاعَاتِكَ غَيْرِ الرَّاضِيَةِ
أَجِدُهَا مُنْطَوِيَةً عَلَى نَفْسِهَا فِي الظَّهِيرَةِ الخَرِيفِيَّةِ
الْهَادِئَةِ
تَأْنِي رَغَبَاتِكَ
مِنْ خَلِيَّةِ المَاضِيِ
لِتُعَذِّبَ قَلْبِي
وَأَنَا أَجْلِسُ فِي صَمْتٍ
لَأُصْغِيَ إِلَى حَفِيفِ أَجْنِحَتِهَا

27

كُنْتُ أَمْشِي عَلَى طَرِيقٍ مُغَطَّاةٍ بِالعُشْبِ
حِينَ سَمِعْتُ فَجْأَةً صَوْتًا يَتَرَدَّدُ خَلْفَ ظَهْرِي
(انظُر . . هَلْ تَعْرِفْنِي)
فَالْتَفَتُ، وَتَأَمَّلْتُهُ، وَقُلْتُ لَهُ:
(لَا أَسْتَطِيعُ تَذَكُّرَ اسْمِكَ)

فَقَالَتْ :

(أَنَا أَوَّلُ أَلَمٍ عَظِيمٍ التَّقِيَّتِ

بِهِ فِي شَبَابِكَ)

عَيْنَاهَا تَبْدُوَانِ صَبَاحًا مَا تَزَالُ

أَجْوَاؤُهُ مُوشِحَةً بِالضَّبَابِ .

وَلَبِثْتُ بُرْهَةً صَامِتًا ثُمَّ قُلْتُ :

لَقَدْ فَقَدْتُ كُلَّ حِمْلِكَ الْعَظِيمِ مِنَ الدُّمُوعِ .

فَضَحِكْتَ وَلَمْ تَقُلْ شَيْئًا

وَفَهِمْتُ أَنَّ دُمُوعَهَا قَدْ تَهَيَّأَتْ لَهَا

الزَّمْنَ لِتَتَعَلَّمَ لُغَةَ الْإِبْتِسَامِ

وَعَمَّغَمَتْ قَائِلَةً :

فِي إِحْدَى الْمَرَّاتِ كُنْتُ تَقُولُ إِنَّ أَلَمَكَ

سَيَكُونُ عَزِيزًا عَلَيْكَ دَوْمًا

فَخَجَلْتُ وَقُلْتُ :

لَقَدْ مَضَتْ أَعْوَامٌ ، وَنَسِيْتُ

ثُمَّ أَخَذَتْ يَدَهَا فِي يَدِي وَقُلْتُ:
لَقَدْ تَغَيَّرَتْ
فَقَالَتْ:

مَا كَانَ أَلَمًا ذَاتَ يَوْمٍ
صَارَ الْآنَ سَلَامًا وَطُمَأْنِينَةً

(28)

حَيَاتُنَا كَانَتْ تَمُخَّرُ بَحْرًا
لَمْ يُعْبَرْ مِنْ قَبْلُ .
أَمْوَاجُهُ مُتَلَاخِقَةٌ
تَتَابَعُ فِيهِ الْمَوْجَةُ أَخْتَهَا
فِي لُغْبَةٍ اسْتِخْفَاءٍ خَالِدَةٍ .
إِنَّهُ الْبَحْرُ الَّذِي يُهَيِّجُهُ التَّغْيِيرُ
وَيَرَعَى قُطْعَانَهُ الْمُرْبَدَةَ
وَيُضْيِعُهَا أَلْفَ مَرَّةٍ

وَيُصَفِّقُ يَدَيْهِ بِلا انْقِطَاعِ
ضِيءُ هُدُوءِ السَّمَاءِ
وَفِي وَسَطِ هَذِهِ الرَّقْصَةِ الدَّوَامَةِ
مِنْ حَرْبِ النُّورِ وَالظُّلَامِ
فَأَنْتِ يَا حَبِيبَتِي
الْجَزِيرَةُ الْخَضْرَاءُ
حَيْثُ الشَّمْسُ تُقْبَلُ الظِّلُّ الْمُنْحَسِرُ
وَالصَّمْتُ يُغَازِلُ بِتَغْرِيدِ الطُّيُورِ

30

كَانَ الْفَنَانُ يَبِيعُ لُوحَاتِهِ فِي الْمَعْرِضِ
فَمَرَّ بِهِ، هُنَاكَ، ابْنُ الْوَزِيرِ
فِي مَوْكَبٍ مِنْ أَتْبَاعِهِ وَخَدَمِهِ
وَكَانَ وَالِدُهُ قَدْ خَدَعَ وَالِدَ الرَّسَامِ
فِي شَبَابِهِ فَقَتَلَهُ يَا سَاءَ وَكَمْدًا

وَتَمَهَّلَ الشَّابُّ أَمَامَ اللُّوحَاتِ، ثُمَّ اخْتَارَ
 وَاحِدَةً، وَلَكِنَّ الْفَنَانَ غَطَّى اللُّوحَةَ
 بِعِطَاءٍ، رَافِضاً بَيْعَهَا، وَحَطَّمَتْهُ
 الرُّعْبَةُ فِي هَذِهِ اللُّوحَةِ فَمَرَضَ
 وَاضْطَرَّ وَالذُّهُ لِلذَّهَابِ إِلَى الرَّسَامِ
 وَقَدَّمَ إِلَيْهِ مَبْلَغًا كَبِيرًا مِنَ الْمَالِ
 وَلَكِنَّ الْفَنَانَ رَفَضَ بَيْعَ اللُّوحَةِ
 وَاحْتَفَظَ بِهَا مُعَلَّقَةً عَلَى جُدْرَانِ مِرْسِيهِ
 وَكَانَ يَقُولُ لِنَفْسِهِ وَهُوَ جَالِسٌ
 أَمَامَهَا: هَذَا هُوَ انْتِقَامِي
 وَكَانَ الشُّكْلُ الْوَحِيدُ لِلْعِبَادَةِ الَّتِي يُمَارِسُهَا
 الرَّسَامُ هُوَ أَنْ يَرَسُمَ كُلَّ يَوْمٍ صُورَةً
 لِمَعْبُودِهِ
 وَلَكِنَّهُ اِكْتَشَفَ أَنَّ هَذِهِ الرُّسُومَ
 تَتَّخِذُ كُلَّ يَوْمٍ شَكْلًا مُخْتَلِفًا

عَنْ تِلْكَ الَّتِي اعْتَادَ أَنْ يَرَسُمَهَا
وَقَدْ أَقْلَقَهُ هَذَا الْوَاقِعُ ، وَحَاوَلَ
عَبَثًا أَنْ يَجِدَ لَهُ تَفْسِيرًا
حَتَّى انْتَفَضَ أَحَدَ الْأَيَّامِ مِنْ عَمَلِهِ
وَاکْتَشَفَ أَنْ عَيْنِي اللَّهُ اللَّتَيْنِ
رَسَمَهُمَا كَانَتَا عَيْنِي الْوَزِيرِ، وَكَذَلِكَ
الشُّفْتَيْنِ .

فَقَطَعَ الرَّسْمَ تَقْطِيعًا وَصَرَخَ
إِنْ انتِقَامِي قَدْ عَادَ عَلَيَّ رَأْسِي

31

حِينَ وَصَلَ الْقَائِدَ إِلَى مَحْضَرِ الْمَلِكِ
الْغَاضِبِ السَّاكِتِ
حَيَّاهُ قَائِلًا:
لَقَدْ عُوِثَتِ الْقَرْيَةُ

وَأُلْقِيَ الرَّجَالَ فَوْقَ التُّرَابِ
أَمَّا النِّسَاءُ فَقَدْ انْكَمَشْنَ فِي بُيُوتِهِنَّ
وَأَطْفَانُ الْأَنْوَارِ
وَهُنَّ يَخْفَنَ مُجَرَّدُ الشُّكُورَى بِصَوْتِ عَالٍ
فَنَهَضَ الْكَاهِنُ الْأَكْبَرُ وَاقْفًا
وَبَارَكَ الْمَلِكُ ، مُعَلِنًا
أَنْ بَرَكَتِ اللَّهُ سَتَكُونُ دَوْمًا مَعَكَ
وَلَكِنَّ الْمَهْرَجَ مَا كَادَ يَسْمَعُ هَذِهِ
الْكَلِمَاتِ حَتَّى انْفَجَرَ فِي ضِحْكَةٍ
عَالِيَةٍ مُدَوِيَّةٍ جَعَلَتْ رِحَالَ الْبَلَاطِ
الْمَلِكِيِّ كَلَّةً يَنْهَضُونَ مِنْ مَكَانِهِمْ
وَتَقَطَّبَ جَبِينُ الْمَلِكِ
فَبَادَرَ الْوَزِيرَ إِلَى الْقَوْلِ
إِنَّ شَرَفَ الْعَرْشِ مُسْتَنْدٌ إِلَى شَجَاعَةِ
الْمَلِكِ وَبَرَكَتِ اللَّهُ الْقَادِرُ

فَضَحِكَ الْمُهْرَجُ ضِحْكَةً أَقْوَى مِنْ الْأُولَى

فَصَرَخَ الْمَلِكُ

هَذَا ضَحِكَ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ

فَقَالَ الْمُهْرَجُ

إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَفَاضَ عَلَيْكَ مِنْ بَرَكَاتِهِ

أَمَّا الْهَيْبَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي مَنَحَهَا لِي

فَهِيَ مَوْهَبَةٌ لِإِجَادَةِ الضَّحِكِ

قَالَ الْمَلِكُ شَاهِرًا سَيْفَهُ

إِنَّ هَذِهِ الْمَوْهَبَةَ سَتُكَلِّفُكَ

حَيَاتَكَ

وَلَكِنَّ الْمُهْرَجَ نَهَضَ

وَوَظَلَ يَضْحَكُ وَاقْفًا

حَتَّى تَوَقَّفَ ضَحِكُهُ إِلَى الْأَبَدِ

وَخَيَّمَ ظِلًّا مِنَ الرَّعْبِ عَلَى الْبِلَاطِ

إِذْ سَمِعُوا جَمِيعًا صَدَى تِلْكَ

الضِحْكَهٖ يَتَرَدَّدُ فِي صَمْتِ
اللَّهِ الْعَمِيقِ .

33

بِوَحْشِيَّةٍ

كَانُوا يَقَطُّعُونَ السِّسَاطَ الَّذِي تُسَبِّحُ
عَبْرَ أَحْقَابٍ مِنَ الصَّلَاةِ وَالِدُّعَاءِ
لِيُرْحَبُوا بِأَعْظَمِ آمَالِ الْعَالَمِ .

وَاسْتِعْدَادَاتِ الْحُبِّ الْعَظِيمَةِ

كَانَتْ مُرْتَمِيَةً فِي كَوْمَةٍ مِنَ الْأَسْمَالِ الْبَالِيَةِ

وَلَا شَيْءَ فَوْقَ الْهَيْكَلِ الْمُتَدَاعِي

يُذَكِّرُ الْجَمَاهِيرَ الْمَجْنُونَةَ

بِأَنَّ إِلَهَهَا قَدْ جَاءَ .

وَفِي غَضَبَةٍ تَدْمِيرِيَّةٍ

بَدَّوْا وَكَانَتْهُمْ أَحَالُوا مُسْتَقْبَلَهُمْ إِلَى رَمَادٍ

وَمَعَهُ أَيْضًا مَوْسِمَ أَزْهَارِهِمْ
وَمِنَ الْجَوِّ كَانَ يَتَرَدَّدُ حَادًّا قَاسِيًا
الصُّرَاخُ :

إِنَّ الْوَحْشَ يَنْتَصِرُ
وَكَانَ لِلْأَطْفَالِ مَظْهَرُ الشُّيُوخِ الضَّامِرِينَ
وَيَتَبَادَلُونَ الْهَمْسَ
بِأَنَّ الزَّمَانَ يَدُورُ وَلَكِنَّهُ لَا يَتَقَدَّمُ أَبَدًا
وَأَنْتَا تُؤَخِّدُ لِلْعَدُوِّ

وَلَكِنْ لَيْسَ لَنَا شَيْءٌ نَصِيلُ إِلَيْهِ
وَأَنَّ الْخَلْقَ كَالْأَعْمَى يَتَقَدَّمُ الرُّكْبَ مُتَرَنَّحًا
قَائِلًا لِي (تَوَقَّفْ عَنِ الْغِنَاءِ

إِنَّ الْغِنَاءَ لِمَنْ يَأْتِي، أَمَّا الصُّرَاعُ الَّذِي
لَا حَدَّ لَهُ فَلِلْأَشْيَاءِ الَّتِي وُجِدَتْ فِعْلًا)
إِنَّ الطَّرِيقَ تَنْبَسِطُ دَوْمًا
وَقَدْ وَضَعَ أَحَدُهُمْ أُذُنَهُ فَوْقَ الْأَرْضِ

يَسْمَعُ صَدَى الْخُطُوبَاتِ
لَا يَجْمَعُ أَيَّ إِشَارَةٍ تَدُلُّ عَلَى

الضَيْفِ الْقَادِمِ

لَا شَيْءٌ يَأْتِي مِنْ بَيْتِهِ الْوَاقِعِ فِي الْأَقَاصِي
وَقَالَ عُوْدِي :

لِتُدْسِنِي فَوْقَ الْأَرْضِ

وَتَأْمَلْتُ الثَّرَابَ عَلَى حَافَةِ الطَّرِيقِ .

كَانَتْ هُنَاكَ زَهْرَةٌ بَيْنَ الْخَرَائِبِ

فَصَرَخْتُ (إِنْ أَمَلَ الْعَالَمَ لَمْ يَمُتْ)

وَمَالَتِ السَّمَاءَ عَلَى الْأُفُقِ

تَهْمَسُ لِلْأَرْضِ

وَصَمْتُ مَلِيءٌ بِالْإِنْتِظَارِ وَالتَّوَقُّعِ أَفْعَمَ الْجَوَّ

وَرَأَيْتُ أَوْرَاقَ النَّخِيلِ

تُصَفِّقُ عَلَى إِيقَاعِ مُوسِيقِي غَيْرِ مَسْمُوعَةٍ

وَالْقَمَرَ يَتَبَادَلُ نَظْرَةً مَعَ الصَّمْتِ الْمُتَأَلِّقِ

فَوْقَ الْبُحَيْرَةِ
وَقَالَتْ لِي الطَّرِيقَ (لَا تَخَفْ)
وَقَالَ لِي عُوْدِي (أَعْرِنِي أُغْنِيَانِكَ)

1

تَعَالَ أَيُّهَا الرِّبِيعُ
يَا عَشِيقَ الْأَرْضِ الْمَتَهَوَّرِ
اجْعَلْ قَلْبَ الْغَابِ
يَتَشَوَّقُ لِلتَّعْبِيرِ عَنْ نَفْسِهِ
تَعَالَ مَعَ هَبَّاتِ الرِّيحِ الْفَلِقَةِ
حَيْثُ تَزْهَرُ الْبَرَاعِمُ فَجَاءَتْ
وَفُتِحَ أَوْرَاقًا جَدِيدَةً
وَانْفَجَرَ كَثُورَةً مِنَ النُّورِ
عَبَّرَ سَهْرَ اللَّيْلِ
عَبَّرَ ظِلَامَ الْبُحَيْرَةِ

وَعَبَّرَ السُّجُونِ الْقَابِعَةَ تَحْتَ التُّرَابِ
وَلتُعْلِنُ حُرِّيَّةَ البُدُورِ المَشْدُودَةَ لِلقِيُودِ

ومِثْلَ ضَحْكَةِ البَرَقِ

ومِثْلَ صرْخَةِ الغَابِ

لِتَنْدَفِعَ بِعُنْفٍ فِي المَدِينَةِ الحَافِلَةِ بالضُّجُجِ

وحرَّرَ الكَلِمَاتِ المَخْتُومَةَ

وَلتُعْطِ حَيَوِيَّةً لِمَعْرَكَتِنَا الخَامِلَةَ

وَلتُظْفِرَ بِالمَوْتِ .

2

لقد رَأَيْتُ هَذَا المَشْهَدَ الرِّيفِيَّ

فِي عِدَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ مَارِسَ

جِينِ يُزْهِرُ .

وهَذَا الخَطُّ الكَسُولُ مِنَ المَاءِ

وَلَوْنُ الرَّمَالِ الرَّمَادِي الَّذِي يَتَعَالَى

عَنْ بُعْدِ

وَالدَّرْبِ الْمُتَعَزِّلِ الْقَائِمِ عَلَى طُولِ ضَيْفَةِ النَّهْرِ

الَّذِي يَحْمِلُ زَمَالََةَ الْحُقُولِ

إِلَى قَلْبِ الْقَرْيَةِ .

وَحَاوَلْتُ أَنْ أَضَعَ فِي الشُّعْرِ

صَفِيرَ الرِّيَّاحِ الْكَسُولِ فِي زُورَقٍ عَابِرٍ

وِخْفَقَاتِ الْمَجْدَافِ

وَذَهَيْتُ مِنْ بَسَاطَةِ مَا يَقَعُ أَمَامِي .

فِي هَذَا الْكَوْنِ الْعَظِيمِ .

بِأَيَّةِ سُهُولَةٍ مَائِوسَةٍ مَأْلُوفَةٍ مُحِبِّةٍ

مَلَأَ قَلْبِي

هَذَا اللَّقَاءَ مَعَ الْغَرِيبِ الْأَبْدِيِّ

5

فِي عَالَمِ الطُّفْلِ .

أَنَّ الْأَشْجَارَ تُحْرَكُ أَوْ رَاقَهَا تَحِيَّةً لَهُ
وَتَهْمَسُ إِلَيْهِ بِأَشْعَارٍ مُصَاغَةٍ
فِي لُغَةٍ قَدِيمَةٍ سَابِقَةٍ عَلَى عَهْدِ الْكَلِمَاتِ
وَالْقَمَرُ يَتَّظَاهَرُ بِأَنَّهُ تَرْتَبُهُ
الْمَتَمَثِّلُ فِي تِلْكَ الطُّفْلَةِ الْمُسْتَوْجِدَةِ فِي اللَّيْلِ .
أَمَا فِي عَالَمِ الشَّيْخِ
فَإِنَّ الزُّهُورَ تَحْمَرُّ حَجَلًا وَإِجْلَالًا
مِنْ تَصْنَعِ الْأَسَاطِيرِ
وَالدَّمَى الْمَكْسُورَةَ تَعْتَرِفُ بِأَنَّهَا
قَدْ صُنِعَتْ مِنَ الطِّينِ .

7

أَيُّهَا الْأَرْضَ الْعَظِيمَةَ
مَا أَكْثَرَ مَا أَحْسَنْتُ بِالرُّعْبَةِ
لِلْأَنْصَهَارِ فِيكَ

مُشَاطِرًا شُعُورَ الْفَرْحِ
 كُلَّ عُودٍ نَحِيلِ مِنْ الْعُشْبِ
 يَرْفَعُ عَلَمَهُ إِشَارَةَ الْجَوَابِ
 عَلَى نِدَاءِ الزُّرْقَةِ الدَّاعِيَةِ مِنَ السَّمَاءِ .
 وَيَبْدُو لِي أَنِّي كُنْتُ مُلْكًا لَكَ
 قَبْلَ أَحْقَابِ طَوِيلَةٍ مِنْ مِيَلَادِي
 وَذَلِكَ هُوَ السَّبَبُ الَّذِي يَجْعَلُنِي
 خِلَالَ الْأَيَّامِ الَّتِي يَلْمَعُ فِيهَا نُورُ الْخَرِيفِ
 فَوْقَ سَنَابِلِ الْأُرْزِ النَّاضِجَةِ - أَبْدُو
 وَكَأَنِّي أَذْكَرُ مَاضِيًّا يَكُونُ مَعَهُ
 فِكْرِي فِي كُلِّ مَكَانٍ
 حَتَّى لِيُخَيِّلُنِي إِلَيَّ أَنِّي أَسْمَعُ
 أَصْوَاتَ رِفَاقِ اللَّعِبِ
 يَتَرَدَّدُ صَدَاهَا قَادِمًا مِنْ مَاضٍ
 مُحِبِّ سَحِيقٍ .

وَحِينَ تَعُودُ الْقُطْعَانُ فِي الْمَسَاءِ
إِلَى حَظَائِرِهَا، مُثِيرَةً خَلْفَهَا
سَحْبًا مِنَ الْعُبَارِ، فِي دُرُوبِ
الْمَرَاعِي
وَبَيْنَمَا يَرْتَفِعُ الْقَمَرُ فَوْقَ أَعْمِدَةِ
الدُّخَانِ الْمُتَصَاعِدَةِ فِي كَسَلٍ
مِنَ أَكْوَاخِ الْقَرْيَةِ
أَحْسُ حُزْنًا كَذَلِكَ الْحُزْنَ الَّذِي تَمَّ
لِذَلِكَ الْفِرَاقِ الْعَظِيمِ
فِي أَوَّلِ صَبَاحٍ مِنْ خَلْقِ الْكَوْنِ

3

الزُّورِقُ الْعَبَّارُ
يَقُومُ بِوِظَيفَةِ الْمَكُوكِ
بَيْنَ الْقَرْيَتَيْنِ الْمُتَقَابِلَتَيْنِ

عَلَى ضَيْفَتِي النَّهْرِ .
وَالْمَجْرَى الْمَائِي لَيْسَ وَاسِعًا وَلَا عَمِيقًا
مُجْرَدٌ فَاصِلٌ بِسِيْطٍ فِي الطَّرِيقِ
يَزِيدُ مِنْ أَرْهَارِ الْمُغَامَرَاتِ الصَّغِيرَةِ
فِي الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ .
مِثْلَ الْوَقْفَةِ فِي كَلِمَاتِ الْأُغْنِيَّةِ
تَجْرِي عِبْرَهَا الْمَوْسِيقَى بِفَرْحٍ وَأَنْشِرَاحٍ .
وَيَنْمَا تَرْتَفِعُ أَبْرَاجُ الثُّورَةِ
عَالِيَةً شَامِخَةً ثُمَّ تَسْقُطُ فِي الدَّمَارِ
فَإِنَّ هَاتَيْنِ الْقَرِيَّتَيْنِ تَتَبَادَلَانِ
الْحَدِيثَ عَبْرَ النَّهْرِ الْمِهْدَارِ
وَيَسْتَمِرُّ الزُّورَقُ فِي أَدَاءِ مُهِمَّةِ الْمَكْوَكِ
فَصَلًّا بَعْدَ فَصْلٍ .
وَمِنْ مَوْسِمِ الْبَذْرِ إِلَى مَوْسِمِ الْحَصَادِ

الْغُيُومُ تَتَكَاثَفُ
 حَتَّى لِيَبْدُو نُورُ الصَّبَاحِ
 وَكَأَنَّهُ خَيْمَةٌ بَلَّلَتْهَا لَيْلَةٌ مُمَطَّرَةٌ
 وَطِيفْلَةٌ تَجْلِسُ إِلَى النَّافِذَةِ
 ثَابِتَةً كَأَنَّهَا قَوْسٌ قُزَحٌ
 عَلَى بَابِ عَاصِيفَةٍ مُدْبِرَةٍ
 إِنَّهَا قَرِيبَتِي
 وَقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ الْأَرْضُ
 كَمَا تَجِيءُ ابْتِسَامَةً أَيَّ إِلَهٍ عَاصٍ
 تَقُولُ أُمُّهَا فِي حَالَاتِ الْغَضَبِ
 إِنَّهَا لَا يُمَكِّنُ إِصْلَاحُهَا
 وَيَبْتَسِمُ وَالِدُهَا وَيَقُولُ:
 إِنَّهَا مَجْنُونَةٌ

إِنِّهَا كَالشَّلَالِ الْهَادِرِ
الَّذِي يَقْفِزُ وَيَثِبُ فَوْقَ الصُّخُورِ
وَمِثْلَ ذُرَى أَشْجَارِ الْبَامِبُو
الَّتِي يَتَعَالَى حَفِيفُهَا مَعَ الرِّيحِ الثَّائِرَةِ .
إِنِّهَا تَجْلِسُ إِلَى نَافِذَتِهَا
وَتُحَلِّقُ فِي السَّمَاءِ
وَتَأْتِيهَا أُخْتُهَا قَائِلَةً
تَعَالِي ، إِنَّ أُمَّكَ تُنَادِيكَ
وَلَكِنَّهَا تَهْزُ رَأْسَهَا
وَيُحَاوِلُ أَخُوهَا الصَّغِيرُ أَنْ
يُغْرِبَهَا بِاللَّعِبِ مَعَهُ بِزُورِقِهِ الصَّغِيرِ
فَتَنْزِعُ يَدَهَا مِنْهُ
وَحِينَ يُصِيرُ ، تَضْرِبُهُ ضَرْبَاتٍ
خَفِيفَةٍ عَلَى كَفْلِهِ .
إِنَّ أَوَّلَ الْأَصْوَاتِ الْعَظِيمَةِ

عِنْدَ بَدَايَةِ الْخَلْقِ
كَانَ عَزِيفَ الرِّيحِ وَهَدِيرَ الْمَاءِ .
هَذَا الصَّوْتُ الْعَرِيقُ فِي الطَّبِيعَةِ
وَنِدَاؤُهُ الصَّامِتُ لِلْحَيَاةِ الَّتِي لَمْ تُوَلَدْ
قَدْ بَلَغَ قَلْبَ هَذِهِ الطُّفْلَةِ
وَحَمَلَهَا وَحَدَّهَا إِلَى أْبَعَدِ
مِنْ حُدُودِ زَمَانِنَا
وَهِيَ لِذَلِكَ تَقِيمُ هُنَاكَ فِي الْأَعَالِي
وَقَدْ تَمَلَّكَتْهَا الْأَبَدِيَّةُ

10

الطَّائِرُ الْبَهْرِيُّ
قَدْ حَطَّ عَلَى مُؤَخَّرَةِ الْقَارِبِ الْفَارِغِ .
وَفِي مُنْخَفِضِ ضَيْفَةِ النَّهْرِ
يَرْبُضُ جَامُوسٌ مُتَنَعِّمًا بِعَفْوَتِهِ

مُتَدَوِّقًا لَذَّةَ طَرَاوَةِ الطِّينِ .
وَبَقْرَةً تَرَعَى عِنْدَ الضَّفَّةِ
فَزِرْعَةً مِنْ عُوَاءِ كَلْبِ الْقَرْيَةِ
يَتَّبِعُهَا فَرِيقٌ حَوَامٌ مِنْ (الساليكس)
المُطَارِدِ لِلْحَشْرَاتِ .

كُنْتُ جَالِسًا فِي غَابَةِ ثَمَرِ الْهِنْدِ الصَّغِيرَةِ
حَيْثُ تَتَجَمَّعُ صَرَخَاتُ الْحَيَاةِ غَيْرِ النَّاطِقَةِ
خَوَارُ الْبَقْرِ، وَزُقُزُقَةُ الْعَصَافِيرِ
وَتَصْفِيرَةُ الصَّقْرِ الْحَادَّةِ،

وَبَرِيقُ السَّمَكِ السَّابِحِ فِي الْمَاءِ .
وَأَنَا أَرْقُبُ كُلَّ ذَلِكَ
فِي الْمَهْدِ الْأَوَّلِ لِلْحَيَاةِ
حَيْثُ الْأُمُّ الْأَرْضُ تَحْفُقُ
لِأَوَّلِ تَعْشِيشَةِ حَيَّةٍ حَوْلَ
نَهْدِهَا .

فِي الْقَرْيَةِ الْغَافِيَةِ
 كَانَتْ الظُّهَيْرَةُ هَادِثَةً
 مِثْلَ سَائِرِ سَاعَاتِ الزُّوَالِ الْمُتَوَهِّجَةِ .
 وَفِي هَذَا الْوَقْتِ انْتَهَتْ إِجَارَاتِي
 وَابْتَدَأَتِ الَّتِي كَانَتْ فِي عَامِهَا الرَّابِعِ
 ظَلْتُ تَتَّبِعُنِي طَوَالَ الصَّبَاحِ
 مِنْ عُرْفَةٍ إِلَى عُرْفَةٍ
 مُلَاحِظَةً فِي صَمْتٍ عَمِيقٍ اسْتِعْدَادَاتِي لِلرَّحِيلِ
 حَتَّى إِذَا أَحَسَّتْ بِالتَّعَبِ
 جَلَسَتْ جِلْسَةً غَرِيبَةً هَادِثَةً
 قُرْبَ عَتَبَةِ الْبَابِ وَهِيَ تُغْمِغِمُ بَيْنَهَا
 وَبَيْنَ نَفْسِهَا
 أَبِي لَا تَذْهَبْ

كَانَتْ سَاعَةُ الْغَدَاءِ، وَكَانَ يَغْلِبُهَا
النُّعَاسُ فِي مِثْلِ هَذِهِ السَّاعَةِ
مِنْ كُلِّ الْأَيَّامِ السَّابِقَةِ .
وَلَكِنْ أُمَّهَا نَسِيَتْهَا
وَكَانَتْ الطُّفْلَةَ حَزِينَةً إِلَى دَرَجَةٍ
لَمْ تَقْدِرْ مَعَهَا عَلَى الشُّكْوَى
وَأَخِيرًا، حِينَ بَسَطَتْ ذِرَاعِيَّ لِوَدَاعِهَا
لَمْ تَتَحَرَّكْ مِنْ مَكَانِهَا، وَلَكِنَّهَا نَظَرَتْ
إِلَيَّ فِي حُزْنٍ وَقَالَتْ
أَبِي . . . يَنْبَغِي أَلَّا تَذْهَبَ
وَابْتَسَمْتُ حَتَّى دَمِعَتْ عَيْنَايَ
حِينَ فَكَّرْتُ كَيْفَ أَنْ هَذِهِ الطُّفْلَةَ
الصُّغِيرَةَ تَجْرُؤُ عَلَى مُصَارَعَةِ
كَوْنِ الضَّرُورَةِ الْعِمْلَاقِ ، دُونَ
سَنَدِ سِوَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ

يَا أَبِي - يَنْبَغِي الْأَتَذَهَب .

12

خُذْ إِجَازَةً

يَا طِفْلِي الصَّغِيرِ

هُنَاكَ السَّمَاءُ الزُّرْقَاءُ

وَالْحُقُولُ الْجَرْدَاءُ

وَمُسْتَوْدَعُ الثَّنِّ

وَأَطْلَالُ الْهَيْكَلِ تَحْتَ شَجَرَةِ ثَمَرِ الْهِنْدِ الْعَيْقَةِ .

إِنْ إِجَازَاتِي سَأْتَمَتُ بِهَا

مِنْ خِلَالِ إِجَازَاتِكَ

وَأَجِدُ النُّورَ فِي رُقْصَةِ عَيْنَيْكَ

وَالْأَنْغَامَ فِي صَرَخَاتِكَ الصَّاحِبَةِ .

إِنَّ الْخَرِيفَ يَحْمِلُ إِلَيْكَ

طَلَاةَ الْإِجَازَاتِ الْحَقِيقِيَّةِ

أَمَا أَنَا فَيَحْمِلُ إِلَيَّ اسْتِحَالَةَ الْعَمَلِ
فَهَا أَنْتَ تَنْدَفِعُ إِلَيَّ غُرْفَتِي
أَجَلٌ، إِنْ إِجَازَتِي هِيَ الْحُرِّيَّةُ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا
فِي أَنْ أُحِبَّ إِزْعَاجَكَ لِي .

13

ذَاتَ مَسَاءٍ
أَصَعْتُ طِفْلَتِي الصَّغِيرَةَ
إِلَى نِدَاءِ رَفِيقَاتِهَا مِنْ تَحْتِ النَّافِذَةِ
فَهَبَطَتْ السُّلَّمُ الْمُظْلِمَ مُسْرِعَةً خَائِفَةً
تَحْمِيلُ فِي يَدِهَا مِصْبَاحًا تَحْمِيهِ
بِإِزَارِهَا مِنَ الْإِنْطِفَاءِ .
كُنْتُ جَالِسًا فِي الشَّرْفَةِ
فِي لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي مَارِسِ الْمُرْصَعَةِ بِالنُّجُومِ
حِينَ سَمِعْتُ فَعْجَاءَةً بِكَاءٍ

فَهَرَعْتُ لِكَيِّ أَقْفَ بِنَفْسِي عَلَى مَصْدَرِهِ
لَقَدْ انطَفَأَ مِصْبَاحُهَا عِنْدَ فَرْجَةٍ
السُّلْمِ الْمُظْلِمَةِ

فَسَأَلْتُهَا لِمَاذَا تَبْكِينَ؟ يَا مِي
فَأَجَابَتْنِي مِنْ أَسْفَلِ السُّلْمِ فِي لَوْعَةٍ:
أَبْتَاهُ . . . إِنِّي ضِيعْتُ

وَحِينَ عُدْتُ إِلَى مَكَانِي مِنَ الشَّرْفَةِ
تَحْتَ لَيْلٍ مَارِسِ الْمَرْصَعِ بِالنُّجُومِ
نَظَرْتُ إِلَى السَّمَاءِ

وَبَدَأَ لِي أَنْ طِفْلَةً تَمْشِي هُنَاكَ
حَامِيَةً أَنْوَارَهَا الْعَلِيدَةَ بِإِزَارِهَا
فَإِذَا انطَفَأَتْ أَنْوَارُهَا فَجَاءَتْ

فَسَتَيْفُ فَجَاءَتْ وَيَتَرَدَّدُ
صُرَاخُهَا فِي السَّمَاءِ
أَبْتَاهُ . . . لَقَدْ ضِيعْتُ

المساء حائرٌ

بين فوائس الشارع

وذهبه ملوثٌ بغبار المدينة

وامرأةٌ متبرجةٌ متزينةٌ بطريفةٍ

صارخةٌ تطلُّ من النافذة

نارٌ موقدةٌ في انتظار فراشاتها الليلية .

وبعثةٌ، تجمع الناس في الطريق

حول متشردٍ سحفته عجلاتُ

إحدى العربات

وسقطت المرأة المطلَّة من الشرفة

على الأرض، وهي تُعولُ عويلاً

يائساً متأثرةً بألم الأم العظمى

المُرْتَدِيَّةِ اللَّوْنِ الْأَحْمَرِ
الَّتِي تَجْلِسُ فِي الْمَعْبَدِ الدَّاخِلِيِّ لِلْكُونِ .

15

إِنِّي أذْكُرُ
مَشْهَدَ الْأَرْضِ الْبُورِ
وَصَيْبَةَ تَجْلِسُ وَحْدَهَا فَوْقَ الْعُشْبِ
أَمَامَ مُخَيِّمِ اللَّعْجَرِ
مُنْصَرِفَةً إِلَى ضَنْفَرِ شَعْرِهَا
فِي ظِلَالِ الْقَيْلُولَةِ
وَكَلْبُهَا الصَّغِيرِ يَقْفِزُ وَيَبْحُ
أَمَامَ يَدَيْهَا الْمَشْغُولَتَيْنِ
كَمَا لَوْ كَانَ انْشِغَالَهَا بِضَنْفَرِ شَعْرِهَا
شَيْئاً لَا أَهْمِيَّةَ لَهُ فِي نَظَرِهِ .
وَحَاوَلْتُ عَبَثاً أَنْ تُؤْتِبَهُ

وَتُسَمِّيهِ (طَاعُونًا) مُعْبِرَةً عَنْ ضَجْرِهَا
وَضَرَبَتْهُ عَلَى خَيْشُومِهِ بِإِبْهَامِهَا
مُلَوَّحَةً بِتَهْدِيدِهِ
وَقَدْ بَدَأَ لَهُ أَنْ ذَلِكَ كُلُّهُ
لِزِيَادَةِ تَسْلِيْتِهِ
ثُمَّ نَظَرَتْ إِلَيْهِ مُتَجَهِّمَةً
مُهَدَّدَةً لَهُ بِعِقَابٍ قَرِيبٍ
ثُمَّ تَرَكَتْ خُصَلَاتِ شَعْرِهَا تَسْنَابُ
وَفُجْأَةً أَخَذَتْهُ فِي أَحْضَانِهَا
ضَاحِكَةً
وَضَمَّتْهُ إِلَى قَلْبِهَا.

17

لَوْ قَدَّرَ لِسَاكِينَ الْقَرْبِيَّةِ ذِي الْأَسْمَالِ الْبَالِيَةَ
الَّذِي يَجْرُ سَاقِيهِ نَحْوَ بَيْتِهِ عَائِدًا مِنْ

السُّوقِ
أَنْ يُرْفَعَ بَعْتُهُ إِلَى قِمَّةِ إِحْدَى الْعُصُورِ
السَّحِيقَةَ
فَإِنَّ النَّاسَ سَوْفَ تَتَوَقَّفُ عَنْ أَعْمَالِهَا
وَتُهْرَعُ إِلَيْهِ صَارِخَةً بِفَرَحِهَا الْغَامِرَةِ
لَأَنَّهُ لَمْ يَعُدْ مُجَرَّدَ فَلَاحٍ
وَلَكِنَّهَا تَرَى فِيهِ سِرًّا
عَصْرَهُ وَرُوحَهُ
وَفَقْرَهُ وَالْمَهْ يُصْبِحَانِ أَشْيَاءَ عَظِيمَةً
مُتَحَرِّرَةً مِنْ إِهَانَاتِ الْحَاضِرِ
التَّأْفَهُةِ
وَالْأَشْيَاءَ الْبَائِسَةَ الَّتِي تَحْتَوِيهَا سَلْتُهُ
تَكْتَسِبُ جَلَالًا مُؤَثَّرًا.

خَرَجَ لِلتَّنَزُّهِ فِي الطَّرِيقِ الْمُظْلَلِ
بِصَفِّ مِنْ أَشْجَارِ الدُّودَارِ الَّذِي يُطَوِّقُ الْهَضْبَةَ
كَأَنَّهُ حُبٌّ مُتَطَفِّلٌ .

كَانَ يُمَسِّكُ فِي يَدِهِ أَوَّلَ رِسَالَةٍ
جَاءَتْهُ مِنْ زَوْجَتِهِ الَّتِي احْتَفَلَ بِزَفَافِهِ
عَلَيْهَا مُنْذُ قَلِيلٍ . إِنَّهَا تَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ أَنْ
يَحْضُرَ إِلَيْهَا فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ .

إِنْ مَلَاطَمَةً يَدٍ عَائِيَةً عَنْهُ
كَانَتْ تُثِيرُهُ ، بَيْنَمَا كَانَ يَتَنَزَّهُ
وَبَدَا كَأَنَّ الْجَوَّ كُلَّهُ يَسْتَلِيمُ صَرَخَةَ
تِلْكَ الرُّسَالَةِ

يَا حَبِيبِي ، إِنْ سَمَائِي مَلِيئَةٌ بِالذُّمُوعِ
وَسَأَلَ نَفْسَهُ فِي دَهْشَةٍ :

كَيْفَ اسْتَحَقَّ هَذَا ؟

وَبَدَتْ الشَّمْسُ فَنَجَّاءَ فَوْقَ خَطِّ

الهَضَابِ الزُّرْقَاءِ
وَأَرْبَعُ صَبَايَا قَادِمَاتٍ نَحْوَهُ
مِنْ شَاطِئِءِ مَجْهُولٍ، بِحُطُوءَاتٍ خَفِيفَةٍ،
يَتَحَدَّثْنَ بِصَوْتِ عَالٍ، وَيَتَّبِعُهُنَّ
كَلْبٌ يَنْبَحُ.

أما الكَبِيرَتَانِ فَقَدْ أَدَارَتَا وَجْهَيْهِمَا
لِتُدَارِيَا اسْتِمْتَاعَهُمَا

بِشَيْءٍ غَرِيبٍ يَبْدُو فِي مَظْهَرِهِ.

أما الصَّغِيرَتَانِ فَقَدْ انْضَمَّتَا إِلَى
بَعْضِهِمَا ضَاكِحَتَيْنِ بِصَوْتِ عَالٍ
ثُمَّ هَرَبْنَا فِي بَهْجَةٍ طَائِفَةٍ.

وَتَوَقَّفَ هُوَ خَائِضَ الرَّاسِ

ثُمَّ فَجْأَةً لَمَسَ رِسَالَتَهَا

وَفَتَحَهَا، وَقَرَأَهَا مِنْ جَدِيدٍ

لَقَدْ جَاءَ الْيَوْمُ

الَّذِي يُحْمَلُ فِيهِ تِمَثَالُ الْهَيْكَلِ

فَوْقَ الْعَرَبَةِ، لِلطَّوَافِ بِهِ فِي الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ .

قَالَتِ الْمَلِكَةُ لِلْمَلِكِ

لِنَذْهَبَ لِلْمُشَارَكَةِ فِي الْإِحْتِفَالِ .

وَمِنْ كُلِّ الْعَائِلَةِ، لَمْ يَتَخَلَّفْ

سِوَى رَجُلٍ وَاحِدٍ عَنْ هَذَا

الْحَجِّ

لَقَدْ كَانَ عَمَلُهُ يَتِمُّ فِي جَمْعِ

أَعْوَادِ السَّعْفِ لِصُنْعِ الْمَكَائِسِ

الْخَاصَّةِ بِقَصْرِ الْمَلِكِ .

وَشَعَرَ رَئِيسَ الْخَدَمِ بِالِإِشْفَاقِ

عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ :

يُمْكِنُكَ أَنْ تَأْتِيَ مَعَنَا

ولكنه حَتَّى رَأْسِهِ قَائِلًا:

كَلَّا... مُسْتَحِيلٌ

إِنَّهُ يَسْكُنُ فِي الطَّرِيقِ الَّتِي سَيَسْأَلُكَهَا

مَوْكِبُ الْمَلِكِ .

وَحِينَ مَرَّ الْوَزِيرُ، مُمْتَطِيًا فِيهِ

قُرْبَ دَارِهِ، دَعَاهُ قَائِلًا:

تَعَالَ مَعَنَا، لِتَرَى الْإِلَهَ

وَقَدْ حُمِلَ فَوْقَ عَرَبَتِهِ .

فَأَجَابَهُ :

لَسْتُ مُعْتَادًا أَنْ أُبْحَثَ عَنِ الْإِلَهِ

بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي يَتَّبِعُهَا الْمَلِكُ

فَسَأَلَهُ الْوَزِيرُ

مَتَى سَيُتَّاحُ لَكَ الْحِظُّ لِمُشَاهَدَةِ

الْإِلَهَ فَوْقَ الْعَرَبَةِ؟

فَأَجَابَهُ الرَّجُلُ:

حِينَ يَأْتِي الْإِلَهَ نَفْسُهُ إِلَى بَابِي .

فَضَحِكَ الْوَزِيرُ مِنْهُ ضِحْكَةً عَالِيَةً

ثُمَّ قَالَ:

يَا لَكَ مِنْ غَيْبٍ ، حِينَ يَأْتِي اللَّهُ إِلَى بَابِكَ ؟!

حَتَّى الْمَلِكُ يَنْبَغِي أَنْ يَرْحَلَ لِمُشَاهَدَتِهِ!

فَأَجَابَهُ الرَّجُلُ:

وَمَنْ غَيْرَ الْإِلَهِ يَزُورُ مَنَازِلَ الْفُقَرَاءِ ؟

20

الْأَيَّامُ أَخَذَتْ تَطُولُ

حِينَ أَوْشَكَ الشِّتَاءُ عَلَى الْإِنْتِهَاءِ

وَكَلْبِي يَلْعَبُ فِي الشَّمْسِ

بِطَرِيقَتِهِ الْوَحْشِيَّةِ

الْمُفْضَلَةُ

وَكَانَ النَّاسَ الَّذِينَ يَتَوَجَّهُونَ إِلَى السُّوقِ
 يَتَوَقَّفُونَ أَمَامَ السِّيَاحِ ضَاحِكِينَ
 مِنْ رُؤْيَا هَذَا الْحَبِّ الَّذِي يَقُومُ
 بَيْنَ رَفِيقَيْنِ يَنْتَمِيَانِ إِلَى لُغَتَيْنِ
 مُخْتَلِفَتَيْنِ جِدًّا لِاخْتِلَافِ .
 الرَّبِيعِ كَانَ يَبْدُو فِي الْجَوِّ
 وَالْأُورَاقَ الْعَضَّةُ تَتَمَاوَجُّ كَأَنَّهَا اللَّهَبُ
 وَبَرِيقٌ يَرْقُصُ فِي عَيْنِي الْكَلْبِ الصَّغِيرِ
 حِينَ يَفْقَهُ ، أَوْ يَشِي رَقَبَتَهُ
 عِنْدَ تَحْرُكِ ظِلِّهِ
 أَوْ أُذُنَيْهِ مَتَسَمَعًا
 شَيْئًا مِنَ الْهَمْسِ تَحْمِلُهُ الرِّيحُ
 وَجَاءَتِ الرُّسَالَةُ مُتَدَفِّقَةً
 مَعَ التَّسِيمِ الشَّارِدِ
 أَوْ مَعَ وِمْضِ الْبَرْقِ فِي سَمَاءِ أِبْرِيلِ .

إِنَّهُ يُغْنِي الْأَلَمَ الْأَوَّلَ
 فِي شَبَابِ الْكَوْنِ
 حِينَ تَفْتَحُ أَوَّلُ زَهْرَةٍ
 وَخَرَجَ الْحُبُّ يَبْحَثُ عَمَّا لَا يَعْرِفُهُ
 تَارِكًا كُلَّ مَا عَرَفَهُ .
 إِنَّهَا أُمْسِيَّةٌ ، بَيْنَ أَشْجَارِ «الأملاك»
 حِينَ تَتَكَافَأُ الظُّلَالُ
 وَتُصْبِحُ عَذْبَةً بِمَدَاعِيئِهَا
 لِلنُّورِ .
 وَرَحَلَتْ تَعْدُو كَمَا لَوْ كَانَتْ
 نَيْزَكًا عَاشِقًا لِلْمَوْتِ .
 وَخَيْمَ الظَّلَامِ ، فِي الْبَيْتِ
 أُوقِدَتِ الْمَصَابِيحُ
 وَظَهَرَتِ النُّجُومُ ، وَهَبَطَ اللَّيْلُ عَلَى الْحُقُولِ
 وَلَكِنْ لَمْ تَعُدْ

فَأَسْرَعَ كَلْبِي يَعْذُو نَحْوِي
وَهُوَ يَعْوِي ، وَيَسْأَلُنِي بِعَيْنَيْهِ
الرَّحِيمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ يَبْدُو أَنَّهُمَا
كَانَتَا تَقُولَانِ . . . لَا أَفْهَمُ
وَلَكِنَّ مَنْ الَّذِي يُمَكِّنُهُ أَنْ يَفْهَمَ؟

21

زُقَاقُنَا مُلْتَوٍ
كَمَا لَوْ كَانَ قَدْ رَحَلَ مِنْذُ أَحْقَابِ
بَاحِثًا عَنْ هَدْفِهِ
مُتَرَنَّحًا بَيْنَ الِیْمِینِ وَالشَّمَالِ
وَزَلَّ مُضْطَّرِبًا إِلَى الْأَبْدِ .
وَبَيْنَ الْمَبَانِي الَّتِي تَحْفُ بِهِ
يَبْدُو مِنَ السَّمَاءِ خَيْطٌ كَأَنَّهُ الشَّرِیْطُ الْمَعْلُوقُ
وَيُسَمِّيهِ زُقَاقُنَا

أَخَاهُ فِي الْمَدِينَةِ السَّمَاوِيَّةِ .
لَا يَرَى الشَّمْسُ إِلَّا لَحَظَاتٍ قَلِيلَةً
فِي الظُّهَيْرَةِ ، وَيَتَسَاءَلُ
بِحِكْمَةٍ مُتَشَكِّكَةٍ . . . هَلْ هِيَ
حَقِيقَةٌ ؟

وَفِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ
يُعْتَمُّ مَطَرٌ يُونِيوُ
هَذَا الشَّرِيطَ مِنَ النُّورِ
فَيَبْدُو كَأَنَّهُ خَطٌّ بِقَلَمِ الرُّصَاصِ
وَيُصْبِحُ الزُّقَاقُ زَلْقًا بِسَبَبِ الْوَحْلِ
وَالْمِظَلَّاتُ تَتَنَاطَحُ فِيهِ
وَتَدْفُقُ الْمِيَاهُ مِنَ الْمِيَاذِبِ
فَوْقَ أَرْضِيئِهِ الْمَبْهُورَةِ .
وَفِي دَهْشَتِهِ يَأْخُذُ هَذِهِ
الْأُمُورَ كَمَا لَوْ كَانَتْ سُحْرِيَّةً

مِنْ مُؤَامَرَةٍ غَيْرِ لَاتِقَةٍ
حُبِكَ ضِدَّهُ
مُنْذُ خَرَجَ إِلَى الْوُجُودِ .
وَتَسِيمُ الرَّبِيعِ
فِي دَائِرَةِ الْإِتْوَاءِ
يَتَعَثَّرُ وَيَتَرْتَحُ كَمُنْشَرِدٍ نَمِلَ يَتَعَثَّرُ
ضِدَّ الزُّوَايَا وَالْأَرْكَانِ ،
مَالِئًا
الْهَوَاءَ الْمُعْبَّرَ
بِكَمِّيَّاتٍ مِنَ الْوَرَقِ وَالخِرْقِ .
أَيُّ غَضْبَةٍ هُوَ جَاءَ
هَلْ جُنَّتِ الْآلِهَةُ ؟
يَتَسَاءَلُ الزُّفَاقُ
وَلَكِنِ الْفَضْلَاتِ الْيَوْمِيَّةِ
الْمَطْرُوحَةِ مِنَ الْمَنَازِلِ عَلَى جَانِبِي الزُّفَاقِ

قَشَرَ الْأَسْمَاكَ الْمُخْتَلِطَةَ بِالرَّمَادِ

فَاكِهَةً فَاسِيدَةً، وَفُتْرَانَ مَيِّتَةً

لَا تَذْفَعُ الزُّرْقَاقَ إِلَى أَنْ يَتَسَاءَلَ

لِمَاذَا يَحْدُثُ كُلُّ هَذَا؟

إِنَّهُ يَقْتُلُ كُلَّ صَخْرَةٍ مِنْ أَرْضِيهِ الْمُبَلَّطَةِ

وَلَكِنْ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ يَنْبُتُ

بَيْنَ شُقُوقِهَا عُوْدٌ مِنَ الْعُشْبِ

فَيَبُتُّ فِيهِ الْحَيْرَةُ .

كَيْفَ يُمَكِّنُ لِلْوَقَائِعِ الصَّلْدَةَ

أَنْ تَسْمَحَ بِهَذَا التَّطَفُّلُ؟

وَفِي صَبَاحِ يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ

وَعَلَى مُلَاطَفَةِ أَنْوَارِ الْخَرِيفِ

اسْتَيْقَظَتْ مَنَازِلُ الزُّرْقَاقِ

مِنْ أَحْلَامِهَا اللَّامِعَةِ قَوْلَةً

وَهَتَفَ قَائِلًا لِنَفْسِهِ :

هُنَاكَ رَوْعَةٌ لَا حَدَّ لَهَا
فِيَمَا وَرَاءَ هَذِهِ الْمَبَانِي !
وَلَكِن السَّاعَاتِ كَانَتْ تَمْضِي .
وَالْعَائِلَاتِ نَهَضَتْ مِنْ نَوْمِهَا
وَالخَادِمَةَ تَعُودُ مِنَ السُّوقِ
وَهِيَ تَتَرَجَّحُ ، فِي ذِرَاعِهَا الِیْمَنِ
سَلَّةُ التَّمْوِينِ
وَتَسْنُدُ خَاصِرَتَهَا بِیَدِهَا الِیْسَرَى
وَيَمْتَلِئُ الْجَوُّ بِرَائِحَةِ
المَطَابِخِ وَدُخَانِهَا
وَيَبْدُو وَاضِحًا لِزُقَاقِنَا
أَنَّ الْوَاقِعِيَّ وَالْعَادِيَّ أَشْيَاءُ
مِنْ صُنْعِهِ هُوَ ذَاتُهُ وَمِنْ
صُنْعِ مَنَازِلِهِ وَأَكْوَامِ
قِمَامَتِهِ .

فِي أَعْمَاقِ الْغَابِ
 وَبَعِينِينَ مُغْمَضَتِينَ عَنِ عَزْمٍ وَإِصْرَارٍ
 كَانَ النَّاسِكُ يَقُومُ بِفَرَائِضِ التَّوْبَةِ وَالتَّكْفِيرِ.
 وَفِي قَصْدِهِ أَنْ يَكُونَ جَدِيرًا بِالْفِرْدَوْسِ
 وَلَكِنَّ الصَّبِيَّةَ الَّتِي كَانَتْ تَجْمَعُ الْأَغْصَانَ
 كَانَتْ تَحْمِلُ إِلَيْهِ الْفَاكِهَةَ عَلَى أَطْرَافِ ثَوَرَتِهَا
 وَمَاءً تَعْرِفُهُ مِنَ الْجَدُولِ
 فِي كُؤُوسٍ مَصْنُوعَةٍ مِنَ الْأُورَاقِ.
 وَمَضَّتْ الْأَيَّامُ، وَتَفَكِيرُهُ يَزْدَادُ
 قَسْوَةً
 وَظَلَّتْ الْفَوَاكِهُ وَالْمِيَاهُ لَمْ تَمَسْ
 وَاسْتَبَدَّ الْحُزْنُ بِتِلْكَ الصَّبِيَّةِ
 وَسَمِعَ إِلَهَ الْفِرْدَوْسِ

أَنْ إِنْسَانًا كَانَ يَتَطَلَّعُ
إِلَى أَنْ يَصِيرَ فِي مُسْتَوَى الْإِلَهِ .
وَلَقَدْ قَاوَمَ الْمَرْدَةَ
الَّذِينَ كَانُوا يُوَاوِئُونَهُ ، مِرَارًا
وَاسْتَطَاعَ إِبْعَادَهُمْ عَنْ مَمْلَكَتِهِ
وَلَكِنَّهُ كَانَ يَخْشَى إِنْسَانًا تَتَجَلَّى
كُلُّ قُوَّتِهِ فِي تَحْمِلِ الْعَذَابِ .
وَلَكِنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ الْوَسَائِلَ الَّتِي يَنْفِذُ
بِهَا إِلَى الْبَشَرِ الْفَانِينَ .
وَرَسَمَ خِطَّةً تَصْرِفُ هَذَا
الْمَخْلُوقَ التُّرَابِيَّ عَنْ مُغَامَرَتِهِ
فَهَبَّتْ نَسَمَةً مِنَ الْفِرْدَوْسِ
وَقَبَّلَتْ جَسَدَ تِلْكَ الصَّبِيَّةِ
الَّتِي كَانَتْ تَجْمَعُ الْأَغْصَانَ
وَمَسَّتْ شَبَابَهَا فَجَاءَتْ

مَسْحَةٌ مُذْهِلَةٌ مِنْ جَمَالٍ
وَأَخَذَتْ أَفْكَارَهَا تَطِينُ طِينِ النَّحْلِ
الَّذِي نُهِبَتْ خَلِيَّتُهُ .
وَجَاءَ الْوَقْتُ الَّذِي تَحْتَمُّ فِيهِ عَلَى النَّاسِكِ
أَنْ يُغَادِرَ الْغَابِ
وَالْأَنْسِحَابِ إِلَى كَهْفِ
لِيُتِمَّ تَفْكِيرَهُ
وَحِينَ فَتَحَ عَيْنَيْهِ لِلرَّحِيلِ إِلَى هَذَا الْكَهْفِ
بَدَتْ لَهُ الصَّبِيَّةُ كَقِطْعَةٍ مُوسِيقِيَّةٍ
مَأْلُوفَةٍ، وَلَكِنَّهَا مَنْسِيَّةٌ ،
وَأَنْ هُنَاكَ لَحْنًا جَدِيدًا جَعَلَهُ غَرِيقًا . .
فَنَهَضَ النَّاسِكُ مِنْ مَضْجَعِهِ
وَقَالَ لَهَا: إِنْ الْوَقْتُ قَدْ حَانَ
لَأَنْ يُغَادِرَ الْغَابَ
فَقَالَتْ لَهُ دَامِعَةَ الْعَيْنَيْنِ :

لِمَاذَا تَحْرِمُنِي مِنْ إِمْكَانِيَّةِ خِدْمَتِكَ
فَعَادَ النَّاسِكُ إِلَى الْجُلُوسِ
وَاسْتَعْرَقَ فِي التَّأْمُلِ طَوِيلًا
وَلَبِثَ مَكَانَهُ .

وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ
جَعَلَهَا تَأْيِيبُ الضَّمِيرِ
تَسَهَّرَ طَوَالَ اللَّيْلِ
وَأَخَذَتْ تَحْشَى قُوَّتِهَا
وَحَقَّدَتْ عَلَى انْتِصَارِهَا
وَكَانَ فِكْرُهَا يَسْبَحُ فِي أَمْوَاجٍ
مِنَ الْفَرَحِ الْمُضْطَرِّبِ .
وَفِي الصَّبَاحِ ، جَاءَتْ لِتَحِيَّتِهِ
وَطَلَبَتْ بَرَكَتَهُ ، وَقَالَتْ : إِنَّهَا
سَتَتْرُكُهُ وَتَرْحَلُ
فَحَدَّقَ فِي عَيْنَيْهَا ، فِي صَمْتٍ

ثُمَّ قَالَ لَهَا :
ارْحَلِي . . إِنْ رَغَبْتِكِ سَتَحَقِّقُ .

وَطَوَالَ أَعْوَامَ

ظَلَّ جَالِسًا وَحْدَهُ

حَتَّى تَمَّتْ فَرَائِضُ التَّوْبَةِ

وَنَزَلَ إِلَيْهِ الْخَالِدِيُّ عَنِ عَرْشِهِ

لِيَقُولَ لَهُ يَا أَبَتَهُ قَدْ غَنِمَ الْفِرْدَوْسَ

بِهَذِهِ التَّوْبَةِ .

فَقَالَ النَّاسِكُ :

لَمْ أُعِدْ فِي حَاجَةٍ إِلَى الْفِرْدَوْسِ

فَسَأَلَهُ الْإِلَهِ عَنِ جَزَاءِ أَعْظَمَ

مِنْ ذَلِكَ ، يَرْغَبُ فِيهِ

فَأَجَابَ النَّاسِكُ :

الصَّبِيَّةُ جَامِعَةُ الْعُصُونِ

يُقَالُ:

إِنَّ (كَبِيرًا) النَّسَاجَ
يَحْطَى بِعَطْفِ الْإِلَهَةِ
وَالنَّاسُ يَتَجَمُّعُونَ حَوْلَهُ
يَلْتَمِسُونَ الشِّفَاءَ وَتَحْفِيقَ الْمُعْجَزَاتِ
وَلَكِنَّهُ كَانَ مُتَضَايِقًا
وَأَصُولُهُ الْمُتَوَاضِعَةُ
حَقَّقَتْ لَهُ أَثْمَنَ مَا يَطْمَحُ إِلَيْهِ مِنْ عَزْلَةٍ
وَكَانَ يُلَطِّفُهَا بِأَغَانِيهِ
وَحُضُورِ اللَّهِ إِلَى جَانِبِهِ
وَكَانَ يُصَلِّي مِنْ أَجْلِ أَنْ تُعَادَ إِلَيْهِ
هَذِهِ الْهَيْبَةُ
وَحَسَدَ الْكَهَنَةِ الشُّهُرَةَ الَّتِي ظَفِرَ بِهَا هَذَا

الْمَنْبُودُ

فَاتَّفَقُوا مَعَ عَاهِرَةٍ

حَتَّى تُوقِعَهُ فِي كَارِثَةٍ

وَحِينَ ذَهَبَ (كَبِيرٌ) إِلَى السُّوقِ لِيَبِّعَ

مَنْسُوجَاتِهِ

أَمْسَكَتِ الْمَرْأَةُ بِيَدِهِ

مُتَّهِمَةً إِيَّاهُ بِالْخِيَانَةِ

وَلَحِقَتْ بِهِ إِلَى بَيْتِهِ وَهِيَ تَقُولُ :

إِنَّهَا لَنْ تَسْمَحَ لَهُ بِالتَّخَلِّيِ عَنْهَا

فَقَالَ (كَبِيرٌ) فِي نَفْسِهِ

(إِنْ لِلَّهِ طُرُقُهُ الْخَاصَّةُ فِي الْاسْتِجَابَةِ

لِلدَّعَوَاتِ) .

وَسَرَّعَانَ مَا شَعَرَتْ الْمَرْأَةُ بِرُجْفَةٍ

خَوْفٍ تَسْرِي فِي كَيَانِهَا

وَوَقَعَتْ عِنْدَ قَدَمَيْهِ صَارِخَةً :

أَنْقِذْنِي مِنْ خَطِيئَتِي

فَأَجَابَهَا

اِفْتَحِي حَيَاتَكَ لِنُورِ اللَّهِ .

كَانَ يَعْمَلُ (كَبِير) فِي مَنْسَجِهِ

وَهُوَ يُغَنِّي . وَكَانَتْ أُغَانِيهِ

تَغْسِلُ قَلْبَ هَذِهِ الْمَرْأَةِ وَتُطَهِّرُهُ

مِنْ خَطَايَاهَا الَّتِي وَجَدَتْ مَلَاذَأَ

فِي هَذَا الصَّوْتِ الْعَذْبِ .

وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ

رَكَبَتِ الْمَلِكَ نَزْوَةً مِنْ نَزَوَاتِهِ

فَبَعَثَ رَسُولَهُ إِلَى (كَبِير)

وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَأْتِيَ لِلْغِنَاءِ

بِمَجْلِسِهِ .

فَهَزَّ النَّسَاجُ رَأْسَهُ اسْتِخْفَافًا

وَلَكِنَّ الرَّسُولَ لَمْ يَجْرُؤُ

عَلَى مُعَادِرَةِ الْبَابِ دُونَ أَنْ تَتَحَقَّقَ مَشِيئَةُ الْمَلِكِ .

حِينَ دَخَلَ (كَبِير) الْقَاعَةَ

نَهَضَ الْمَلِكُ وَرِجَالُ الْحَاشِيَةِ

مُتَنَفِّضِينَ

لِأَنَّ (كَبِير) لَمْ يَكُنْ وَحْدَهُ

بَلْ كَانَ مَصْحُوبًا بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ .

فَاسْتَعْرَقَ بَعْضُهُمْ فِي الضَّحِكِ

وَتَجَهَّمَ الْبَعْضُ الْآخَرَ وَقَطَّبُوا جَبِينَهُمْ

وَتَجَهَّمَ وَجْهَ الْمَلِكِ

بِسَبَبِ فُجُورِ هَذَا الرَّجُلِ وَخِلَاعَتِهِ

وَعَادَ (كَبِير) إِلَى بَيْتِهِ مُهَانًا

وَسَجَدَتِ الْمَرْأَةُ عِنْدَ قَدَمَيْهِ

هَاتِفَةً بِهِ :

لِمَاذَا تَحَمَّلْتُ هَذِهِ الْإِهَانَةَ بِسَبَبِي

يَا سَيِّدِي ؟ دَعْنِي أَعُودُ

إلى عَارِي السَّابِقِ .

فَأَجَابَهَا (كَبِير) :

لَيْسَ مِنْ عَادَتِي أَنْ أَطْرُدَ رَبِّي
حِينَ يَتَعَرَّضُ لِلشَّمِّ وَالتَّحْقِيرِ .

26

لَمْ يَكُنْ لِلرَّجُلِ أَيُّ عَمَلٍ نَافِعٍ

وَكَلُّ مَا يَتَمَيَّزُ بِهِ غَرَابَةٌ أَطْوَارِهِ

وَعَجَائِبُهُ الْمُتَعَدِّدَةُ

فَكَانَتْ مُفَاجَأَةً كَبِيرَةً لَهُ

أَنْ يَجِدَ نَفْسَهُ فِي الْفِرْدَوْسِ

بَعْدَ حَيَاةٍ أَنْفَقَهَا فِي التَّفَاهَاتِ .

وَشَاءَتْ الصَّدْفُ أَنْ يَقُودَهُ الْمُرْشِدُ

إِلَى فِرْدَوْسٍ آخَرَ مُخَصَّصٍ

لِلأَرْوَاحِ الْعَامِلَةِ الطَّيِّبَةِ .

وَفِي هَذَا الْفِرْدَوْسِ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ
يَجُوبُ الشَّوَارِعَ مُتَسَكِّعًا بِلَا غَايَةَ
مُعْرِقًا فَوْرَةَ الْحَمَّاسِ لِلْعَمَلِ .
وَتَقَرَّرَ عَزْلَهُ ، وَتَوَجَّيْهُ الْإِنْدَارِ
إِلَيْهِ لِأَنَّهُ يَدُوسُ الْأَرْضَ الْمَزْرُوعَةَ
فَإِذَا هُتِفَ بِهِ نَهَضَ وَاقِفًا

وَإِذَا دُفِعَ بِهِ مَشَى إِلَى الْأَمَامِ
وَصَبِيَّةً مَشْغُولَةً

جَاءَتْ إِلَى الْبِئْرِ لِسَحْبِ الْمَاءِ
وَكَانَتْ قَدَمَاهَا تَجْرِيَانِ فَوْقَ الْأَرْضِ
الْمُبْلَطَةِ كَمَا تَجْرِي الْأَصَابِعُ فَوْقَ
أَوْتَارِ الْقِيثَارِ

وَعَقَدَتْ شَعْرَهَا فِي عَجَلَةٍ
وَبَقِيَتْ مِنْهُ خُصَلَاتٌ مُبَدَّدَةٌ

فَوْقَ جَبِينِهَا تَتَجَسَّسُ

عَلَى حَوْرِ عَيْنَيْهَا .

فَقَالَ لَهَا الرَّجُلُ :

أَتُعِيرِينِي جَرَّتَكَ؟

قَالَتْ فِي اسْتِعْرَابٍ

جَرَّتِي؟ لِكَيْ تَعْرِفَ الْمَاءَ؟

قَالَ : كَلَّا . وَلَكِنْ لِأُزِينَهَا

بِبَعْضِ الرَّسُومِ .

فَأَجَابَتْهُ فِي اسْتِحْفَافٍ :

لَيْسَ لَدَيَّ وَقْتُ أَضِيعُهُ

رُوحٌ عَامِلَةٌ عَزَلَاءُ

ضِيدٌ رُوحٌ بَلَغَتْ أَقْصَى دَرَجَاتِ الْخُمُولِ

وَكَانَتْ تُقَابِلُهُ كُلَّ يَوْمٍ عِنْدَ الْبَيْتِ

وَكَوَلَّ يَوْمَ يَطْرَحُ عَلَيْهَا السُّؤَالَ نَفْسَهُ ،

حَتَّى أَدْعَنْتَ فِي النِّهَايَةِ

وَرَسَمَ الرَّجُلُ فَوْقَ الْجَرَّةِ
بِالْوَانِ غَرِيبَةً مَتَاهَةً غَرِيبَةً
بِخُيُوطٍ مُلْتَوِيَةٍ
فَأَخَذَتِ الْفَتَاةُ الْجَرَّةَ وَأَدَارَتْهَا
وَسَأَلَتْهُ:

مَا مَعْنَى هَذَا الرَّسْمِ؟

فَأَجَابَ:

لَيْسَ لَهُ أَيُّ مَعْنَى!

وَحَمَلَتِ الْفَتَاةُ الْجَرَّةَ إِلَى بَيْتِهَا
وَتَأَمَّلَتْهَا فِي مُخْتَلَفِ الْأَضْوَاءِ
مُحَاوِلَةً أَنْ تَفْهَمَ مَعْنَاهَا الْخَفِيَّ
وَكَانَتْ تَنْهَضُ فِي اللَّيْلِ مِنْ فِرَاشِهَا
وَتُوقِدُ الْمِصْبَاحَ وَتَتَأَمَّلُ الْجَرَّةَ
مِنْ مُخْتَلَفِ الْجِهَاتِ .

هذه هي المرة الأولى التي تُصَادِفُ

فِيهَا شَيْئًا لَا مَعْنَى لَهُ .

وفي اليوم التالي كان صاحبنا
مِنْ جَدِيدٍ إِلَى جَانِبِ الْبِئْرِ
فَسَأَلْتَهُ الْفَتَاةُ :

مَاذَا تُرِيدُ؟

أُرِيدُ أَنْ أَقْدِمَ إِلَيْكَ عَمَلًا آخَرَ
فَسَأَلْتَهُ مُتَرَدِّدَةً :

أَيَّ عَمَلٍ؟

أُرِيدُ أَنْ أَنْسِجَ بِخُيُوطٍ مُلَوَّنَةٍ
شَرِيطًا تَعْقِدِينَ بِهِ شَعْرَكَ .
فَسَأَلْتَهُ :

هَلْ هُنَاكَ لُزُومٌ لِذَلِكَ؟

فَأَقْرَأَهَا قَائِلًا :

أَبَدًا . . عَلَى الْإِطْلَاقِ

وَتَسْجِ الشَّرِيْطِ . وَمِنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتِ

صَارَتْ تُنْفِقُ وَقْتًا طَوِيلًا فِي تَرْتِيبِ
شَعْرِهَا .

إِنْ رَتَابَةَ الزَّمَنِ الْمُوَحَّدِ
الَّذِي أَحْسِنُ تَوْظِيفُهُ وَاسْتِخْدَامُهُ
فِي ذَلِكَ الْفِرْدَوْسِ أَخَذَ يُعْطِي
نَتَائِجَ شَاذَةً .

وَقَدْ انشَغَلَ كِبَارُ الْقَوْمِ
وَاجْتَمَعُوا فِي نَدْوَةٍ لِلتَّشَاوُرِ فِي الْأَمْرِ .
وَاعْتَرَفَ الْمُرْشِدُ بِخَطِيئِهِ قَائِلًا :
إِنَّهُ جَاءَ بِالرَّجُلِ غَيْرِ الْمُنَاسِبِ
فِي الْمَكَانِ غَيْرِ الْمُنَاسِبِ
وَدُعِيَ الرَّجُلَ غَيْرَ الْمُنَاسِبِ
وَكَانَتْ عِمَامَتُهُ الزَّاهِيَةَ
الْمُبْهَرَجَةَ كَافِيَةً لِلدَّلَالَةِ
عَلَى فِدَاحَةِ الْخَطَأِ الَّذِي جَاءَ

به إلى الفِرْدَوْس .
وأعلن كبيرهم قراره :
عَلَيْكَ بِالْعَوْدَةِ إِلَى الْأَرْضِ
فَتَنْفَسَ الرَّجُلُ الصُّعْدَاءَ
وقال : إني جاهزُ
وانضمت إليه الفتاةُ
ذاتُ الشَّرِيطِ الْمُلُونِ
قائلةً : . . . وأنا أيضاً .
وللمرة الأولى في حياته وجد
زَعِيمُ الْكِبَارِ نَفْسَهُ أَمَامَ وَضْعٍ
لَا مَعْنَى لَهُ .

27

قالوا إن في الغابِ
حيث يلتقي النهرُ بالبحيرةِ

تَعِيشُ بَعْضُ حُورِيَّاتِ الْمُتَنَكَّرَاتِ
وَلَا يُعْرِفُ أَنَّهُنَّ حُورِيَّاتٌ
إِلَّا عِنْدَ اخْتِفَائِهِنَّ عَنِ الْأُنْظَارِ.

وَحَاطَرَ لِأَحَدِ الْأَمْرَاءِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى هَذَا الْغَابِ
وَحِينَ بَلَغَ الْمَكَانَ الَّذِي يَلْتَقِي فِيهِ
النَّهْرُ بِالْبُحَيْرَةِ، أَبْصَرَ فَتَاةً قَرَوِيَّةً،
جَالِسَةً عِنْدَ الضَّفَّةِ، وَهِيَ
تُرْجُ الْمِيَاهَ لِكَيْ تُرْفِصَ فَوْقَهَا أَزْهَارَ
الرُّنْبِقِ.

فَسَأَلَهَا الْأَمِيرُ هَامِسًا:
خَبِّرِينِي، أَيُّهُ حُورِيَّةٌ أَنْتِ؟
فَضَحِكَتِ الْفَتَاةُ لِهَذَا السُّؤَالِ
وَرَدَّدَتْ الْهَضَابُ صَدَى ضَحِكَاتِهَا
وَوَظَنَ الْأَمِيرُ أَنَّهَا حُورِيَّةٌ الشَّلَالِ
الضَّاحِكَةِ

وَأُبْلِغَ الْمَلِكُ بِخَبْرِ زَوَاجِ الْأَمِيرِ
مِنْ إِحْدَى الْحُورِيَّاتِ
فَبَعَثَ فِي إِثْرِهِ فُرْسَانًا وَخَيُْولًا
وَأَعَادَهُ إِلَى قَصْرِهِ .
وَرَأَتِ الْمَلِكَةَ عَرُوسَ ابْنِهَا
فَأَشَاحَتْ عَنْهَا فِي اِشْمِزَازٍ وَنُفُورٍ
وَتَضَرَّجَتْ أُخْتُ الْأَمِيرِ سُخْطًا عَلَيْهَا .
أَمَّا الْوَصِيفَاتُ فَقَدْ تَسَاءَلْنَ إِذَا
كَانَتِ الْحُورِيَّاتُ يَرْتَدِينَ مَلَابِسَهُنَّ بِهَذِهِ
الطَّرِيقَةَ .
وَلَكِنِ الْأَمِيرُ أَسْكَنَهُنَّ قَائِلًا :
إِنْ حُورِيَّتِي جَاءَتْ إِلَى قَصْرِنَا مُتَّكِرَةً .
وَفِي يَوْمِ الْاِحْتِفَالِ بِالْعَامِ الْجَدِيدِ
قَالَتِ الْمَلِكَةُ لِابْنِهَا :
قُلْ لِرِزْوَجِكَ إِلَّا تُعْطِيَ صُورَةَ

سَيِّئَةٌ أَمَامَ أَقَارِبِنَا الدِّينِ سَيِّئُونَ
لِرُؤْيَةِ الحُورِيَّةِ .

قَالَ الأَمِيرُ لِرُؤْيِهِ :

اسْتَحْلِفُكَ بِحُبِّي ، أَنْ تَظْهَرِي

عَلَى حَقِيقَتِكَ أَمَامَ أَقْرِبَائِي

فَجَلَسَتْ فِي صَمْتٍ ، فَتْرَةً طَوِيلَةً

ثُمَّ تَضَجَّرَتْ بَيْنَمَا كَانَتْ الدُّمُوعُ

تَجْرِي عَلَى خَدَّيْهَا

وَكَانَ البَدْرُ يَتَأَلَّقُ فِي السَّمَاءِ

وَدَخَلَ الأَمِيرُ بِثُوبِ الزَّفَافِ

إِلَى عُرْفَةِ رُؤْيِهِ

وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ أَحَدًا

لَا أَحَدَ سِوَى شَرِيطٍ مِنْ شُعَاعِ القَمَرِ

يَنْسَابُ مِنَ النَّافِذَةِ لِيَنْعَكِسَ عَلَى

السُّرِيرِ

وَدَخَلَ الْأَقَارِبُ، زُمْرَةً وَاحِدَةً،

صُحْبَةَ الْمَلِكِ وَالْمَلِكَةَ وَالْأَمِيرَةَ

أُخْتِ الْأَمِيرِ الَّذِي كَانَ وَاقِفًا

قُرْبَ الْبَابِ

وَسَأَلُوهُ

جَمِيعًا

أَيْنَ الْخُورِيَّةُ الْعُرُوسُ؟

فَأَجَابَ الْأَمِيرُ.

لَقَدْ تَلَأَشْتِ إِلَى الْأَبَدِ حَتَّى

يُمْكِنَ لَكُمْ التَّعَرُّفَ عَلَيْهَا

29

حين السيل الدافق من الهضاب

في ظلام الليل

كما يُغمدُ السيفُ الساطعُ في عُمدِهِ

انطلقَ فجأةً، هُناكَ، سِرْبٌ
مِنَ الطُّيُورِ، بِأَجْنِحَةٍ تَضْحَكُ
لِصَوْتِ عَالٍ، مُنْدَفِعَةً بِطَيْرَانِهَا
كَالسَهْمِ نَحْوَ التُّجُومِ .
وَفِي قَلْبِ كُلِّ المَخْلُوقَاتِ السَّاكِنَةِ
كَانَتْ تُوقِظُ حُبًّا لِلسَّرْعَةِ
وَالانْدِفَاعِ .

وَكَانَتْ الهِضَابُ تَبْدُو وَهِيَ
تَشْعُرُ فِي صَدْرِهَا بِلُوعَةِ الغَيُومِ .
العاصِفَةِ، والأشجارِ كَانَتْ
تَتَطَلَّعُ إِلَى أَنْ تَنْتَرِعَ جُدُوعُهَا
مِنْ جُدُورِهَا .

أما بالنسبة لي
فإنَّ تَحْلِيْقَ تلكِ الطُّيُورِ
حِجَابًا مِنَ الحُمُولِ

كَشَفَ لِي عَنْ رَجْفَةِ عَظِيمَةٍ
فِي هَذَا السُّكُونِ الْعَمِيقِ
فَكُنْتُ أَرَى هَذِهِ الْهَضَابَ
وَالْغَابَاتِ تُحَلِّقُ فِي الزَّمَنِ نَحْوَ
الْمَجْهُولِ

وَالظَّلَامِ يَتَحَوَّلُ فِي ارْتِعَاشٍ إِلَى نَارٍ
بَيْنَمَا تَطِيرُ النُّجُومُ رَاحِلَةً .
وَأَحْسَسْتُ فِي كَيْانِي
الطُّيُورَ الَّتِي تَعْبُرُ الْبَحْرَ
سَالِكَةً طَرِيقًا يَتَجَاوَزُ حُدُودَ
الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ

بَيْنَمَا الْكَوْنُ النَّازِحِ
يَهْتَفُ بِآلَافِ الْأَصْوَاتِ
لَيْسَ هُنَا، وَلَكِنْ فِي بَعْضِ
الْأَمَاكِنِ الْأُخْرَى، فِي حُضْنِ

عيناى تَفْطَنانِ
 إلى الهُدُوءِ العَمِيقِ
 لِهَذِهِ السَّمَاءِ
 وَيَتَحَرَّكُ فِي نَفْسِي مَا تُجِسُّ الشُّجْرَةُ
 حِينَ تَمُدُّ أَوْرَاقَهَا كَكُؤُوسٍ
 يَنْبَغِي أَنْ يَمْلَأَهَا نُورُ الشَّمْسِ
 وَفِكْرَةٌ تَنْهَضُ فِي خَاطِرِي
 مِثْلَ الرَّايْحَةِ السَّاخِنَةِ الَّتِي تَنْبَعِثُ
 مِنَ العُشْبِ المَنْشُورِ تَحْتَ الشَّمْسِ
 وَيَمْتَرِجُ بِقَرَقَرَةِ المِياهِ

وَأَنْفَاسِ الرِّيحِ الْمُتَعَبَةِ فِي طَرَقِ

الْقَرْيَةِ

فِكْرَةٌ أَنَّنَا عِشْنَا مَعًا طَوَالَ هَذِهِ

الْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ

وَأَعْطَيْتَهَا حَيِّي نَفْسَهُ

وَالْأَمِي . . .

37

أَعْطَيْتَنِي شَجَاعَةَ الْحُبِّ الْمُثَلَّى

هَذَا هُوَ دُعَائِي

شَجَاعَةَ أَنْ أَتَحَدَّثَ، وَأَنْ أَتَصَرَّفَ

وَأَنْ أَتَأَلَّمَ لِأَرَادَتِكَ

أَنْ أَتْرُكَ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ

وَأَنْ يَتْرُكَنِي الْغَيْرُ وَحَلِي

قُوْنِي بِالْمَهَامِ الْخَطِيرَةِ

وَشَرَّفَنِي بِالْأَلَمِ
وَسَاعَدَنِي عَلَى الْارْتِفَاعِ
إِلَى تِلْكَ النَّفْسِ الْعَسِيرَةِ
الَّتِي تُضْحِي كُلَّ يَوْمٍ مِنْ أَجْلِكَ
أَعْطِنِي يَقِينَ الْحُبِّ الْأَسْمَى
هَذَا هُوَ دُعَائِي
الْيَقِينُ الَّذِي يَخُصُّ الْحَيَاةَ فِي الْمَوْتِ
وَالنَّصْرَ فِي الْهَزِيمَةِ
وَالْقُدْرَةَ الْخَفِيَّةَ
فِي أَشَدِّ مَظَاهِرِ الْجَمَالِ رِقَّةً وَرَهَافَةً
وَالى التَّرَفُّعِ فِي الْأَلَمِ الَّذِي يَقْبَلُ
الْإِسَاءَةَ، وَلَكِنَّهُ يَتَعَفَّفُ عَنْ مَجَازَاتِهَا
بِالْإِسَاءَةِ.

* * *

رايداس الكناس

رَايْدَاسُ الْكَنَاسِ كَانَ جَالِسًا فِي صَمْتٍ
ضَائِعًا فِي وَحْدَةِ رُوجِهِ
وَبَعْضُ الْأَغْنِيَاتِ الَّتِي انبثقتْ مِنْ رُؤَاهِ الصَّامِتَةِ
وَجَدتْ مَدخَلَ لَهَا فِي قَلْبِ رَائِي
رَائِي جَهَالِي مِنْ كَيْتُورِي
وَكَانتِ الدُّمُوعُ تَنْهَمِرُ مِنْ عَيْنَيْهَا
وَأفكارُهَا تَجُوبُ فِيمَا وَرَاءَ وَاجِبَاتِهَا اليَوْمِيَّةِ
حَتَّى التقتْ بِرَايْدَاسِ الَّذِي قَادَهَا
إِلَى الحُضُورِ الإلهي
وقد لَامَهُ البَرْهَمِيُّ العَجُوزَ الَّذِي يَعْمَلُ فِي القَصْرِ المَلَكِي
عَلَى تَدْيِيسِهِ للشَّرِيعَةِ المُقَدَّسَةِ
حِينَ كَرَّمَ امْرَأَةً مَنبُودَةً لَا تَنْتَمِي إِلى طَائِفَةِ

وَآتَخَذَ مِنْهَا مُرِيدَةً
فَأَجَابْتُهُ رَائِي
أَيُّهَا الْبَرْهَمِيُّ حِينَ كُنْتُ مُسْتَفْرِقًا
فِي زِيَادَةِ تَوْثِيقِ خِيُوطِ حَقِيبَةِ
الْعَادَاتِ، تَزَحْلَقَ ذَهَبُ الْحَبِّ
خَفِيَّةً، فَوْقَ الْأَرْضِ، وَتَقَدَّمَ
مُعَلِّمِي بِتَوَاضُعِهِ الْمُقَدَّسِ لِإِتْقَانِهِ
مِنْ فَوْقِ التُّرَابِ .
فَلْتَنَعَمْ بِكِبْرِيَاءِ رَوَابِطِكَ الْعَدِيدَةِ
الْخَالِيَةِ مِنْ كُلِّ مَعْنَى وَلِيُقَسِّ قَلْبُكَ
وَلَكِنِّي أَنَا الْمُتَسَوِّلُ
سَعِيدَةٌ بِأَنْ أُسْتَقْبَلَ ثَرْوَةَ الْحَبِّ
عَطِيَّةَ التُّرَابِ الْبَسِيطِ
مِنْ مُعَلِّمِي
الْكَنَّاسِ .

كريشنا كالي

إني أُسمِّيها زَمْرَتِي
زَهْرَةَ الكَرِيشِنَا
رغمَ أَنهم يَقولونَ إِنَ بَشَرَتِهَا سَمْرَاءُ
أذْكرُ يَوْمًا مُلَبَّدًا بِالغُيُومِ
وَنظْرَةَ خَاطِطَةً مِن عَيْنِهَا
وَرِداءَها الَّذِي يَنسَابُ حَتَّى قَدَمِهَا
وَعَدَائِرَها المُرسَلَةَ فَوْقَ كَتِفِهَا .
تَقولونَ إِنَ بَشَرَتِهَا سَمْرَاءُ
فَليَكُنْ ذَلِكَ .
لَقَدْ رَأَيْتُ عَيْنِهَا الحُورَاوِينَ
عَيْنِي الغَزَالَهَ
كَانَتْ بَقْرَاتِهَا تَحُورُ فِي المَرعى

حِينَ تَحَوَّلَ الثُّورُ إِلَى اللَّوْنِ الرَّمَادِيِّ الشَّاجِبِ
وَخَرَجَتْ بِخُطُوبَاتٍ مُسْرِعَةٍ
مِنْ كَوْحِهَا الْوَاقِعِ قُرْبَ غَابَةِ الْبَابُؤِ
وَرَفَعَتْ إِلَى السَّمَاءِ عَيْنَيْهَا الْمُتَقِدَّتَيْنِ
نَحْوَ الْغُيُومِ الْمُثْقَلَةِ بِالْأَمْطَارِ.
أَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنْ بَشَّرْتَهَا سَمْرَاءُ
فَلْيَكُنْ ذَلِكَ.

لَقَدْ رَأَيْتُ عَيْنَيْهَا الْحَوْرَاوَيْنِ
عَيْنِي الْغَزَالَهَ.

رِيحَ الشَّرْقِ بِهَبَّاتِهِ الْمُتَقَلِّبَةَ
كَانَ يُمَوِّجُ حُقُولَ الْأَرْضِ
وَكُنْتُ قَرِيبًا مِنَ السِّيَاحِ الْفَاصِلِ
وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَحَدٌ غَيْرِي
فِي هَذِهِ الْأَرْضِ الْقَفْرَاءِ
فَإِذَا كَانَتْ قَدْ انْتَبَهَتْ لِرُجُودِي سِرًّا

أَوْلَمْ تَنْتَبِهْ
فَذَلِكَ شَيْءٌ تَعْرِفُهُ هِيَ وَأَنَا
أَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنْ بَشَّرْتَهَا سَمَرَاءَ
فَلْيَكُنْ ذَلِكَ .
لَقَدْ رَأَيْتَ عَيْنَيْهَا الْحَوْرَاوِينَ
كَعَيْنِي الْغَزَالَةَ
هِيَ الْمُفَاجَاةُ الَّتِي تُحَدِّثُهَا الْغَيْمَةُ
فِي صَمِيمِ شَهْرِ مَأْيُو الْمُسْتَعْرِ .
هِيَ ظِلٌّ رَقِيقٌ عَلَى الْغَابِ
فِي سُكُونِ سَاعَةِ الْغُرُوبِ
هِيَ سِرٌّ مُتَعَوِّ صَامِتَةٌ
فِي اللَّيْلَةِ الْمُمَطَّرَةِ مِنْ شَهْرِ يُونِيُو
أَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنْ بَشَّرْتَهَا سَمَرَاءَ
فَلْيَكُنْ ذَلِكَ
لَقَدْ رَأَيْتُ عَيْنَيْهَا الْحَوْرَاوِينَ

كَعَيْنِي الْغَزَالَةَ

إِنِّي أَسَمِيهَا زَهْرَتِي ، زَهْرَةَ كَرِيشِنَا
وَلِلْآخَرِينَ أَنْ يَقُولُوا مَا يَشَاءُونَ
وَفِي حَقْلِ الْأَرْضِ بِقَرْيَةِ (مَإِينَا)
شَعَرْتُ بِأُولَى نَظَرَاتِ عَيْنَيْهَا
لَمْ تَكُنْ تَضَعُ خِمَاراً عَلَى وَجْهِهَا
وَلَمْ يَكُنْ لَهَا الْوَقْتُ الْكَافِي لِلانْسِيحَابِ .
أَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنَّهَا سَمْرَاءُ الْبَشْرَةِ
فَلْيَكُنْ
لَقَدْ رَأَيْتِ عَيْنَيْهَا الْحَوْرَاوِينَ
كَعَيْنِي الْغَزَالَةَ .

أغنية سانتينكتان

هِيَ عَزِيزَتُنَا سَانْتِيكْتَان
الْأَيُّورَةُ لَدِينَا
أَحْلَامُنَا هُدَيْدَت فِي أَحْضَانِهَا
وَبَيْنَ ذِرَاعَيْهَا
وَمُحْيَاهَا رَوْعَةٌ نَاصِرَةٌ لِلْحُبِّ
كُلَّمَا رَأَيْتَاهُ .

لِأَنَّهَا لَنَا ، لِأَنَّهَا عَزِيزَتُنَا
نَلْتَقِي فِي ظِلَالِ أَشْجَارِهَا
وَفِي حُرِّيَّةِ سَمَائِهَا الْمَفْتُوحَةِ
إِصْبَاحَاتُهَا تَأْتِي إِلَيْنَا
وَأَمْسِيَّاتُهَا تَحْمِلُ قَبْلَ السَّمَاءِ
مُشْعِرَةً إِيَّانَا مِنْ جَدِيدٍ

أَنْهَا لَنَا، وَأَنْهَا الْأَيْبَةُ لَدَى
قُلُوبِنَا.

صَمَّتْ ظِلَالِهَا

يُوقِظُهُ هَمْسُ الْغَابَاتِ

وْغَابَاتِهَا الصَّغِيرَةُ مِنْ شَجَرِ (الْأُمْلَاكِيِّ)

تَرْتَجِفُ بِرَوْعَةِ الْأُورَاقِ.

إِنَّهَا تَسْكُنُ فِينَا، وَحَوْلَنَا

مَهْمَا أَوْغَلْنَا فِي الْبُعْدِ عَنْهَا

إِنَّهَا تَضْفِيرُ قُلُوبِنَا فِي أَغْنِيَةِ

وَتُوحِّدُنَا فِي الْأَنْغَامِ

وَتَضْبِطُ أوتَارَ حُبِّنَا

بِأَصَابِعِهَا الرَّقِيقَةِ

وَنَحْنُ نَذْكُرُ دَوْمًا

أَنَّهَا لَنَا، هَذِهِ الْحَبِيبَةُ

إِلَى قُلُوبِنَا

و . و . بـيرسون

إِنَّكَ لَتَنسَى نَفْسَكَ بِطَبْعِكَ
وَلَكِنَّا نَحْنُ نَذْكُرُكَ
إِنَّكَ تَتَأَلَّقُ فِي تَحَجُّبِكَ
الَّذِي يَكشِفُهُ حُبُّنَا
إِنَّكَ تُعِيرُ نُورَ رُوحِكَ
لِأَوْلِيكَ الْمَغْمُورِينَ
وَلَا تَبْحَثُ لَأَعْنَ الْحُبِّ
وَلَا عَنِ الشُّهُرَةِ
وَلَكِنِ الْحُبُّ يُظْهِرُكَ

* * *

إشباع

إِن الثَّرْوَةَ الْوَافِرَةَ
لِيُنْعِمَتِكَ الْغَامِرَةَ
تَنْزِلُ مِنْ سَمَائِهَا
بَحْثًا عَنْ رُوحِي الَّتِي يُمَكِّنُ
أَنْ تَحْتَوِي فِيهَا نَفْسَهَا
وَالنُّورَ الْهَاطِلُ مِنْ الشَّمْسِ وَالنُّجُومِ
يُشْبِعُ رَغَبَاتِهِ حِينَ يَبْلُغُ حَيَاتِي
وَاللُّونَ يُشْبِهُ النُّعَاسَ
الْمَشْدُودَ بِقُوَّةِ إِلَى الزُّهْرَةِ
الَّتِي تَنْظُرُ لِمَسْتِي لِكَيْ تَسْتَيْقِظَ

وَالْحَبَّ الَّذِي يُنْسَقُ أوتارَ الوُجُودِ

يَنفَجِرُ فِي مُوسِيقَى

حِينَ يُفْهَرُ القَلْبُ

* * *

ابن الإنسان

مِنْ عَرْشِهِ الْخَالِدِ
هَبَطَ الْمَسِيحُ إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ
حَيْثُ سَكَبَ، مُنْذُ أَحْقَابٍ بَعِيدَةٍ
حَيَاتِهِ الْخَالِدَةَ
فِي كَأْسِ الْمَوْتِ الْمُرِّ
مِنْ أَجْلِ أَوْلِيكَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِنِدَائِهِ
وَأَوْلِيكَ الَّذِينَ ظَلُّوا بِعَيْدِيْنَ عَنْهُ
وَتَأَمَّلْ حَوْلَهُ
فَرَأَى أَسْلِحَةَ الشَّرِّ
تُشَخِّنُ فِي زَمَنِهِ حَتَّى الْمَوْتِ .
الْحِرَابُ وَالسَّهَامُ الْمُتَعَجَّرِفَةُ

وَالخَنَاجِرُ الحَادَّةُ الرَّهِيْفَةُ
وَالسُّيُوفُ ذَاتِ الأَعْمَادِ المَاكِرَةِ
السُّيُوفِ المَقْوَسَةِ البَايْرَةِ
تَقْدَحُ كُلَّهَا الشَّرْرَ
حِينَ كَانَتْ تُسَنُّ
عَلَى مِسْنَاتٍ مُخِيْفَةٍ
وَلَكِنَّ أَفْطَعَهَا جَمِيْعًا
فِي أَيْدِي أَوْلَئِكَ الجَزَّارِيْنَ
كَانَتْ تِلْكَ التِّي نُقِشَ عَلَيْهَا
إِسْمُهُ هُوَ.
وَنُصُوصٌ مَنقُولَةٌ
مِنْ كَلِمَاتِهِ هُوَ نَفْسُهُ
صُهْرَتٌ فِي نَارِ الحِقْدِ
وَطَرَقَهَا الجَشَعُ المُنَافِقُ.
وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى قَلْبِهِ

وَشَعَرَ بِأَنَّ السَّاعَةَ الْمَاضِيَةَ
لِوَفَاتِهِ لَمْ تَنْتَهُ بَعْدَ .
وَأَنَّ مَسَامِيرَ جَدِيدَةً
صُنِعَتْ بِأَعْدَادِ ضَخْمَةٍ
مِنْ قَبْلِ رِجَالِ مَاهَرِينَ مَأْكِرِينَ
سَتَطَعْنُهُ وَتَخْزُهُ فِي كُلِّ عَضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهِ .
الَّذِينَ جَرَحُوهُ فِي الْمَاضِي
وَأَقْفِينَ فِي ظِلِّ مَعْبَدِهِمْ
قَدْ وُلِدُوا مِنْ جَدِيدٍ
فِي زَمَرٍ عَدِيدَةٍ
وَأَمَامَ هَيْكَلِهِمُ الْمُقَدَّسِ
يَصْرُخُونَ فِي الْجُنْدِ
اضْرِبُوهُ .
وَابْنُ الْإِنْسَانِ
يَصْرُخُ فِي أَوْجَاعِهِ

يَا إِلَهِي .. يَا إِلَهِي ، لِمَاذَا تَخَلَّيْتَا
عَنِّي ..

* * *

حرية

التَّحَرُّرُ مِنَ الْخَوْفِ
هُوَ التَّحَرُّرُ الَّذِي أَطْلَبُهُ لَكَ
يَا وَطَنِي الْعَزِيزِ
الْخَوْفُ، ذَلِكَ الْمَارِدُ الْخَيَالِي
الَّذِي صَاغَتْهُ أَحْلَامُكَ الْمُعْوَجَّةُ،
التَّحَرُّرُ مِنْ أَثْقَالِ السِّينِ
الَّتِي تَحْنِي رَأْسَكَ
وَتَكْسِرُ ظَهْرَكَ
وَتُعْمِي عَيْنَكَ
عَنْ نِدَاءِ الْمُسْتَقْبَلِ السَّاحِرِ.
التَّحَرُّرُ مِنْ جُدُوعِ الْكَسَلِ وَالخُمُولِ

التي تُقَيِّدُ بِهَا نَفْسَكَ إِلَى جُمُودِ

اللَّيْلِ

مُرْتَاباً فِي نَجْمَةِ اللَّيْلِِ الَّتِي تُشِيرُ

إِلَى طَرِيقِ الْمُغَامَرَةِ فِي سَبِيلِ الْحَقِيقَةِ .

التَّحَرُّرِ مِنْ فَوْضَى مَصِيرِ

مَا تَزَالُ أُسْتَارُهُ الْمُحَجَّبَةُ

مَوْكُولَةٌ إِلَى الرِّيَّاحِ الْعَمِيَاءِ الْعَامِضَةِ

وَالْمِقْوُودُ مَوْكُولاً إِلَى يَدِ بَارِدَةٍ ، جَامِدَةٌ

كَالْمَوْتِ .

التَّحَرُّرِ مِنْ نَقِيبِهِ الْإِقَامَةِ فِي

عَالَمٍ مِنْ الدَّمِيِّ تُوجَّهُ حَرَكَاتُهَا

خُيُوطٌ بِلَا عَقْلٍ ، وَمَكْرَرَةٌ بِلَا مَعْنَى

بِحُكْمِ الْعَادَةِ وَالْمَأْلُوفِ

حَيْثُ الشُّخُوصُ

تَقِفُ فِي طَاعَةِ سَلْبِيَّةٍ

مُنْتَظِرَةٌ مُحَرِّكَ الدَّمَى
يُوقِظُهَا بُرْهَةً قَصِيرَةً
مِنْ غَفَوَاتِهَا ، لِتُقَلِّدَ الْحَيَاةَ تَقْلِيدًا هَزِيلًا .

30

كان الجمهورُ يُصْغِي فِي إعْجَابٍ إِلَى كَاشِي
المُغْتَمِي الشَّابِّ الَّذِي كَانَ صَوْتُهُ كَالسَّيْفِ البَّتَّارِ
يَرْقُصُ بَيْنَ العُقَدِ اليَائِسَةِ
فَيَقْطَعُهَا أَجْزَاءً ثُمَّ يَنْشُرُ الفَرَحَ .
وكانَ بَيْنَ السَّامِعِينَ
يَجْلِسُ العَجُوزُ (راجا براتاب) ، مُتَفَجِّرًا .
فَلَقَدْ غَنَى حَيَاتِهِ وَأَحَاطَ بِهَا صَوْتُ (براجلال)
كَمَا يُحِيطُ النَّهْرُ بِجَمَالِهِ بَلَدًا سَعِيدًا .

فَامْسِيَاتِهِ الْمُمْطِرَةُ
وَسَاعَاتِهِ الْهَادِئَةُ مِنْ أَيَّامِهِ الْخَرِيفِيَّةِ
وَلِيَالِي أَعْيَادِهِ
كَانَتْ تَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ عَبْرَ صَوْتِ (بِرَاجِلَالِ)
وَلِيَالِي أَعْيَادِهِ
كَانَتْ تُخَفِّفُ مِنْ أَضْوَاءِ مَصَابِيحِهَا
وَتَقْرَعُ أَجْرَاسَهَا
عَلَى مُوسِيقَى أَغْنِيَاتِهِ .
وَحِينَ تَوَقَّفَ (كَاشِي) عَنِ الْغِنَاءِ
عَمَزَ (بَارَاتَابِ) بِاسْمِ (بِرَاجِلَالِ)
وَتَحَدَّثَ إِلَيْهِ هَمْسًا :
أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ ، الْآنَ أَسْمِعْنَا الْمُوسِيقَى الْحَقِيقِيَّةِ
وَلَيْسَ هَذِهِ الْأَغْنِيَاتِ الْحَدِيثَةُ
الَّتِي تَبْدُو كَأَنَّهَا قَطَطٌ وَثَابَةٌ تُطَارِدُ
فِيْرَانًا مَشْلُوكَةً .

وَانْحَنِ الْمُغْنَى الْعَجُوزُ
بِعِمَامَتِهِ الْبَيْضَاءِ النَّاصِعَةِ
أَمَامَ الْجُمْهُورِ، وَأَخَذَ مَكَانَهُ لِلْغِنَاءِ
وَلَمَسَتْ أَصَابِعُهُ الرَّقِيقَةَ
أَوْتَارَ الْأَلَةِ

وَبِعَيْنَيْنِ مُغْمَضَتَيْنِ ، تَرَدَّدَ قَلِيلًا
فِي شَيْءٍ مِنْ الْحَجَلِ ، ثُمَّ شَرَعَ فِي الْغِنَاءِ .
كَانَتِ الْقَاعَةُ كَبِيرَةً ، وَصَوْتُهُ وَاهِنًا ضَعِيفًا
وَهْتَفَ بِهِ بِرَأْتَابٍ : (أَحْسَنْتَ) بِإِصْرَارٍ
وَلَكِنَّهُ هَمَسَ فِي أُذُنِهِ :

يَا صَدِيقِي ، ارْفَعْ صَوْتَكَ قَلِيلًا
وَلَكِنِ الْجُمْهُورُ كَانَ مُتَضَجِّرًا
وَبَعْضُهُمْ كَانَ يَتَنَاءَبُ
وَبَعْضُهُمْ أَخَذَ يَنْعَسُ
وَأخرون كانوا يتدّمرون من الحرّ

وَأَخَذَ جَوَّ الْقَاعَةِ يَطْنُ بِضَجِيحٍ
 مِنْ مُخْتَلَفِ الْإِيقَاعَاتِ
 وَكَانَ الْغِنَاءُ، كَالزُّورِقِ الْهَشِّ
 يُحَاوِلُ عَبَثًا أَنْ يَبْقَى عَلَى السُّطْحِ
 حَتَّى لَا يَغْرُقَ تَحْتَ الضَّجِيحِ .
 وَأَحْسَّ الْعَجُوزُ بِحَرَجٍ فِي قَلْبِهِ
 وَنَسِيَ إِحْدَى الْفَقَرَاتِ الْغِنَائِيَّةِ
 وَتَرَنَّحَ صَوْتُهُ مُتَوَجِّعًا
 كَمَا يَتَرَنَّحُ أَعْمَى فِي مَعْرَضٍ يَبْحَثُ
 عَنْ مُرْشِدِهِ الضَّائِعِ .
 حَاوَلَ أَنْ يَسُدَّ الْفَجْوَةَ
 بِأَوَّلِ مَقْطَعٍ يَرِدُ عَلَى ذِهْنِهِ
 وَلَكِنِ الْفَجْوَةَ أَزْدَادَتْ اتِّسَاعًا
 وَالْأَنْعَامُ الْمُعَدَّبَةَ رَفَضَتْ
 أَنْ تَلْبِي رَغْبَاتِهِ

وفجأة غيّرت إيقاعها

ومال المعلم برأسه

فوق آتية

وعوضاً عن الألحان المنسية

ظفر من عينيه

الدمع الذي يجمله

الطفل إلى العالم

قرنت «برأتان» بلطف

على كفيه

قائلاً :

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)

Beit al-Hikma al-Alexandriya

تعال، إن اجتماعنا في غير

هذا المكان، يا صديقي إن

الحقيقة عزلاءً بغير الحب

والجمال لا يُقيم بين السواد

الأعظم ولا في الوقت الحاضر

Vertical line on the left side of the page.

Vertical line on the left side of the page.

الْبَحُورُ يَذُوبُ لِيَتَحَلَّلَ فِي الْعِطْرِ
وَالْعِطْرُ يَذُوبُ لِكَيْ يَلْتَحِمَ بِالْبَحُورِ
وَالنَّعْمُ يَسْتَعِينُ لِمُعَانَقَةِ الْإِقْبَاعِ
بَيْنَمَا يَمُودُ الْإِقْبَاعُ مُتَدَفِّقًا فِي النَّعْمِ
وَالفِكْرَةُ تَبْحَثُ عَنْ هَيَاتِهَا فِي الصُّورَةِ
وَالصُّورَةُ تَبْحَثُ عَنْ حُرِّيَّتِهَا فِي الْفِكْرَةِ
وَاللَّائِيهَانِي تَبْحَثُ عَنْ لَمَسَةِ النَّهَائِي
وَالنَّهَائِي يَبْحَثُ عَنْ انْعِقَاتِهِ فِي اللَّائِيهَانِي
أَيُّ مَأْسَاةٍ هَذِهِ تَجْرِي بَيْنَ الْخَلْقِ وَالتَّنْمِيمِ
وَهَذِهِ الْحَالَةُ بَيْنَ الْفِكْرَةِ وَالصُّورَةِ
الْعَبُودِيَّةُ تُصَارِعُ الْحُرِّيَّةَ
وَالْحُرِّيَّةُ تَبْحَثُ عَنْ رَاحَتِهَا فِي الْعَبُودِيَّةِ

الجدول العربي للكتاب

المقر الرئيسي : شارع غرمة الحمودي - ص.ب : 3185 طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية
- الهاتف : 30384 - 47287 - تلکس : 20003 الكتاب
الفرع الرئيسي : 4 ، تيج 7101 - المنار 2 ص.ب : 1104 القياضة الأصلية 1000 تونس - الجمهورية التونسية
- الهاتف : 236600 - 236025 - تلکس : 14966 كتاب